



الجمهورية العربية السورية

جامعة دمشق

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم التاريخ

الحياة الاقتصادية والاجتماعية لليهود في ولايتي دمشق وحلب في القرن التاسع عشر

بحث أعدّ كنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر

إعداد الطالبة
أماني عيسى الإبراهيم

بإشراف الدكتور
وضاح نوفل

دمشق: 2017-2018 م
1439-1440 هـ

جدول المحتويات

الصفحة	العنوان
ج	الملخص باللغة العربية.
ح	المقدمة: حول أهمية الموضوع وسبب اختياره وإشكاليته ومنهجيته والتعريف بأبرز مصادره ومراجعته
١	الفصل التمهيدي: التواجد التاريخي لليهود في الدولة العثمانية حتى القرن التاسع عشر
١٤	الفصل الأول: النشاط الاقتصادي لليهود في ولايتي دمشق وحلب في القرن التاسع عشر.
١٥	المقدمة
١٨	أولاً: الزراعة – وامتلاك الأراضي في دمشق وحلب
٢١	ثانياً: الصناعة والحرف اليهودية في ولايتي دمشق وحلب
٢٢	١. الصياغة
٢٤	٢. سك النقود
٢٥	٣. الصباغة
٢٩	٤. الخياطة
٣٠	٥. صناعة الأدوات النحاسية
٣٠	٦. الكتابة
٣١	٧. صناعة النسيج
٣٣	٨. مهن متنوعة
٣٧	٩. الطب
٤١	ثالثاً: النشاط التجاري لليهود في ولايتي دمشق وحلب في القرن التاسع عشر.
٤٤	أ. ممارسة يهود دمشق وحلب لأعمال التجارة الداخلية.
٤٨	ب. دور يهود دمشق وحلب في أعمال الصيرفة وتأسيس البنوك في القرن التاسع عشر
٥٢	٢- دور يهود دمشق وحلب في التجارة الخارجية في القرن التاسع عشر:
٥٥	أ. العلاقات التجارية بين يهود دمشق وحلب مع يهود مصر وبيروت

٥٧	ب. العلاقات التجارية بين يهود دمشق وحلب مع يهود العراق
٥٨	ج. العلاقات التجارية بين يهود دمشق وحلب والجاليات الأوروبية
٦٤	نتائج الفصل الأول.
٦٥	الفصل الثاني: الحياة الاجتماعية لليهود في ولايتي دمشق وحلب.
٦٦	المقدمة
٦٨	أولاً: تنظيم الأسرة اليهودية وعاداتها
٦٨	١. العائلات اليهودية في دمشق وحلب
٧٢	أ. الأفراح والأفراح
٧٢	١- الزواج
٧٤	٢- الطلاق
٧٥	٣- تعدد الزوجات
٧٧	ب. الولادة والختان
٧٨	ج. الوفاة والعزاء
٨٠	د. مقابر اليهود في دمشق وحلب
٨٣	ثانياً: لباس اليهود
٨٦	ثالثاً: مكانة المرأة اليهودية في دمشق وحلب
٨٩	رابعاً: علاقة يهود دمشق وحلب بالطوائف الأخرى
٨٩	١. العلاقة مع المسلمين
٩١	٢. العلاقة مع المسيحيين
١٠٠	خامساً: مساكن اليهود في دمشق وحلب.
١٠٠	١. الحارات والأزقة
١٠٦	٢. البيوت والقصور
١١١	نتائج الفصل الثاني

١١٢	الفصل الثالث: الحياة الدينية والثقافية لليهود وأثرها على الحياة الاقتصادية والاجتماعية في ولايتي دمشق وحلب في القرن التاسع عشر.
١١٤	المقدمة
١١٦	أولاً: مصادر التشريع اليهودي
١١٦	١. التوراة
١١٨	٢. التلمود
١٢٠	ثانياً: المؤسسة الحاخامية.
١٢٣	ثالثاً: الأعياد والشعائر الدينية عند اليهود
١٢٣	١. الأعياد
١٣٢	٢. الشعائر الدينية
١٣٥	رابعاً: الطوائف اليهودية في دمشق وحلب
١٣٥	١. طائفة الريانيون
١٣٦	٢. طائفة القراؤون
١٣٧	٣. طائفة السامرة
١٣٩	٤. السفارديم
١٣٩	٥. الاشكنازيم
١٤١	رابعاً: التعليم عند اليهود
١٤١	١. اللغة
١٤٢	٢. المدارس
١٤٨	سادساً: المعابد والكنس اليهودية في دمشق وحلب
١٤٨	١. تعريف المعبد ومهامه
١٥٠	٢. كُنُس اليهود في دمشق
١٥٣	٣. كُنُس اليهود في حلب
١٥٦	نتائج الفصل الثالث
١٥٧	الخاتمة

١٦٠	الملاحق
١٧٠	قائمة المصادر والمراجع
	الملخص باللغة الأجنبية

ملخص البحث:

تناول البحث دراسة الحياة الاقتصادية والاجتماعية لليهود دمشق وحلب في فترة تعد من أخرج فترات التاريخ الحديث، نتيجة للتغيرات التي حدثت فيها على الصعيدين العربي والأوروبي.

فقد تأثر يهود في دمشق وحلب بالتغيرات التي حدثت في القرن التاسع عشر، فالتغيرات السياسية لعبت دوراً في تغيير أوضاع اليهود الاقتصادية والاجتماعية في سائر ولايات الدولة العثمانية، فقد شهد النصف الأول من القرن التاسع عشر ظهور قوة محمد علي وسيطرته على بلاد الشام حيث عمل على رفع القيود المفروضة على أهل الذمة، وشهد النصف الثاني من ذلك القرن زيادة ملحوظة في نشاطهم الاقتصادي نتيجة لتزايد التدخل الأوروبي لصالح اليهود، فضلاً عن قيام السلطنة العثمانية بالعديد من الإصلاحات التي شملت أهل الذمة.

فكان لهم دورٌ في تنشيط اقتصاد البلاد إلى جانب المسلمين والمسيحيين وكانوا بارعين في مجال التجارة الداخلية والخارجية وعملوا على تطويرها من خلال علاقاتهم التجارية مع الجاليات الأوروبية التي استقرت في أحياء دمشق وحلب.

أما على صعيد العلاقات الاجتماعية فقد تأثر اليهود بأهل البلاد واكتسبوا منهم الكثير من العادات، واتسمت علاقاتهم بالمجتمع الدمشقي والحلبّي بالاستقرار والود والتسامح وتبادل المنفعة الاقتصادية فضلاً عن علاقات الجوار التي أدت إلى تأثر اليهود بعادات المجتمع الاسلامي، الأمر الذي أكدته وثائق سجلات المحكمة الشرعية بدمشق وحلب، وأدى كل ذلك إلى تضيق الفروق الاجتماعية بين الطوائف الدينية الثلاث، فشكل يهود دمشق وحلب جزءاً من تركيبة المجتمع السكانية.

المقدمة: حول أهمية الموضوع وسبب اختياره واشكاليته ومنهجيته والتعريف بأبرز مصادره ومراجعته.

استقر اليهود في دمشق وحلب منذ أكثر من ألفي عام بسبب الهجرات التي تعرضوا لها فوجدوا فيها العيش الآمن وأقاموا معابدهم الدينية فيها، ويشهد على قدم وجودهم التاريخي في هاتين المدينتين الهامتين من الناحيتين الدينية والاقتصادية وجود كنيس جوبر^(١) في دمشق كأقدم كنيس في العالم وكنيس تادف^(٢) في حلب الذي يعود في قدمه إلى فترة تقارب فترة وجود كنيس جوبر التاريخي. وكان أكبر تواجد لهم في العام ١٤٩٢ حيث شهد هذا العام موجات من الهجرة اليهودية من اسبانيا وصقلية نتيجة للاضطهاد الإسباني الذي تعرضوا له في القرن الخامس عشر في الوقت الذي فتحت فيه الدولة العثمانية أبوابها لاستقبال اليهود الفارين من حملات الاضطهاد الاسبانية واسكانهم في المدن الكبرى ذات الأهمية الاقتصادية وكان منها دمشق وحلب، وكان هؤلاء من السفارديم^(٣) الذين يتكلمون لغة "اللادينو"^(٤) قبل أن يتعربوا وينسجموا مع أبناء البلاد، وعمل هؤلاء في مختلف الأنشطة الاقتصادية وأسهموا في تطوير بعض المهن، ومع تدفق المهاجرين الجدد من يهود إيطاليا والنمسا وألمانيا وفرنسا وغيرها من البلدان الأوروبية في القرن الثامن عشر مارس هؤلاء

^١ - كنيس جوبر: يقع في قرية جوبر في دمشق وكان أغلب سكانها من اليهود، وبنوا فيها كنيسهم التاريخي القديم وعرف بـ"كنيس جوبر" ونسجت حوله الكثير من الأساطير وكانت توجد فيه أقدم نسخة للتوراة. انظر: محجوب، بشير: جوبر تاريخها وحاضرها، مطابع الجمعية التعاونية، دمشق، ١٩٩٩، ص ٨٩.

^٢ - تادف مدينة سورية في منطقة الباب في محافظة حلب يوجد فيها أقدم معابد اليهود وقبل إنه كان يحتوي على كتابة عبرية. انظر: هلال: فؤاد، تاريخ وتنظيمات العيش المشترك في سوريا "حلب أنموذجاً" http://www.maaber.org/issue_june09/lookout4.htm

^٣ - السفارديم: هم اليهود الذين طردوا من اسبانيا إثر حملات الاضطهاد الكاثوليكية ١٤٩٢-١٤٩٧، فتشتت اليهود في أراضي الدولة العثمانية، وعرف هؤلاء اليهود القادمين من بلدان البحر المتوسط والساحل الأطلسي بالابيرييين أو السفارديم، واحتلوا موقعا هاما إن لم يكن فريدا في القرنين الخامس والسادس عشر، وكان لهم دور أساسي في الاقتصاد والادارة والسياسة والعلوم. انظر: The Sephardim in the Ottoman Empire.Turkey,1992,p. Avigdor Levy, 28-30-31.

^٤ - اللادينو: لهجة اسبانية، دخلتها كلمات عبرية وتركية ويونانية، وظهرت قبل طرد اليهود من اسبانيا ١٤٩٢ بقرون عدة. انظر: المسيري: عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق، ط ٣، ٢٠٠٦، مج ٣، ص ٤٧٦.

اليهود مختلف أنواع الأنشطة التجارية حيث كانت لهم علاقاتهم التجارية مع التجار الأوروبيين، وشكلت هذه المجموعات المهاجرة نصف يهود دمشق وحلب، بينما شكل يهود البلاد النصف الآخر، وحتى نهاية القرن التاسع عشر لم يعد هناك أي تمييز بين هاتين المجموعتين إلا بالاسم، ورغم أن الدولة العثمانية منحت اليهود الحرية الدينية وسمحت لهم بالإقامة والسكن وبناء معابدهم الدينية ولم تتدخل في شؤونهم الدينية إلا أنها فرضت عليهم بعض القيود وذلك للتفريق بينهم وبين المسلمين كالقيود على اللباس، واستمر اليهود على هذا الحال حتى القرن التاسع عشر الذي شهد تغيرات عدة كان لها أثر في تحسين أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية ففي النصف الأول من القرن التاسع عشر خضعت بلاد الشام لسيطرة إبراهيم باشا الذي عمل على تحسين أوضاع أهل الذمة ورفع القيود التي كانت مفروضة عليهم، ورغم أن الحكم المصري أعلن المساواة بين أهل الذمة وباقي السكان إلا أن عودة الحكم العثماني أكدت هذه المساواة وقامت بتطبيقها نتيجة للضغوط الأجنبية التي دعمت الموقف اليهودي وازداد هذا التدخل بشكل واضح بعد العام ١٨٤٠ حيث شهدت البلاد تحولات سياسية وقانونية تجاه أهل الذمة رافقه تدخل أوروبي مباشر لصالح اليهود وقامت بمنحهم الحماية والتبعية الأجنبية. فشكلت تلك المتغيرات والأحداث التي شهدتها القرن التاسع عشر سواء في أوروبا أم في المشرق العربي سبباً بارزاً لاختيار فترة القرن التاسع عشر الفترة الزمنية لدراسة أوضاع اليهود الاقتصادية والاجتماعية.

وبشكل عام فقد اتسمت علاقات اليهود بالمجتمع الدمشقي والحلي بالاستقرار والود والتسامح وتبادل المنفعة الاقتصادية فضلاً عن علاقات الجوار التي أدت إلى تأثر اليهود بعادات المجتمع الإسلامي، الأمر الذي أكدته وثائق سجلات المحكمة الشرعية بدمشق وحلب، وأدى كل ذلك إلى تضيق الفروق الاجتماعية.

وكانت أبرز دوافع البحث:

- ١- معرفة أماكن سكن اليهود، وتواجدهم في دمشق وحلب لا سيما في القرن التاسع عشر، وماهي التغيرات التي حصلت خلال الفترة الزمنية موضوع الدراسة.
- ٢- الرغبة في تقديم دراسة شاملة عن الناحيتين الاقتصادية والاجتماعية عن يهود دمشق وحلب في القرن التاسع عشر.

استند البحث إلى عدد من المصادر والمراجع التي تناولت في طياتها موضوع الدراسة فكان من أبرز، المصادر العربية التي اعتمد عليها البحث: كتاب "نهر الذهب في تاريخ حلب" لمؤلفه كامل بن حسين بن محمد البالي الحلبي الشهير بالغزي الذي تناول فيه تاريخ حلب منذ بدء الخليقة حتى الفترة العثمانية وتحدث في طياته عن التواجد التاريخي لليهود في حلب وأبرز عاداتهم الاجتماعية، وكتاب "خطط الشام" لمؤلفه محمد كرد علي وهو مجلد في ستة أجزاء تناول في جزأيه الثاني والسادس الحديث عن الوجود التاريخي لليهود في الشام وعاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية. وكتاب "اليهود في الدولة العثمانية حتى القرن التاسع عشر" لمؤلفه أحمد حكمت آر اوغلو وهو كتاب مترجم عن اللغة التركية إلى العربية ترجمه أحمد عبد الله نجم تناول حياة الطائفة اليهودية في الدولة العثمانية. وكتاب "تاريخ حلب" لمؤلفه اردافازد سورمايان وهو مطران الأرمن في القرن العشرين ترجمة الكسندر كيشيشيان وهو في جزأين أفرد في جزئه الثاني فصلاً للحديث عن يهود حلب. وكتاب "يهود الدولة العثمانية والجمهورية التركية" لمؤلفه ستانفورد ج شو ترجمة الصفصافي أحمد القطوري تحدث عن اليهود المهاجرين للدولة العثمانية وتناول جميع جوانب حياة الطائفة اليهودية في الدولة العثمانية. وموسوعة "أحياء حلب وأسواقها" لخير الدين الأسدي.

أما أبرز المراجع التي اعتمد عليها البحث: كتاب "يهود دمشق الشام" لمؤلفه شمس الدين العجلاني تناول فيه حياة الطائفة اليهودية في دمشق، وكتاب "يهود الشام في العصر العثماني" لأكرم العلبي وهو كتاب وثائقي يشرح فيه بعضاً من حياة يهود الشام، وكتاب "تاريخ اليهود في حلب" لمحمود حريتان وتحدث فيه عن يهود حلب في الفترة العثمانية، وكتاب "يهود البلاد العربية" لخيرية قاسمية، وكتاب "اليهود في المشرق الإسلامي" لخضر إلياس جلو، وكتاب "يهود اليمن" لكاميليا أبو جبل، وكتاب "يهود القدس" لحلمي خليفة درادكه، وكتاب "دمشق فترة السلطان عبد الحميد" لماري سركو.

فضلاً عن بعض المؤلفات الأجنبية التي تمت الاستفادة منها وترجمتها إلى اللغة العربية فكان أبرزها كتاب:

The Sephardim In The Ottoman Empire (Avigdor Levy)

طبعه سنة ١٩٩٢: وهو يتحدث عن (يهود السفارديم) وهم اليهود الذين هاجروا إلى أراضي الدولة العثمانية نتيجة لحملات الاضطهاد الإسبانية، ويتناول بشكل مفصل دراسة أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية داخل الولايات العثمانية مع تقديم بعض الإحصاءات لتعدادهم السكاني فيها.

The Jews from Aleppo (By. Walter P. Zenner)

طبعه سنة ٢٠٠٠، درس فيه أوضاع يهود حلب الاقتصادية والاجتماعية، وركز فيه على أوضاعهم بعد الحرب العالمية الأولى حتى هجرتهم.

The Farhi Family And The Changing Position Of The Jews In Syria 1750-1860, Thomas Philipp; Middle Eastern Studies, Published Online; 6- Dec, 2006.

وهي مقالة تبحث حول أشهر الأسر اليهودية في دمشق وهي أسرة آل فارحي وأوضاعهم الاقتصادية والتغيرات التي طرأت عليهم بين عامي ١٧٥٩ - ١٨٦٠. كما اعتمد البحث على مجموعة من الوثائق المحفوظة في دار الوثائق التاريخية بدمشق، والتي أسهمت في إغناء البحث بالمعلومات، وهي متوفرة لأي باحث في سجلات متفرقة.

وكان من الصعوبات التي اعترضت البحث خلال فترة إعدادة، صعوبة توفر المادة العلمية التي تخص فترة الدراسة وهي القرن التاسع عشر، فقد تناولت غالبية المصادر والمراجع حياة الطائفة اليهودية في الدولة العثمانية وولاياتها دون التركيز على فترة القرن التاسع عشر، وهذا ما تسبب في وجود ثغرات في بعض فقرات الدراسة، فضلاً عن صعوبة القيام بدراسة ميدانية نتيجة لهجرة غالبية يهود دمشق وحلب والتي كان من الممكن أن تغني البحث بالمعلومات، ومنها تكرار المادة العلمية في جميع المصادر والمراجع التي بحثت في هذا الموضوع، ورغم هذه الصعوبات إلا أننا حاولنا إتمام هذا العمل على أكمل وجه بالاعتماد على وثائق سجلات المحكمة الشرعية.

١ - منهجية البحث:

تمّ اعتماد المنهج "الاستقرائي التحليلي" القائم على قراءة الأحداث ووصفها ثمّ نقدها وذلك لقدرته على اكتشاف الحقيقة على أساس التفسير المتعدد للأحداث التاريخية من حيث الأسباب والظروف والعوامل والمقارنات والنتائج، لقدرته على معالجة أحداث الدراسة بجدية وموضوعية أكبر بحسب مصادر المعرفة المتوافرة لديه، وبناءً على فاعلية هذا المنهج فقد اعتمدته الدراسة لكشف الدوافع الموضوعية لأحداثها.

كما اعتمدت الدراسة على وثائق سجلات المحكمة الشرعية بدمشق وحلب المعاصرة للوقائع التاريخية بما تحتويه من أنواع الوثائق المختلفة لتكوين صورة واضحة عن حياة يهود دمشق وحلب الاقتصادية والاجتماعية والدينية والثقافية، والكشف عن طبيعة الادارة العثمانية وأثرها في اليهود وهل عوملوا معاملة الرعايا أم كفنة من فئات المجتمع المحلي، الأمر الذي يكشف لنا طبيعة العلاقة بين الدولة واليهود وبينهم وبين بقية رعايا الدولة العثمانية.

٢ - اشكالية البحث:

ظهرت مع بداية القرن التاسع عشر مجموعة من العوامل التي أدت إلى اختلال الموازين الاجتماعية بين فئات المجتمع العثماني بما فيها مجتمع مدينتي "دمشق وحلب" وأخذت تعقيداتها تزداد مع محاولة الدولة العثمانية فرض سيادتها، فضلاً عن سعي الدول الأوروبية للحصول على مزيد من الامتيازات، وظهور قوة محمد علي الذي أسهم في زيادة حجم التغيرات السياسية والاقتصادية والادارية، الأمر الذي أجبر السلطة الحاكمة على تحسين أوضاع رعاياها من غير المسلمين، وقد أسهم كل ذلك في زيادة المكاسب التي حصل عليها يهود دمشق وحلب كما ساعدت الظروف التاريخية على إفراز ما عرف بالتنظيمات الخيرية التي مُنح على أساسها جميع رعايا الدولة العثمانية المساواة في الحقوق والواجبات ولا فرق بين ملة أو طائفة، مما أدى إلى خلق مسببات موضوعية تنبئ بزيادة السيطرة اليهودية الخاضعة للرعاية الأجنبية. وتأتي كل تلك الظروف التاريخية

لتكون أسباباً كافية لاتخاذها موضوعاً للدراسة، وتحقيقاً لذلك فقد عملت الدراسة على الإجابة عن مجموعة من الأسئلة التي شكلت أساس البحث ونوردها فيما يلي:

١- هل كان لنظام الملة العثمانية دور في دمج يهود دمشق وحلب ضمن التركيبة الاجتماعية لرعايا الدولة العثمانية، وكان دافعاً لاستغلال الدول الأوروبية لزيادة نفوذها في الدولة العثمانية؟

٢- ما أبرز الطوائف اليهودية في دمشق وحلب في القرن التاسع عشر؟

٣- كيف كانت أوضاع اليهود من الناحيتين الاقتصادية والاجتماعية في دمشق وحلب؟ وما أثر الإصلاحات العثمانية خلال الفترة التي تناولتها الدراسة في تحسين ظروفهم؟

٤- ما طبيعة العلاقة بين الطائفة اليهودية في دمشق وحلب مع المسلمين والمسيحيين فيها؟

٥- ما الحارات والمحلات التي سكنها اليهود في هاتين الولايتين؟

٦- هل أثر اليهود في البنية الاجتماعية داخل هاتين الولايتين؟

٣- أهداف البحث:

تهدف هذه الدراسة إلى معرفة أحوال يهود دمشق وحلب اقتصادياً واجتماعياً في القرن التاسع عشر، وذلك لمعرفة جزء من الواقع الدمشقي والحلي التاريخي، من خلال دراسة المصادر والوثائق والتعرف على هذه الفئة التي عاشت في دمشق وحلب منذ قرون، وكشف طبيعة حياتهم بكل فئاتهم وطوائفهم، وهل كانت مستقرة أم لا؟ في هذه الفترة الزمنية الحرجة التي شهدت الكثير من التغيرات السياسية التي انعكست على طبيعة الحياة الاقتصادية والاجتماعية بشكل عام سواء في ظل الحكم العثماني أم في ظل الإدارة المصرية، وهل الحرية التي منحت لهم بعد الحكم المصري كانت نابعة من سياسة الدولة في التعامل مع رعاياها من غير المسلمين أم أنها كانت نتيجة للضغط الأجنبية وقوانين الحماية؟ يأتي ذلك من خلال دراسة وثائق سجلات المحكمة الشرعية بدمشق وحلب التي كُتبت حفاظاً على حقوق الرعايا ولم تكتب من أجل التاريخ أو أهداف سياسية.

وتحقيقاً لمنهج البحث فقد قسمت الدراسة إلى تمهيد وثلاثة فصول.

بحث التمهيد في التواجد اليهودي في دمشق وحلب حتى القرن التاسع عشر، حيث تناول الهجرات اليهودية في التاريخ القديم والتي أدت إلى استقرارهم في دمشق وحلب حتى الفتح الإسلامي، كما بحث في تواجدهم في ظل الحكم الإسلامي حتى الفترة العثمانية حيث تمّ التركيز فيه على الهجرات التي حدثت في القرنين الخامس عشر والثامن والتاسع عشر من أوروبا وكيف عمل سلاطين الدولة العثمانية على استقطاب اليهود في أوروبا وإسكانهم في المدن الهامة ذات الأهمية الاقتصادية والتجارية في الدولة العثمانية وولاياتها ومنها دمشق وحلب، في الوقت الذي تعرضوا فيه للاضطهاد الأوروبي.

وجاء الفصل الأول تحت عنوان "النشاط الاقتصادي لليهود في ولايتي دمشق وحلب في القرن التاسع عشر" وتضمن دراسة الأراضي الزراعية التي امتلكها اليهود في هاتين الولايتين وأبرز الصناعات التي عمل بها يهود دمشق وحلب مثل صناعة الذهب والفضة، والصباغة والنسيج وغيرها من المهن، ورصد وتحليل دورهم في كل منها، كما عالج هذا الفصل النشاط التجاري لليهود دمشق وحلب موضعاً أهمية موقع هاتين الولايتين ودور اليهود في التجاريتين الداخلية والخارجية وعلاقاتهم التجارية مع البلدان الأوروبية، مع ذكر لأبرز النتائج التي خلص إليها هذا الفصل.

أما الفصل الثاني وعنوانه "الحياة الاجتماعية لليهود في ولايتي دمشق وحلب في القرن التاسع عشر" حيث تمّ التركيز في هذا الفصل على حياتهم الاجتماعية، من خلال دراسة مناسباتهم الاجتماعية وأماكن تواجدهم في مختلف أحياء دمشق وحلب، وعالج هذا الفصل تنظيم الأسرة اليهودية من زواج وطلاق وتعدد زوجات مستنداً إلى النصوص الوارد في التوراة، وتوضيح طبيعة علاقاتهم الاجتماعية مع بقية الطوائف الأخرى من خلال الاعتماد على وثائق سجلات المحكمة الشرعية بدمشق وحلب حرصاً على توضيح الفرق بين الجيتو في أوروبا والاندماج الذي حصل في دمشق وحلب، فبينما عاش اليهود في أوروبا داخل "الجيتو" (وهي أحياء مغلقة منعزلة عن المجتمع) اندمج يهود دمشق وحلب بسلطان البلاد وتأثروا بعبادات وتقاليدهم وأثروا فيهم ووُجِدَتْ أحياءهم مجاورة لأحياء المسلمين والمسيحيين.

الفصل الثالث بعنوان "الحياة الدينية والثقافية لليهود وأثرها على الحياة الاقتصادية والاجتماعية في القرن التاسع عشر" عالج هذا الفصل مصادر التشريع اليهودي وبين أثرها في

حياتهم الاقتصادية والاجتماعية، وتناول دراسة أعيادهم ومناسباتهم الدينية وأبرز طوائفهم، كما بحث في الوضع التعليمي لليهود دمشق وحلب، وأبرز الكنس اليهودية في هاتين الولايتين. وانتهى البحث بخاتمة أبرزت نتائج البحث.

خلصت الدراسة إلى أن الوجود اليهودي في دمشق وحلب واقع مثبت تاريخياً؛ أكدته وثائق سجلات المحكمة الشرعية بدمشق وحلب، وسعى اليهود خلال القرن التاسع عشر لاستغلال مجمل الظروف التاريخية المحيطة بالدولة العثمانية عامة للحصول على التبعية للدول الأجنبية من خلال الامتيازات وقوانين الحماية التي أكسبتهم تحسناً ملموساً في واقعهم المعيشي عما كان سابقاً، وعاش اليهود في ولايتي دمشق وحلب حياة طبيعية في ظل السيادة العثمانية، وفقاً للقواعد الشرعية المتبعة في الدولة، وتمتعوا بقدر من الحرية والتسامح في ممارسة طقوسهم الدينية وعبادتهم.

ختاماً: أتوجه بجزيل الشكر وعظيم الامتنان للدكتور وضاح نوفل الذي أشرف على هذا البحث في كل خطوة لإتمامه، ولم يخل عليّ بأية معلومة تسهم في إغناء الدراسة فكان خير معين في إنجاز هذا البحث ولا يمكن لكلمة شكر أن تفيه حقه، وآمل أن تسهم هذه الدراسة في تقديم صورة واضحة عن حياة الطائفة اليهودية في دمشق وحلب والتي كانت جزءاً من نسيج المجتمع السوري.

الفصل التمهيدي

التواجد التاريخي لليهود في الدولة العثمانية حتى القرن التاسع عشر:

يصنف اليهود في الدولة العثمانية ضمن ثلاث مجموعات: الأولى: ممن كان أفرادها ضمن رعايا الإمبراطورية البيزنطية ثم أصبحوا ضمن رعايا الدولة العثمانية التي حلت محلها، والثانية: اليهود الذين هاجروا من شبه الجزيرة الإيبيرية (إسبانيا والبرتغال) في أعقاب طردهم إثر حملات الاضطهاد الإسبانية^(١) أما المجموعة الثالثة فهم المهاجرون من النمسا والمجر وروسيا وألمانيا وبولندا، وقد كفل الأتراك العثمانيون لليهود حرية دينية، فعاشوا في أمنٍ كامل، وهذا يدل على أنَّ يهود الدولة العثمانية ليسوا سوى خليط من أجناس عدّة، وبعيدين كل البعد عن أن يكونوا شعباً واحداً وأمة واحدة، شأنهم في ذلك شأن المجموعات اليهودية في المجتمعات الأخرى.^(٢)

وفي الوقت الذي تعرض فيه يهود أوروبا للاضطهاد، سمحت الدولة العثمانية لهم بالتواجد في أراضيها إلى جانب طوائف أخرى مختلفة، ورغم أنها لم تتساو بينهم وبين المسلمين في كل شيء إلا أنهم تمتعوا بالحرية الدينية، ومارسوا شعائهم الدينية وتعهدت الدولة بحماية أرواحهم

^١ - في عام ١٤٩٢، أتم الملك الأراغوني فرديناند والملكة القشتالية إيزابيلا استرداد إسبانيا من المسلمين، وفي تلك السنة استسلمت غرناطة آخر معاقل العرب المسلمين للقوات المسيحية، وبدأت إسبانيا بحملة تطهير للبلاد ضد كل من لا يعتنق المذهب الكاثوليكي، وشمل ذلك الاضطهاد لليهود الذين خيروهم بين تغيير دينهم أو المغادرة، فقرر القسم الأكبر من اليهود عدم المجازفة بحياة المنفى قبل بتغيير دينه واعتناق المسيحية، أما الذين حافظوا على دينهم بصورة سرية، مع التظاهر باعتناق المسيحية، فقد قضى قسم كبير منهم على يد محاكم التفتيش الكاثوليكية.. انظر: زهر الدين، صالح: اليهود في تركيا ٥٠٠ عام، دار الصداقة، حلب، ط١، ١٩٩٦، ص ١١. أما الذين فضلوا الموت يهوداً فقد أصدر الملكان الكاثوليكيان مرسوماً أوجب مغادرة اليهود الذين لم يتنصروا من البلاد، ووصل عدد كبير من هؤلاء إلى تركيا ويقال إن عددهم تجاوز المئة ألف يهودي، وكان غالبيتهم على قدر من العلم والمعرفة. وأطلق على اليهود الذين اعتنقوا المسيحية ظاهرياً اسم "المارانو" أي المرتدين عن الدين المسيحي، انظر: درويش، هدى: حقيقة يهود الدونمة في تركيا "وثائق جديدة"، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٣، ص ٥.

^٢ - زهر الدين، اليهود في تركيا ٥٠٠ عام، ص ٩.

وممتلكاتهم^(١) ورغم الحرية التي منحت لهم إلا أنهم استمروا في العيش في أحياء مغلقة ومنفصلة عرفت باسم "الغيتو"^(٢) الذي ظهر لأول مرة في أوروبا في مطلع القرن السادس عشر وعملوا بداية على عدم الاندماج مع المجتمع العثماني، إلا أنَّ الدولة العثمانية سعت إلى تنظيم العلاقات بين اليهود وباقي الطوائف الأخرى من المسلمين وغير المسلمين داخل أراضيها وفق "نظام الملة"^(٣) وهو نظام يقوم على أساس تصنيف رعايا الدولة غير المسلمين تصنيفاً لا يقوم على أساس الجنس أو القومية أو اللغة، بل على أساس المذهب الديني، فعامل السلاطين العثمانيون اليهود وغيرهم من "أهل الذمة" معاملة حسنة^(٤).

^١ - حمدان، محمد عبدالله: الجماعات اليهودية في تركيا ودورها في الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية التركية، دار زمان للطباعة والنشر، دمشق، ٢٠١١، ص ٣١.

^٢ - الغيتو: كلمة استخدمت بشكل خاص للإشارة إلى أحياء اليهود في أوروبا، حيث أقيم أول حي يهودي أطلق عليه كلمة "غيتو" في البندقية في العام ١٥١٦. و"الغيتو" هو ملاذ اليهودي هرباً من العالم الخارجي، إذ يمارس فيه طقوسه الخاصة انظر: المسيري، عبد الوهاب: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق، ط ١، ٢٠٠٦، ج ٤، ص ٤١٢ - ٤٢٤.

^٣ - نظام الملة: نتيجة لطبيعة التنوع السكاني للدولة العثمانية، وللتأكيد على الحرية الدينية للأقليات الدينية، الأمر الذي أدى إلى ارتفاع مستوى الحقوق والحريات بالنسبة لليهود والمسيحيين، وفرضت الطبيعة الطائفية للمجتمع العثماني على السلاطين العثمانيين تنظيماً إدارياً خاصاً لغير المسلمين، وهو المعروف بـ "نظام الملة" الذي يرجع بأصوله إلى عقد أهل الذمة والعهد العمرية عام ١٥ هـ / ٦٣٧ م بما لا يخالف القواعد الشرعية الإسلامية، وقد ركز نظام الملة على تنظيم رعايا الدولة العثمانية غير المسلمين إدارياً في مؤسساتهم الخاصة بالاتفاق مع النظام العام للدولة واستمرارها. وعاشت الطوائف غير المسلمة تحت سيادة الدولة الإسلامية خاضعين لقوانين وأحكام خاصة بها تقرها النخبة الحاكمة المسلمة، حيث نظمت الدولة العثمانية المستأمنين والذميين، وظهر هذا النظام بالتدريج نتيجة لجهود الإدارة العثمانية الآخذة بتأسيس مجتمع عثماني يتصف بالمواطنة والولاء ونتيجة لطبيعة التنوع السكاني للدولة العثمانية. انظر: Kamal H, karpat, ' Millets and Nationalit, The Roots Of the

Incongruity Of Nation and State in the post- Ottoman' in: Benjamin Braude and Bernard lewis, Christians and jews in the Ottoman Empire: The Functioning Of aplural Society (New york: Holmes and Meier publishers, 1982, P 141-142

^٤ - أهل الذمة: من العقود والمواثيق الأولى التي شرع المسلمون العمل فيها، عقد أهل الذمة بعد فتح مكة سنة ٩ هـ بعد أن نزلت الآية الكريمة، بقوله تعالى " قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أتوا الكتاب حتى يُعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون" القرآن الكريم، الكريم " سورة التوبة" الآية ٢٩ وكان الهدف احتمال دخول الذمي في الإسلام عن طريق مخالطته للمسلمين وإطلاعه على شرائع

يمكن عد وجود اليهود في ظل الدولة العثمانية "العصر الذهبي" بالنسبة لليهود كما يسميه البعض، بسبب ما اكتسبوه من مزايا في ظل الدولة العثمانية، والتسامح الديني الذي نعموا به، مما مكنهم من العمل بحرية في مختلف مرافق الدولة، والسماح لهم ببناء معابدهم الدينية^(١) ولا بدّ من توضيح تواجدهم في ظل حكم السلاطين العثمانيين الأوائل والسياسة التي اتبعوها تجاه اليهود في المناطق المفتوحة وذلك لمعرفة طبيعة الحياة التي عاشها اليهود في ظل الدولة العثمانية.

فقد تأسست الدولة العثمانية فيعام ١٢٩٩^(٢) وتوسعت بجهود سلاطينها الأوائل حتى أصبحت امبراطورية عظيمة شملت مساحة واسعة من العالم ممتدة في قارات ثلاث آسيا وإفريقيا وبعض أجزاء من أوروبا^(٣)، ومن هنا ظهر عالم جديد عرف بعالم الهيمنة الإسلامية العثمانية مع احتفاظ أصحاب الديانات الأخرى بأحقّيتهم وحرّياتهم الدينية، فعاشوا مع المسلمين جنباً إلى جنب في ظل التسامح الاسلامي سواء كانوا يهوداً أو مسيحيين^(٤).

فعندما سيطر السلطان أورخان بن عثمان (١٣٢٦ - ١٣٦٢)^(٥) على مدينة بورصة شجع اليهود على الاستقرار في بورصة وذلك لتنشيط اقتصاد المدينة^(٦) وسمح لهم بإقامة معبد لهم فيها

الإسلام وليس المقصود من العقد تحصيل المال. انظر درادكه، حلمي خليفة علي: يهود القدس في النصف الأول من القرن التاسع عشر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ٢٠١٤، ص٦٩. وأهل الذمة مصطلح فقهي إسلامي، يقصد به كلاً من اليهود والمسيحيين، "أهل الكتاب" الذين يعيشون تحت الحكم الإسلامي.

^١ - زهر الدين: اليهود في تركيا، ص٧.

^٢ - الدسوقي، محمد كمال: الدولة العثمانية والمسألة الشرقية، القاهرة، دار الثقافة للطباعة والنشر، ١٩٧٦، ص١٢.

^٣ - كوبريلي، محمد فؤاد: قيام الدولة العثمانية، ترجمة أحمد السعيد سليمان، مصر، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ١٩٦٨، ص١٧٩ - ١٨١.

^٤ - درويش، هدى: العلاقات التركية - اليهودية وأثرها على البلاد العربية منذ قيام دعوة يهود الدونمة إلى نهاية القرن العشرين، ج١، دمشق، دار القلم، ٢٠٠٢، ص١٦٠.

^٥ - السلطان أورخان الأول: ولد في العام ١٢٨٨ تولى السلطنة بعد وفاة أبيه عثمان، نقل عاصمة الدولة إلى مدينة بروسة وسك النقود ووحّد زي الجيش وتنظيماته، وأنشأ الجيش الذي عرف بالجيش "الانكشاري" وقام بتوسيع مملكته بعد حروب خاضها ضد اليونان وحقق فيها انتصاراً كبيراً وتوفي في العام ١٣٦٢. انظر: عزتلو، يوسف بك آصاف: تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٩٩٥، ص٣٣ - ٣٤.

^٦ - Levy: The Sepherdim..., p, 21-23.

كما سمح لهم بتأسيس حي خاص بهم بناءً على طلبهم حتى يتمكنوا من الحفاظ على عاداتهم وتقاليدهم، فأسس لهم حياً باسم "حي اليهود" في بورصة وبهذا يكون السلطان أورخان أول سلطان عثماني أعطى لليهود حريتهم الدينية^(١)، واستمرت هجرة اليهود إلى أراضي الدولة العثمانية، فعندما قام السلطان مراد الأول (١٣٦٠ - ١٣٨٩)^(٢) بنقل العاصمة من بورصة إلى أنقرة تجمع عدد كبير من اليهود في أنقرة للعمل، وامتلكوا المحلات الكثيرة فيها^(٣).

حاولت الدولة العثمانية أن تكون مركز جذب لليهود للاستفادة من غناهم وأموالهم ومهارتهم في التجارة، ففي فترة حكم السلطان مراد الثاني (١٤٢١ - ١٤٥١)^(٤) وبسبب ما عرف عنه من تسامح هاجر عدد كبير من اليهود الأوروبيين إلى الدولة العثمانية، وسمح لهم بامتلاك الأراضي والمحلات التجارية^(٥).

وحينما سيطر السلطان محمد الفاتح (١٤٥١ - ١٤٨١)^(٦) على القسطنطينية في العام ١٤٥٣م، أمر قادته ألا يهدموا الكنائس والمعابد، مؤكداً ضرورة أن يعيش كل الأهالي آمنين على

١- أوغلو، أحمد حكمت آر: اليهود في الدولة العثمانية حتى القرن التاسع عشر، ترجمة أحمد عبد الله نجم، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص ١٤٣-١٤٤.

٢- السلطان مراد الأول: ولد في العام ١٣٢٤، قاد الجيوش لفتح أوروبا وفتح أدرنه عام ١٣٦٢ ثم جعلها مركز السلطنة في العام ١٣٦٦، وفتح بعض مدن البلقان وعقد معاهدة صلح مع ملك اليونان، وأنشأ "نظام الديوان" للجنود والفرسان. وأنشأ نظام المقاطعتين الروملي والأناضول، توفي عام ١٣٨٩. انظر: عزتلو، تاريخ سلاطين بني عثمان، ص ٣٥-٣٦.

٣- حرب، محمد: العثمانيون في التاريخ والحضارة، المركز المصري للدراسات والبحوث، القاهرة، ١٩٩٤، ص ١٥.

٤- السلطان مراد الثاني: السلطان السادس من سلاطين بني عثمان، ولد عام ١٤٠٣ فتح سلاتيك وخاض حروباً في البلقان ضد مملكة الصرب والباينا وهنغاريا، وكان محباً للشعر واللغة العربية. انظر: عزتلو، تاريخ سلاطين بني عثمان، ص ٤٦-٤٧.

٥- مناور، ضمياء عزيز: يهود الدونمة والدولة العثمانية (١٨٧٦-١٩١٨) دراسة تاريخية، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، ٢٠١٣، ص ٢٦.

٦- السلطان محمد الفاتح: ولد سنة ١٤٢٩ وهو سابع سلاطين بني عثمان، فتح القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية ١٤٥٣، وفتح بلاد الموره سنة ١٤٥٨، وفي سنة ١٤٦٢ حارب بلاد البوسنة وأخضعها لسلطانه، وهو من أطلق على الحكومة العثمانية اسم "الباب العالي" وأنشأ عدة جوامع في القسطنطينية، والكثير من المكاتب الابتدائية

أرواحهم وممتلكاتهم، معترفاً بجماعة "القرائين"^(١) بصفتهم جماعة منفصلة عن الجماعات اليهودية الأخرى، وكلف موشي قابصال الحاخام الأكبر في عهد البيزنطيين بمسؤولية إدارة شؤون اليهود الدينية والاجتماعية^(٢)، كما قام بمنح اليهود الامتيازات نتيجة لترحيبهم به، وسمح لهم بالهجرة من مناطق سكوب وسلانيك وأسكنهم حياً خاصاً بهم في إسطنبول لأنه كان بحاجة لوجود سكان في هذه المنطقة، وفي عهده أيضاً شهدت سلانيك التي فتحها السلطان مراد الثاني عام ١٤٣٠ هجرة يهودية واسعة من أوروبا وبالتحديد في عام ١٤٧٠م إذ سمح لليهود البافاريين بالاستقرار في سلانيك وتشكيل أول مجتمع يهودي اشكنازي فيها^(٣) حيث وجد في سالونيك (١٥٠٠) يهودي اشكنازي وحتى العام ١٥٣٠ ارتفع عددهم إلى نحو (١٨٠٠)، وهذا يدل على استمرار هجرتهم إلى جانب توافد يهود السفارديم، واستمرت الهجرة اليهودية من وسط أوروبا إلى الآستانة وسلانيك اللتين عدتا مركزاً رئيسياً لتجمع يهود أوروبا، وأسهم كل ذلك في الازدهار الاقتصادي لهاتين المدينتين^(٤).

أما فترة حكم السلطان بايزيد الثاني (١٤٨١ - ١٥١٢)^(٥) فقد شكلت نقطة تحول في تاريخ اليهود العثمانيين فقد وصل اليهود إلى دولته في شكل مجموعات كبيرة، بعد سقوط غرناطة التي

والمدارس العالية. انظر: المحامي، محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، ط١، ١٩٨١، ص ١٦٠ - ١٧٨.

١- اليهود القرائين: سميت هكذا لأنهم كانوا يشتغلون بكتابة الشريعة وتلاوتها وعرف القراؤون بالحكماء والوعاظ، وأخذت كلمة القراؤون حسبما ورد في المصادر العبرية من الفعل قرأ أو المقرأ وتعني القراءة أو النص المقروء وفق العقل لما هو مكتوب في التوراة "العهد القديم" وأصلها قرائيم بمعنى الذين يقرؤون التوراة. انظر: أبو عبد الله محمد بن ابي بكر بن قيم الجوزية، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، تحقيق عثمان جمعة، اشرف بكر أبو زيد، القاهرة، دار عالم الفوائد، (د.ت)، ص ٣١٠-٣١٢. للمزيد حول فرقة القرائين راجع حسن: جعفر هادي، فرقة القرائين اليهود، مؤسسة الفجر، بيروت- لندن، ط١، ١٩٨٩.

٢- النعيمي، أحمد نوري: اليهود والدولة العثمانية، مؤسسة الرسالة، دار البشير، بيروت، ط١، ١٩٩٧، ص ٢٧.

٣- السعدي، سنان صادق: موقف جمعية الاتحاد والترقي من الحركة الصهيونية ١٨٨٩ - ١٩١٤، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، ٢٠٠٥، ص ١١ - ١٢.

4 - Levy, The Sepherdim...p, 7.

٥- السلطان بايزيد الثاني: تولى الحكم سنة ١٤٨١م وكان ميالاً للسلم أكثر من الحرب محباً للعلوم الأدبية مشغولاً بها، فسماه بعض مؤرخي الترك "بايزيد الصوفي" ومع ذلك اضطر لخوض العديد من الحروب فقد حارب دولة

كانت آخر معاقل العرب المسلمين في شبه الجزيرة الإيبيرية عام ١٤٩٢م، وقيام السلطات الإسبانية كما أشرنا سابقاً بطرد اليهود من إسبانيا، واستقرت تلك المجموعات في الآستانة وأدرنه وسلانيك، حيث سمح لهم بالهجرة إلى المدن العثمانية دون قيد أو شرط فكثر تجارتهم وازدادت ثروتهم ونعموا بحياة رغيدة، ومارسوا كافة أنواع المهن فعملوا في الصناعة والتجارة والطب، كما أعطاهم الحرية التامة والإقامة في جزيرة ساقيز^(١).

وقد عبر السلطان بايزيد الثاني عن ترحيبه بالهجرة اليهودية إلى الدولة العثمانية، إذ عدهم مصدر غنى وتقدم للدولة، بقوله: "إنني مندهش من الذين يقولون إنَّ فرديناند ذكي وقد فعل ما فعل، لقد أفقر مملكته عندما طرد اليهود وأنا سوف أغني دولتي بهم"^(٢).

من هذا القول يتبين لنا مدى إدراك السلطان بايزيد للقوة الاقتصادية التي يتمتع بها اليهود وقدرتهم على تنشيط اقتصاد الدولة، ويقينه بأنَّ وجودهم في الدولة سيحقق المكاسب المادية التي كانت تسعى الدولة العثمانية عبر تاريخها لجمع أكبر قدر ممكن من الأموال وبكافة الطرق والوسائل.

وبعد السيطرة العثمانية على بلاد الشام سنة ١٥١٦ في عهد السلطان سليم الأول (١٥١٢-١٥٢٠)^(٣) حدثت هجرة يهودية كبيرة إلى هذه المناطق بشكل ملحوظ، مما أدى إلى زيادة أعداد اليهود في هذه المناطق فمع حلول العام ١٥٤٨ وجد اليهود بأعداد متزايدة في دمشق، فضلاً عن تواجدهم في المدن ذات الأهمية الاقتصادية كحلب وبغداد والقاهرة ورشيد وغالبية هؤلاء اليهود من السفارديم والاشكنازيم وحدثت هذه الهجرات في القرن الخامس عشر وازدادت في القرن السادس عشر

الممالك وعقد الصلح معها، ثم تنازل عن الحكم لابنه سليم الأول ١٥١٢ بعد أن أرغمته الانكشارية على ذلك. انظر: المحامي: تاريخ الدولة العلية، ص ١٧٩-١٨٧.

^١ - النعيمي، اليهود والدولة العثمانية، ص ٢٥.

^٢ - Hassan Kayli, Jewish Representation In the Ottoman Parliaments, U.S.A. 1994, p, 152

^٣ - السلطان سليم الأول: ولد عام ١٤٨٠ واستلم الحكم عام ١٥١٢ - ١٥٢٠، تميز عهده عما سبقه من العهود بأن الفتوحات تحولت في أيامه من الغرب الأوروبي إلى الشرق العربي حيث اتسعت رقعة الدولة اتساعاً كبيراً ضمت بلاد الشام والعراق والحجاز وتهامة ومصر، وأدى ذلك إلى ازدهار الدولة العثمانية في أيامه فقد أصبحت تضم طرق التجارة البرية والبحرية. انظر: عزتلو، تاريخ سلاطين بني عثمان، ص ٥٧-٥٩.

مع زيادة التوسع العثماني فازدادت أعداد اليهود الوافدين إلى أراضي الدولة العثمانية التي أصبحت ملجأهم الوحيد من الاضطهاد الأوروبي، إضافة لوجود فرصة لممارسة كافة أنشطتهم الاقتصادية نتيجة للحرية والأمن الذي توفر لهم^(١).

شهدت الأحداث تطوراً لصالح يهود الدولة العثمانية في عهد السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠ - ١٥٦٦)^(٢). عندما تزوج من فتاة يهودية روسية تدعى "روكسلانة"^(٣) فكان ذلك أحد أسباب حصول اليهود على المزيد من الامتيازات في عهده؛ الذي شهد بداية التغلغل اليهودي الحقيقي في قصور سلاطين بني عثمان، فقد دخل الكثير من الأطباء اليهود إلى القصر العثماني، وخصص لفقراء اليهود مساكن في سلاطيك ومنحهم الأموال اللازمة^(٤)، فعدت فترة حكم سليمان القانوني من أزهى الفترات التي عاشها اليهود في الدولة العثمانية، ففي العام ١٥٢٢ تمكن السلطان القانوني من السيطرة على جزيرة رودوس، فقام بنقل اليهود الذين استقروا في جزيرة ساقيز إليها، ومنحهم امتياز استخراج الكبريت من مناجم انجرلي فأعطاهم بذلك إمكانية الثراء^(٥) وفي العام ١٥٢٦ سيطر على بودابست في هنغاريا، وقام بتخصيص سفن لنقل اليهود الفقراء من هنغاريا إذ قام بنقل ما يقرب من ألف أسرة يهودية إلى الأستانة وأرسل قسماً منهم إلى سلاطيك وسائر أجزاء الدولة^(٦).

^١ -Levy, The Sepherdim...p, 12.

^٢ - السلطان سليمان القانوني: ولد في طرابزون في العام ١٤٩٤ وتولى الحكم عام ١٥٢٠، عرف في أوروبا باسم "سليمان العظيم" إذ تميز عهده بالفتوحات شرقاً وغرباً ولقب بالقانوني لأنه قام بإدخال تعديلات على القوانين في الدولة وإصلاح نظام القضاء. انظر: الكيالي، عبد الوهاب: الموسوعة السياسية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٩٣، ج٣، ص٤١.

^٣ - روكسلانة: فتاة يهودية روسية أهداها ملك القرم للسلطان سليمان في القرن الخامس عشر، ولشدة جمالها أغرم بها السلطان القانوني فاتخذها زوجة له وسماها "خرم سلطان" وأصبح لها نفوذ قوي في القصر في الوقت الذي كان فيه اليهود في روسيا وإسبانيا يتعرضون للقتل والحرق والتشريد، فتمكنت بفضل نفوذها من الحصول على إذن بالسماح لليهود باللجوء إلى البلاد العثمانية وبدأت الهجرة على شكل مجموعات. انظر: طوران، مصطفى: أسرار الانقلاب العثماني، ترجمة كمال خوجة، دار السلام، بيروت، ط٣، ١٩٨٠، ص١٢-١٣.

^٤ - عامر: محمود علي: تاريخ الماسونية ويهود الدونمة، دار الصفا، دمشق، ط٢، ٢٠٠٧، ص٧٢-٧٦.

^٥ - النعيمي: اليهود والدولة العثمانية، ص٢٦-٣٥.

^٦ - الدسوقي: الدولة العثمانية...، ص٥٧.

ويرجع سبب هذا الاهتمام باليهود من قبل السلطان سليمان القانوني نتيجة لتأثير زوجته وأم ولي عهده اليهودية روكسلانة، فضلاً عن رغبته بالحصول على ولائهم في المناطق المفتوحة.

يمكن عد القرن السادس عشر حقبة ذهبية في تاريخ اليهود اللاجئين إلى الدولة العثمانية بممارستهم الحرية الدينية فيها إلى جانب الحرية التجارية، فضلاً عن إتقانهم اللغات الأوروبية واهتمامهم بالتجارة وخبرتهم في أمور المال والصيرفة وعلاقاتهم بالدول الأخرى عوامل ساعدت على تسلمهم وظائف مهمة في الدولة العثمانية، كما أنّ الفترة التي قدم فيها يهود إسبانيا إلى الدولة العثمانية شهدت مرحلة توسع وامتداد، حملت معها أولئك اليهود الذين خسروا ثرواتهم وكان معظمهم أصحاب مهن ومهرة في الصناعة والتجارة، فأمدوا الدولة العثمانية بعناصر وخبرات نوعية^(١).

ونتيجة لتأثير زوجات السلاطين وأمهاتهم اليهوديات كروكسلانة ونوربانو زوجة السلطان سليم الثاني (١٥٦٦ - ١٥٧٤)^(٢) ازداد نفوذ اليهود في القصر العثماني وزادت مناصبهم، وبرز الثري اليهودي "يوسف منده ناسي"^(٣) الذي دخل في خدمة السلطان سليم الثاني نتيجة لمعرفته بالأمور السياسية وعلاقته ببعض الدول الأوروبية، وأينما حل اليهود في الدولة العثمانية وجدوا المعاملة الكريمة وفقاً لأحكام الشريعة الإسلامية كما وجدوا الرفاهية والحرية في ظل الدولة العثمانية حيث منحتهم الحكومة العثمانية الأراضي الزراعية وخصتهم بالإعفاءات الضريبية^(٤)، إلا أنهم سعوا رغم ذلك للالتجاء إلى الحماية الأجنبية ولا سيما الاشكنازيون منهم، وهذا قد ناسب مصالح الدول الأجنبية، فتنافس قناصلها لحماية اليهود، من أجل أن يكونوا حجة للتدخل في شؤون الدولة العثمانية، ففي عام ١٨٥٠ دخل أكثر من (٥٠٠٠) اشكنازي تحت الحماية الأجنبية، وتمتع

١- النعيمي: اليهود والدولة العثمانية، ص ٤٠.

٢- السلطان سليم الثاني: ولد عام ١٥٢٤ وتولى الحكم عام ١٥٦٦، وعمره أربع وأربعون سنة واستمر في الحكم لمدة ثمان سنوات وخمسة أشهر، وفي عهده فتحت قبرص عام ١٥٧٠م. انظر: حليم: إبراهيم بك، التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية، ديوان عموم الأوقاف، ط ١، ١٩٠٥، ص ٩٦ - ١٠٠.

٣- يوسف منده ناسي: ولد في البرتغال في بداية القرن السادس عشر، ومات في الأستانة سنة ١٥٧٩، لجأ إلى الدولة العثمانية عام ١٥٤٤ في عهد السلطان سليمان القانوني، وأصبح مسؤولاً عن مصرف الأستانة ومسؤول عن الضرائب الزراعية في الإدارة العثمانية، وبعد تولي السلطان سليم الثاني الحكم أصبح من المقربين لديه. انظر: ناجي: سليمان، المفسدون في الأرض، بيروت، ط ٢، ١٩٧٩، ص ٣٢١.

٤- النعيمي: اليهود والدولة العثمانية، ص ٢٨.

(٣٠٠٠) منهم بالحماية النمساوية، و (١٠٠٠) كانوا مسجلين في القنصلية البريطانية، والباقي تحت حماية القنصليات البروسية والهولندية والروسية.^(١)

وعلى الرغم من حالة الضعف التي أصابت الدولة العثمانية إلا أنَّ اليهود حافظوا على مراكزهم الاقتصادية والاجتماعية فيها، مستفيدين من حسن معاملة السلاطين العثمانيين لهم حالهم حال باقي الرعايا من أهل الذمة، الذين كانوا يعيشون في كنف الدولة العثمانية^(٢)، وكان للسلطان عبد المجيد الأول (١٨٣٩-١٨٦١م)^(٣) دور كبير في الحفاظ على حقوق أهل الذمة، فقد قام بإصدار مرسومين خاصين بأهل الذمة من اليهود والمسيحيين جاء فيهما: الأول وهو خط شريف كلخانة: يقضي بالمساواة التامة في الحرية الدينية لكل المواطنين في الدولة العثمانية، الذين يتبعون أصول الديانات الثلاث، والثاني وهو خط همايون جاء فيه: لكي تستطيع كل طائفة أن تمارس تعاليم دينها بحرية كاملة دون تدخل يحق لكل مواطن يعبد الله تبعاً لأوامر دينه، ولا يجبر أي شخص على ترك دينه ومعتقدده. ما هي اسماء هذه المراسيم وفي اي عام كما أصدر السلطان عبد المجيد في عام ١٨٥٤م بياناً بمناسبة زيارة مندوب عائلة روتشيلد^(٤) الأراضي العثمانية، ورد فيه أن السلطنة العثمانية

^١ - وحتى نهاية القرن التاسع عشر يذكر أنَّ عدد الطائفة اليهودية في الدولة العثمانية وولاياتها بلغ نحو (٣٥٠) ألف

يهودي يعيش (٩٠) ألف منهم في الجزء الأوروبي من الدولة العثمانية، والباقي في كل من آسيا وإفريقيا أما المدن الرئيسية في الدولة العثمانية، التي كانت تضم أكبر الطوائف اليهودية فهي الآستانة التي وجد فيها ما يقرب ال (٤٥) ألف يهودي، وفي بغداد (٣٠) ألف يهودي، أما في أزمير ذات الأهمية التجارية فقد وجد فيها (٢٥) ألف يهودي، وفي حلب (١٠) آلاف يهودي، وفي دمشق (٨) آلاف يهودي، وفي القدس (٢٢) ألف يهودي. انظر: Samuel S. Cox: Diversions Of a Diplomat In Turkey, New York, Charles L. Webster, 8co, 1887, p, 189.

^٢ - السعدي: موقف جمعية الاتحاد والترقي، ص ٢٤، ٢٥.

^٣ - السلطان عبد المجيد الأول: كان السلطان عبد المجيد الأول ضعيف البنية شديد الذكاء، أحب الإصلاح و أدخل التنظيمات الحديثة، تولى الحكم سنة ١٨٣٩ وكان عمره ستة عشر، وبدء عهد جديد سمّي عهد التنظيمات الخيرية العثمانية التي كان من بينها احترام الحريات العامة والممتلكات والأشخاص بصرف النظر عن معتقداتهم الدينية ونص فيه على مساواة جميع الأديان أمام القانون. انظر: حسنين، سلاطين الدولة العثمانية، ص ٤٤٥.

^٤ - عائلة روتشيلد: عائلة من رجال المال اليهود، تحولوا تدريجياً إلى رأسماليين من أعضاء الجماعات اليهودية، وأصل هذه العائلة من فرانكفورت في القرن السادس عشر، وحققت هذه العائلة مكانة بارزة في عالم المال والبنوك في أوروبا بدءاً من القرن الثامن عشر وحتى القرن العشرين، دعمت هذه العائلة المشروع الصهيوني في فلسطين، وقامت بتأسيس فروع لبيت روتشيلد في خمسة دول أوروبية هي بريطانيا، فرنسا، النمسا، إيطاليا، ألمانيا، وتراجعت أهمية

تحافظ على حقوق اليهود في أراضيها، وقد وصلت هذه السياسة المتسامحة أوج قوتها عام ١٨٥٦ بصدر مرسوم الإصلاحات الذي يعرف باسم خط همايون^(١) الذي يتضمن الحفاظ على أرواح كل الرعايا وأبناء كل الديانات دون أي تمييز بينهم^(٢).

وفي عهد السلطان عبدالعزيز (١٨٦١-١٨٧٦)^(٣) صدر قانون خاص بمنح اليهود حق التمثيل في مؤسسات الدولة التي كان محرماً عليهم الدخول فيها، كما يحق لهم العمل في الوظائف الرسمية والالتحاق بالمدارس الرسمية سواء كانت عسكرية أو حديثة، ويحق لهم تأسيس مدارس خاصة بهم مع إشراف الحكومة على مضمون المناهج التعليمية في هذه المدارس، وأُلغيت ضريبة الجزية التي كانت مفروضة عليهم، وبهذا أصبح لليهود الحق في العمل في الأجهزة الحكومية والمدارس والجيش في الدولة العثمانية^(٤).

وفي عهد السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦-١٩٠٩)^(٥) شهدت الدولة العثمانية هجرة أعداد كبيرة من اليهود الفارين من روسيا عام ١٨٨٢م الذين تعرضوا للاضطهاد على إثر اغتيال

عائلة روتشيلد مع نمو النظام المصرفي الرأسمالي الحديث. انظر: المسيري، موسوعة اليهود واليهودية، مج ٣، ص ١٢٥-١٢٨.

١- خط همايون: أصدره السلطان عبد المجيد الأول تضمن إلغاء نظام الالتزام، والقضاء على الرشوة والفساد، والمساواة في التجنيد بين المسلمين وغير المسلمين، ومعاملة جميع رعايا الدولة معاملة متساوية مهما كانت أديانهم ومذاهبهم، المحافظة على الحقوق والامتيازات التي تمتع بها رؤساء الملل غير الإسلامية، القضاء على حواجز نظام الملل، السماح للأجانب بامتلاك الأراضي في الدولة وفتح معاهد للتعليم. انظر: حسنين، سلاطين الدولة العثمانية، ص ٤٤٨.

٢- درويش: العلاقات التركية اليهودية، ج ١، ص ١٨٤.

٣- السلطان عبد العزيز: تولى الحكم سنة ١٨٦١م، وفي عهده تفجرت ثورة في جزيرة كريت عام ١٨٦٣ وأُخمدت، وتم فتح قناة السويس ١٨٦٩، وفي عهده ازداد الضغط الأوروبي على الحكومة العثمانية للاستمرار في الإصلاح والنهوض على النهج الغربي، فصدر قانون الولايات عام ١٨٦٤ الذي كان من أهم إصلاحاته الإدارية، وأسست مدرسة للتأنيوية (غلطة سراي) سنة ١٨٦٨، وأجرى العديد من الإصلاحات في الأمور القضائية. انظر: حسنين، سلاطين الدولة العثمانية، ص ٤٦٥.

٤- درويش: العلاقات التركية اليهودية، ص ١٨٦، ١٨٧.

٥- السلطان عبد الحميد: ولد في عام ١٨٤٢ واستلم الحكم عام ١٨٧٦ بعد خلع السلطان مراد الخامس، وحكم مدة ثلاثة وثلاثين سنة وقد تولى الحكم وكانت الدولة العثمانية تمر بمرحلة صعبة في تاريخها، حيث ظهرت الحركات

قيصر روسيا ألكسندر الثاني عام ١٨٨١م، ورحب السلطان عبد الحميد الثاني بالمهاجرين الجدد في الدولة العثمانية، وسمح لهم بالعيش في أي جهة من الدولة العثمانية^(١).

عدت مرحلة حكم السلطان عبد الحميد الثاني من أشد مراحل الدولة العثمانية دقة وخطورة على الصعيدين الداخلي والخارجي، فعلى الصعيد الخارجي سعت الدول الأوروبية لفرض الإصلاحات عليها والتي كانت قد بدأتها من عهد السلطان محمود الثاني، أما على الصعيد الداخلي فقد تحالفت ضده الجمعيات القومية التركية ويهود الدونمة^(٢)، مما أشعر السلطان عبد الحميد

القومية في البلقان إضافة إلى حركات العصيان في البوسنة والهرسك وبلغاريا، فضلاً عن الأزمة المالية التي كانت تعاني منها الدولة العثمانية في تاريخها، حيث ظهرت الحركات القومية في البلقان إضافة إلى حركات العصيان في البوسنة والهرسك وبلغاريا، فضلاً عن الأزمة المالية التي كانت تعاني منها الدولة العثمانية في تاريخها، وفي مثل هذه الظروف الداخلية والخارجية أصدر السلطان عبد الحميد أول دستور للدولة عرف بالقانون الأساسي وعرفت الفترة التي واكبته بعهد "المشروطية الأولى" انظر: اوغلي، عائشة عثمان: والدي السلطان عبد الحميد، ترجمة صالح سعادوي، دار البشير، عمان، ط١، ١٩٩١، ص ١١ - ٢٠.

^١ - بيات، فاضل: دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني "رؤية جديدة في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية" بيروت، دار المدار الإسلامي، ط١، ٢٠٠٣، ص ٤٦١ - ٤٦٢.

^٢ - يهود الدونمة: الدونمة كلمة تركية تعني الرجوع أو العودة أو الارتداد، وهم اليهود المتظاهرون بالإسلام، ويسعون إلى تحقيق الأهداف نفسها التي تدعو لها الصهيونية في إنشاء الإمبراطورية العالمية، ويعد سبتاي زيفي المؤسس الحقيقي لليهود الدونمة، وهو يهودي من أصل إسباني، هاجر من إسبانيا إلى تركيا مستغلاً سياسة التسامح الديني التي أعلنتها الدولة العثمانية وأصبح حاخام أزمير إثر تعلمه التوراة والتلمود، وادعى أنه المسيح المنتظر الذي سيحرر القدس ويتخذها عاصمة للدولة اليهودية وعندما علمت الدولة بأمره اعتقالته وجرت محاكمته وخُير بين الموت أو اعتناق الإسلام فقرر اعتناق الإسلام في الظاهر والبقاء على يهوديته في الباطن، وسمي محمد عزيز أفندي وعين رئيساً للحجاب، ودخل معه في الإسلام عدد من اليهود المبطنين باليهودية. انظر: الكاظم، إلهام محمود: دور يهود الدونمة في انهيار الدولة العثمانية "جامعة الكوفة، ع٧، آيار، ٢٠١٢، ص ١٥٨ - ١٦١. وأسهمت فرقة يهود الدونمة في هدم القيم الإسلامية في المجتمع العثماني وعملت على نشر الأفكار الغربية الهدامة، وسعت مع بقية الطوائف اليهودية في التآمر على الدولة العثمانية وسيادتها، وتجلت قمة الدور التآمري لليهود الدونمة عندما بدأوا في التخطيط لمحاولة خلع السلطان عبد الحميد الثاني وذلك بالتعاون مع محفل الشرق الأعظم الماسوني في بداية عام ١٩٠٠، وتأكدت هذه الحقيقة بأن الانقلاب الذي حصل عام ١٩٠٨ كان بتخطيط من اليهود والماسونية بصورة مباشرة، وبعد هذا الانقلاب سيطر يهود الدونمة على مقدرات الدولة العثمانية وزجوا بها في الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ -

١٩١٨. انظر: رميض، صباح مهدي: يهود الدونمة والدولة العثمانية حتى سقوطها، مجلة ديالي، العدد الحادي

والعشرون، ٢٠٠٥.

بضرورة إيجاد وسيلة لضرب هذين العدوين فابتدع فكرة الجامعة الإسلامية لكسب رجال الدين الإسلامي^(١).

لقد تعامل السلطان عبد الحميد مع يهود الدولة معاملة طيبة، كما تعامل مع حاخام اليهود كما يتعامل مع كبار موظفي الدولة، واتخذ تقليداً بأن يرسل سنوياً في عيد الفصح إلى حاخام الآستانة مبلغاً من المال لتوزيعه على فقراء اليهود في العاصمة العثمانية، وفي عام ١٨٨٢ شبَّ حريق في الحي اليهودي (حسكني) فتشردت ستة آلاف عائلة يهودية في الآستانة، فسعى السلطان عبد الحميد لتخفيف آثار هذه الكارثة عن اليهود، وفي العام ١٨٩٦ أنعم بالوسام الحميدي على حاخام باشي الطائفة الإسرائيلية في مصر وتوابعها^(٢).

وبالرغم من المعاملة الطيبة التي كان يلقاها يهود الدولة العثمانية من قبل السلطان عبد الحميد الثاني إلا أنهم أدوا دوراً بارزاً في الإطاحة به وخلعه عن العرش في عام ١٩٠٩م، لا سيما بعد أن لمسوا منه تمييزاً واضحاً بين اليهودية كدين والصهيونية^(٣) كحركة سياسية تعمل على اغتصاب فلسطين التي كانت تعد إحدى ممتلكات الدولة العثمانية، وأكد المؤرخون أنَّ اليهود في عهد السلطان عبد الحميد الثاني عوملوا معاملة طيبة حققوا من خلالها وجودهم في الدولة وفي أرجاء السلطنة كمواطنين لهم نفس حقوق باقي رعايا الدولة العثمانية^(٤).

١- عامر: تاريخ الماسونية ويهود الدونمة، ص ١٥٤-١٥٩.

٢- درويش: العلاقات التركية اليهودية، ص ٣٦٦-٣٦٧.

٣- الصهيونية: هي حركة استعمارية استيطانية تسعى إلى تجميع اليهود في فلسطين. انظر: المسيري: موسوعة اليهود واليهودية، ج ٦، ص ٢.

٤- زهر الدين، اليهود في تركيا، ص ١٥-١٧.

يلاحظ مما سبق: أنَّ سلاطين آل عثمان أخذوا يعملون على استقطاب اليهود وإسكانهم في أراضي السلطنة العثمانية لأسباب يعزوها البعض لسياسة التسامح الديني التي سادت في الدولة العثمانية، والبعض الآخر يرجعها لحاجتهم للسكان في المناطق المفتوحة، والآخر لقيامهم بتقديم المساعدة لهم في توسعاتهم، والسبب الأهم كما ذكره السلطان بايزيد الثاني للاستفادة من خبرتهم المالية والاقتصادية، وأياً كان السبب فقد توافد اليهود إلى أراضي الدولة وولاياتها في المشرق والمغرب وتغلغلوا في مرافق الدولة وسيطروا على مقدرات البلاد، ولاسيما المرافق الاقتصادية كالطب والصيرفة وسعوا للتغلغل في المدن ذات المراكز التجارية الحساسة كبغداد ودمشق وحلب والقاهرة وسانليك وغيرها من المدن الهامة.

وقد عاش اليهود في الدولة العثمانية وتحذثوا العربية بطلاقة وانخرطوا في المجتمع، وشاركوا في مختلف مجالات العمل الاقتصادي والاجتماعي والسياسي وحققوا نجاحاً واسعاً، وحظوا بالكثير من التشريعات التي كفلت لهم حقوقهم، والتزمت الدولة العثمانية بتطبيق القاعدة السياسية للدولة الإسلامية تلك القاعدة التي فتحت المجال أمام جميع رعاياها من اليهود والمسيحيين بممارسة حريتهم الدينية داخل نطاق الدولة، ولم يكن لتوسعات الدولة العثمانية ما يمنع رعاياها من غير المسلمين من أن يعيشوا بسلام وترابط مع إخوانهم المسلمين، فتمتعوا بقدر كبير من الاستقلال الذاتي والرفاهية والحرية التامة، وتغلغلوا في المراكز الحساسة في الدولة وقاموا بنقل تجارب الشعوب الأوروبية إلى الدولة العثمانية، مما أسهم في دخول بعض الأفكار الغربية التي لا تمت إلى تقاليد الدولة العثمانية بصلة، فساهموا في إضعاف الدولة وترهلها من الداخل.

الفصل الأول

النشاط الاقتصادي لليهود في ولايتي دمشق وحلب في القرن التاسع عشر

مقدمة:

أولاً: الزراعة- وامتلاك الأراضي في دمشق وحلب.

ثانياً: النشاط الحرفي والصناعي لليهود دمشق وحلب.

١. الصياغة
٢. صك النقود
٣. الصباغة
٤. الخياطة
٥. صناعة الأدوات النحاسية
٦. الكتابة
٧. صناعة النسيج
٨. مهن متنوعة
٩. الطب

ثالثاً: النشاط التجاري لليهود في ولايتي دمشق وحلب في القرن التاسع عشر:

- أ. ممارسة يهود دمشق وحلب لأعمال التجارة الداخلية.
- ب. دور يهود دمشق وحلب في أعمال الصيرفة وتأسيس البنوك في القرن التاسع عشر.
- ٢- دور يهود دمشق وحلب في التجارة الخارجية في القرن التاسع عشر.
- أ. العلاقات التجارية لليهود دمشق وحلب مع يهود مصر وبيروت.
- ب. العلاقات التجارية لليهود دمشق وحلب مع يهود العراق.
- ج. العلاقات التجارية بين يهود دمشق وحلب مع الجاليات الأجنبية.

مقدمة:

يرتبط التاريخ السياسي ارتباطاً وثيقاً بالحياة الاقتصادية والاجتماعية، فكثيراً ما كان للحالة السياسية تأثير كبير على النشاط الاقتصادي والعلاقات الاجتماعية، فنتيجة للتغيرات الكبيرة التي حدثت في القرن التاسع عشر وكان أبرزها تزايد التدخل الأجنبي في شؤون البلاد الداخلية وسعي القوى الحاكمة لكسب رضى الدول الأجنبية فقد تمتع اليهود بالحقوق ذاتها التي تمتع بها بقية رعايا الدولة العثمانية وانعكس ذلك على طبيعة الأنشطة الاقتصادية التي مارسوها، حيث مارسوا أنشطتهم التجارية والحرفية التي كانوا يرغبون بها دون أي قيد، وتملكوا المحال في كثير من أسواق دمشق وحلب، وكان لهم دور كبير في تنشيط اقتصاد البلاد، باعتبارهم أصحاب خبرة في مجال التجارة، واحتكروا مهنة السمسة، و الصيرفة وتبديل العملة وسكها، كما عدّ اليهود جزءاً من التركيبة السكانية للدولة العثمانية عامة والمجتمع السوري (الدمشقي - الحلبي) خاصة، وهذا ما دونته وثائق سجلات محاكم دمشق الشرعية في قضايا عدّة منذ بدايات الاحتلال العثماني حتى القرن التاسع عشر (١٦- ١٩م) ولم يحدث أي تغيير على أوضاع اليهود طيلة الحكم العثماني قبل القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، فقد عاشوا طيلة تلك الفترة بما يتماشى مع المعمول به قانونياً وعرفياً من النواحي الاقتصادية والاجتماعية والدينية كافة من حيث حرية التنقل بين المدن الرئيسية واستقرار علاقاتهم مع المجتمع المحيط بهم، والعمل في الصناعة والتجارة، وأدى كل ذلك إلى ازدياد عددهم في القرن التاسع عشر، واستمرت الزيادة بشكل ملموس بعد النصف الثاني من القرن التاسع عشر^(١). وكان لإصلاحات السلطان محمود الثاني أثر ملموس في واقع اليهود، حيث زادت من تهاون الدولة العثمانية، ورفعت من حقوقهم، وحفظتها بنصوص قانونية وقرارات سلطانية، لكن هذه الإصلاحات لم تحقق النجاحات المرجوة، إنما عدت مرحلة أسهمت بتغيرات بنيوية جذرية وإدارية، انبثق عنها صدور خط شريف كولخانة عام ١٨٣٩ م، ومهدت الطريق للانفتاح على الغرب مما أسهم في تحسين ظروف اليهود مقارنة بما سبق، وسُمح لهم من حين إلى آخر بترميم كنسهم وإنشاء كنس جديدة، وبمعنى آخر إنّ الإصلاحات العثمانية أدت إلى مساواة جميع رعايا السلطان العثماني، حيث

^١ - درادكه: يهود القدس... ص ٦٩.

شعر اليهودي بقوته وارتفاع مكانته عما كان في السابق وخاصة مع الطوائف الأخرى. وشارك اليهود سائر سكان دمشق وحلب في أعمال مختلفة، باستثناء بعض الأعمال التي خص بها غير المسلمين على الأغلب كالترجمة والطب وأعمال المال والصيرفة، التي ميزتهم عن باقي سكان دمشق وحلب^(١) وقد ارتفعت مكانة اليهود الاجتماعية والاقتصادية مع بداية القرن التاسع عشر وتجلت ذلك بشكل واضح في استلامهم الوظائف المهمة، فكان منهم المصرفيون والمستشارون للدولة، واتجه قسم كبير منهم نحو الهند والشرق الأقصى من أجل التجارة، كما تحسن وضع اليهود منذ نهاية النصف الأول من القرن التاسع عشر الذي شهد تطورات سياسية مهمة في السلطنة العثمانية تركت آثارها على السكان في الولايات التابعة للدولة العثمانية، وخاصة بعد صدور مرسوم خط شريف همايون في الثامن عشر من شباط عام ١٨٥٦م الذي أكد مسألة في غاية الأهمية عندما أقر معاملة رعايا الدولة العثمانية معاملة متساوية بغض النظر عن دياناتهم ومذاهبهم فألغيت الجزية التي كانت مفروضة عليهم ودفعوا عوضاً عنها ضريبة جماعية تعفيهم من الخدمة العسكرية وتسمى "بذل عسكر" إلى جانب الالتحاق بالوظائف المدنية والعسكرية والمساواة في حق الشهادة ومع منتصف القرن التاسع عشر توسع اليهود في صناعاتهم، ولاسيما في مجال الحرف اليدوية والبيع والتجوال، وفي المشروعات التجارية الصغيرة، وعملت قلة منهم في التجارة الخارجية، وخلال الفترة الأخيرة من الحكم العثماني برزت مكانة اليهود في مجال التجارة والأعمال، حتى أصبح رئيس صياغة اليهود يعرف باسم "الصراف باشا"^(٢).

ومن الممكن تصنيف الطائفة اليهودية اقتصادياً إلى شريحتين، الشريحة الأولى وهي الطبقة الغنية والتي كانت تعيش في حالة لا مثيل لها من الثراء الفاحش وكانت تحظى بمكانة خاصة لدى السلطة الحاكمة، وكانوا يعملون في الجمارك والبنوك ومنهم كبار التجار الذين أدوا دوراً مهماً في الحياة الاقتصادية^(٣) واستمروا في ممارسة أنشطتهم الاقتصادية حتى بدايات القرن العشرين حيث

^١ - درادكه: يهود القدس...، ص ٣٠ - ٣٢.

^٢ - قاسمية: خيرية، يهود البلاد العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط ١، ٢٠١٥، ص ١٩٣، ١٩٤.

^٣ - يعقوب، لاندوا: تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية ١٥١٧-١٩١٤ م، ترجمة جمال أحمد الرفاعي أحمد عبداللطيف حماد، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٠، ص ٧٠.

بدأت الدعوات لإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين الأمر الذي أسهم في هجرة الغالبية العظمى منهم وبالتالي تراجع دورهم ونشاطهم الاقتصادي في دمشق وحلب^(١)، بينما ضمت الشريحة الثانية اليهود الذين كانوا يعيشون في حالة لا مثيل لها من الفقر وكانوا يعتمدون في معيشتهم على التبرعات، ويمارسون العمل بمهن متدنية كمهنة البويعية، ورغم أن اليهود في سوريا لم يكونوا بمستوى ما كان عليه يهود مصر والعراق من الثراء، إلا أن بعضهم قد ترك أثراً عميقاً في حياة البلاد، فقد برزت عائلات ذات نفوذ سياسي واقتصادي في دمشق وحلب كآل فارحي و إسلامبولي في دمشق و بيجوتو الإيطالية الأصل وهراري في حلب، حيث احتكرت هذه العائلات صناعات عدة^(٢)، فضلاً عن عملهم في ميدان التجارة المحلية وفي الاستيراد والتصدير، غير أن مركز يهود سوريا الاقتصادي أخذ يتراجع قليلاً في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، نتيجة لعوامل عدة كان من أبرزها منافسة فئات من أهل البلاد للاحتكارات اليهودية في بعض المجالات الاقتصادية إضافة إلى ضعف الحكومة المركزية النسبي الذي سبب معاناة الكثيرين من أصحاب الحرف بمن فيهم اليهود، مما أدى إلى هجرة الغالبية منهم إلى مصر والأمريكتين بحثاً عن الثروة^(٣).

^١ - Walter P. Zenner, Aglobal Community: The Jews from Aleppo, Syria Detroit: Waves State University Press, ٢٠٠٠, p. 34.

^٢ - P. zenner, p. 104.

^٣ - قاسمية: يهود البلاد العربية، ص ٩٢.

أولاً: الزراعة وتملك الأراضي في ولايتي دمشق وحلب.

لم تؤد الزراعة دوراً كبيراً في حياة اليهود كالصناعة والتجارة وذلك نظراً لكثرة تشتتهم وعدم استقرارهم في مكان معين، فقد أسهم الشتات اليهودي في تحول المهاجرين اليهود من الزراعة إلى ممارسة الحرف والتجارة^(١)، رغم تأكيد أسفار التلمود على الزراعة مثل السفر الأول الذي يسمى "كتاب زراعيم" أي البذور أو الانتاج الزراعي وسفر "قعاة" أي زوايا الحقل، وسفر "ذماي" الذي يتحدث عن المحاصيل الزراعية، ومن هنا كان اليهودي متمسكاً بالزراعة، لكن ولكون الزراعة لا تدر ربحاً كبيراً ابتعد اليهود عن العمل في الزراعة واهتموا بشكل كبير بالصناعة والتجارة بشكل خاص^(٢). ووجدت اشارات تدل على دور اليهود في الزراعة، خاصة اليهود الذين هاجروا من الأندلس (السفارديم) الذين عملوا على امتلاك البساتين والمزارع وحدائق الفاكهة. فقد وجدت بالقرب من طاحون الإحدى عشرية مزرعة لليهود، وتعرف ببستان صدقة اليهودي، الذي كان يعمل في دور سك العملة بدمشق، كما وجد بستان لليهود بدمشق يقع بمحلة السامرة^(٣) في طرف المدينة بأراضي بيت لهيا إلى الغرب من قرية جوبر، وهي المنطقة المحيطة بساحة العباسيين اليوم، التي تواجد فيها اليهود منذ زمن قديم، وبما أن منطقة جوبر مشهورة بالزراعة لا بد أن يكون اليهود قد مارسوا النشاط الزراعي فيها حالهم حال باقي سكان المنطقة.

¹- Baronand Kahan, Economic History Of the Jews, New York, 1975, p. 25.

²- شحاته ريه، عطا علي محمد: اليهود في بلاد المغرب الأقصى في عهد المرينيين والوطاسين، دار الكلمة، ط١، ١٩٩٩، ص ١٣١-١٣٢.

³- السامرة: هي الطائفة الرابعة من اليهود، وكانت قليلة العدد في مدينة دمشق، ولم يعتبرهم القراؤون والريانيون منهم. إلا أنهم عوملوا من قبل السلطات العثمانية على أنهم فرقة يهودية ومن أهل الذمة، وأصل هذه الفرقة يعود إلى فترة تدمير مملكة اسرائيل في فلسطين، والتي انتشقت عن سليمان بعد وفاته، على يد ملك آشور (نقلت فلاسر) عام ٧٣٨ ق.م، وسكن السامرة في دمشق في حي خاص بهم فوق العنابة بالقرب من برج الروس، ووجد بدمشق درب يسمى بدرب السامري، واتخذ السامرة من جبل جزريم قبلة لهم ومحجاً، وكانوا يقدمون عليه الأضاحي بدلاً من ذلك على صخرة بيت المقدس. انظر: قاسم، عبده قاسم، أهل الذمة في مصر في عهد سلاطين المماليك، القاهرة، ١٩٧٥م، ص ١٣٠-١٣٤.

وفي حلب وجد بستان لليهود بحارة الهزارة، كما ذكرت محلة باسم بستان اليهود، وكانت زراعة الكروم من أهم المزروعات التي اهتم أهل الذمة بزراعتها^(١).

من الأسباب التي جعلت اليهود يبتعدون عن العمل بالزراعة ويعملون بالتجارة هو اشمئزازهم من الأعمال الشاقة ذات الربح القليل، فقد جاء على لسان أحد التلموديين مشجعاً أبناء جلدته على التجارة بدلاً من الزراعة "لا يوجد عمل أكثر امتهاناً من فلاحه الأرض، تاجر بمئة دجاجة تحصل على لحم وخمر، أما إذا استعملت هذا القدر نفسه في الزراعة، فأكثر ما تحصل عليه هو الملح والخضار، وتجعلك تنام على الأرض كي تحرس المحاصيل، وتجعلك في صراع دائم مع جيرانك"^(٢). من هذا النص الموجه لليهود يلاحظ أنهم وجدوا في الزراعة عملاً شاقاً ومتعباً لا يجني فيه اليهودي الربح الوفير، وأن العمل بالتجارة أكثر ربحاً، فابتعدوا عن ممارسة الزراعة واكتفوا بامتلاك الأراضي الزراعية، ساعين بذلك إلى الحرص على استمرار بقائهم في البلاد.

ومن خلال رصد سجلات المحكمة الشرعية بدمشق وحلب، وجدت الكثير من الوثائق التي تتحدث عن استئجار اليهود للأراضي الزراعية وأحياناً القيام بعمليات الشراء لهذه الأراضي، فقد قام الطبيب يوسف اليهودي باستئجار الأرض نفسها بعد انتهاء عقد الاستئجار، لمدة عقدين كاملين^(٣). كما استأجر الخواجة اسحاق بن الخواجة شحادة البوشي لجميع أرض البستان المعروف ببستان الباشا بدمشق في العام ١٨٨٤م، وبالوقت نفسه استأجر الخواجة يوسف بن الخواجة شحادة بن الخواجة اسحاق البوشي الموساوي وهو من سكان محلة اليهود ومن تبعة دولة فرنسا، جميع أراضي بستان القط الملاصق لبستان الباشا، لمدة ثلاثة عقود وكان غراس هذا البستان فاكهة لأنه كان ملزم بتقديم ١% من الفواكه إضافة لأجرة البستان قد تكون ضريبة خراج^(٤). واستأجر خضر بن يحيى بن

^١ - جلو: خضر، اليهود في المشرق الإسلامي "دراسة في التنوع السكاني والحياة الاقتصادية للحقبة (١١-٩٢٣هـ/ ٦٣٢-١٥١٧م)، صفحات للدراسات والنشر، دبي، ٢٠١٧، ص ١٠٩، ١١٠.

^٢ - عامر: تاريخ الماسونية، ص ٥٦.

^٣ - سجلات المحكمة الشرعية بدمشق، رقم ٨ مشوش، وثيقة ٦٠٥، (ت ١١٧٠هـ/ ١٧٥٧م).

^٤ - سجلات المحكمة الشرعية بدمشق رقم ٧٥٩، ص ٢٠٠، وثيقة ١٥٥، (ت ١٣٠١هـ/ ١٨٨٤م).

إسحاق الموساوي وهو من سكان محلة اليهود بدمشق أراضي بحارة اليهود بسوق الجمعة^(١) ومن خلال الوثائق وجدت الكثير من عمليات بيع وشراء غراس الأراضي من قبل اليهود، وقد يكون هؤلاء عملوا بتسويق المحاصيل الزراعية، التي كانت تدر ربحاً كبيراً عليهم، فنجد المرأة زوريت إبراهيم الحاصباني الموساوية تقوم بشراء جميع قطع الأرض في قرية حريستا والتي تشتمل على أشجار المشمش والزيتون^(٢)، وفي وثيقة أخرى نجد الخواجة يوسف رومانو الموساوي يقوم بعملية بيع جميع الغراس في قطعة الأرض في قرية أشرفية وادي بردى بثمان ليرات ذهب مجيدة^(٣).

إنَّ قيام هذا اليهودي ببيع غراس أرضه يدلنا بشكل أو بآخر على ممارسة اليهود العمل بالزراعة ولو بنسبة ضئيلة، أو قد يكون قد وظف أشخاصاً من ملة أخرى يعملون في أرضه وفي وقت جني المحاصيل يقوم ببيع محاصيله، فقد كان يجد من يسوّق محاصيله بأسعار عالية.

أما في حلب فيؤكد المطران أردافازد على ممارسة يهود حلب للزراعة أثناء حديثه عن بلدة تادف فيقول: "تقع بلدة تادف على بعد ٤٥ كم عن حلب وبالقرب من مدينة الباب على الجهة الشرقية منها، وتمتاز ببساتينها وهوائها النظيف ومائها الجيد وجميع سكانها من اليهود ويعملون في الزراعة ويؤم يهود حلب إليها صيفاً للصطياف"^(٤) قد يكون اليهود الذين عملوا في زراعة الأرض من فقراء اليهود، أو أنَّ أثرياء اليهود أصحاب الأراضي قاموا بتأجير أراضيهم ليهود فقراء من مناطق أخرى ليزرعوها.

^١ - سجلات المحكمة الشرعية بدمشق رقم ٧٥٩، ص ٢٩٦، وثيقة ٢٣٨، (ت ١٣٠١هـ / ١٨٨٤م).

^٢ - سجلات المحكمة الشرعية بدمشق رقم ٦٩، وثيقة ١٤٧٦، (ت ١٢٩٥هـ / ١٨٧٨م)

^٣ - سجلات المحكمة الشرعية بدمشق رقم ٧٠٨، ص ٥٢، وثيقة ٧١، (ت ١٢٩٧هـ / ١٨٨٠م)

^٤ - سورميان، اردافازد: تاريخ حلب، ترجمة الكسندر كيشيشان، دار النهج، حلب، ط ١، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م،

ص ٣٣١.

ثانياً: الصناعة والحرف اليهودية في ولايتي دمشق وحلب.

ميز محمد سعيد القاسمي وهو أحد علماء دمشق، الذي عاش في أوائل القرن التاسع عشر بين الصناعة والحرفة بقوله: "إنَّ الإنسان إذا سعى في تحصيل ما يعيش به، جعل له سبباً، فإذا كان السبب عمل يده، فهو الصناعة وإلا فهي الحرفة"^(١) أما المهنة و الصناعة، هما كل نشاط اقتصادي يمارسه الإنسان في سبيل الكسب^(٢)، وبذلك فقد عمل اليهود في شبكة واسعة من الأعمال الصناعية والحرفية، وتميزوا في صناعاتهم واتقنوها، والجدير بالذكر أنه لم تكن هناك مهنة أو حرفة لم يمارسها اليهود، وتصنف المهن التي عمل بها اليهود إلى عليا وهي سك النقود وصياغة الذهب والصيرفة ودنيا وصولاً إلى التنظيفات، وكان يحق لكل يهودي اختيار المهنة التي يرغب بها، ورغم ذلك فقد كان هناك تمييزاً ما بين الحرف الراقية مثل الصياغة والحياكة والكتابة وسك العملة حيث عمل بهذه الحرف الشعراء و الحاخامون أو القادرون مادياً من اليهود، وكان اليهودي يعمل منذ شروق الشمس حتى المغيب كي يتمكن من الصمود أمام مزاحمة البضائع الأوروبية للبضائع المحلية التي بدأت تتدفق بشكل كبير منذ منتصف القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين^(٣).

ومع بداية القرن التاسع عشر شغل يهود دمشق وحلب مركزاً اقتصادياً شمل الأمور المالية بشكل خاص، لذلك كانت العائلات اليهودية الثرية مثل آل فارحي واستامبولي ذات نفوذ في المجتمع آنذاك، احتكرت بعض الصناعات اليدوية كالحفر على النحاس والفضة والذهب وحفر الخشب والنسيج والصياغة وغزل الحرير، وعملت في مجال الاستيراد والتصدير وكان لليهود حلب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر أربع وعشرون بيتاً تجارياً رأسمالها قرابة خمسة ملايين فرنك فرنسي، وبذلك فقد سيطروا وبشكل طبيعي على كافة أنواع التجارة الداخلية والخارجية في حلب ولكن

١- القاسمي، محمد سعيد: قاموس الصناعات الشامية، تحقيق ظافر القاسمي، دار طلاس، دمشق، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م، ص ٣٠

٢- يوسف، الهام عادل: الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في حلب ما بين ١٨٤٠-١٨٧٦، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة دمشق، ٢٠٠٤-٢٠٠٥، ص ٨٠.

٣- أبو جبل، كاميليا: يهود اليمن "دراسة سياسية واقتصادية واجتماعية منذ نهاية القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين"، الأوائل، ط ١، ١٩٩٩، ص ٧٩

وبعد عقود من الزمن تراجع النفوذ الاقتصادي لليهود بسبب تراجع أهمية تجارة القوافل، ومنافسة أهالي البلاد للاحتكارات اليهودية في بعض المجالات الاقتصادية، مما دفع باليهود بعد أن سادت البلاد حالة من عدم الاستقرار نحو الهجرة إلى مصر والأمريكتين^(١)

ومن خلال سجلات الوثائق بالمحكمة الشرعية بدمشق وحلب التي ضمت في دفاترها الكثير من الوثائق الخاصة بالطائفة اليهودية كجزءاً من تركيبة المجتمع العثماني وولاياتها في دمشق وحلب، استطعنا رصد أنواع مختلفة من الحرف والصناعات التي عمل بها يهود دمشق وحلب. ومن أبرز الصناعات التي عمل بها اليهود في ولايتي دمشق وحلب:

١- الصياغة:

تعد مهنة الصباغة من أقدم المهن التي عمل بها اليهود، فقد كانت قبيلة بني قينقاع اليهودية مشهورة بصياغة الفضة قبل الإسلام، وانتشرت هذه الحرفة في زمن الرسول محمد(ص) وتعد مهنة صياغة الذهب والفضة من الحرف الراقية لدى اليهود فعادة يمارسها الأغنياء والمتعلمون، ونظراً لاحتياج هذه المهنة إلى رأس مال فقد انتشرت بين العائلات الراقية والغنية^(٢).

وما شجعهم على العمل بها وممارستها بشكل واضح ما توفره هذه المهنة من أرباح وفوائد مادية. وكان معظم الصياغ من أهل الذمة الذين تملكوا المحلات في أسواق الصاغة في معظم أسواق و أحياء دمشق وحلب وكانوا يعرضون فيها ما تمت صناعته من الحلي والصيغة^(٣).

استمر يهود دمشق وحلب في ممارسة هذه الحرفة حتى القرن التاسع عشر فقد امسكوا بسوق الذهب وتجارة الألبسة والموزاييك وبرزوا رغم قلة عددهم كأغنى طائفة في سوريا، واشتهر محل فرح اليهودي للصاغة قرب قصر العظم^(٤) وكان لليهود وجود قوي في حي الصاغة، وحظي اليهود القرائن بإعجاب وتقدير السكان لما عرف عنهم من كفاءة ومهارة في العمل بالذهب والفضة^(٥).

١- كيوان، مأمون: اليهود في الشرق الأوسط، دار الأهلية، عمان، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ص٤٨.

٢- أبو جبل: يهود اليمن...، ص٨٠.

٣- جلو: اليهود في المشرق الاسلامي، ص٢٦٨.

٤- العجلاني، شمس الدين: يهود دمشق الشام، دمشق، ط٢٠٠٨، ص٣٥٢.

٥- لاندوا: تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية، ص١٦٠.

وتؤكد وثائق المحكمة الشرعية على تعامل اليهود بالذهب في البيع والشراء، فقد باع الخواجة كركور أنيس سيوفي النصراني الأرمني التاجر بحضور الصراف اليهودي الخواجة هارون ولد ماهود، روفائيل دويك اليهودي سبيكة ذهب وزنها خمسة وثلاثون مثقالاً وسبعمائة قرش^(١).

إنَّ هذه الوثيقة تؤكد تعامل اليهود بالذهب والصياغة بشكل قوي وفي عمليات البيع والشراء^(٢) ونقرأ في وثيقة أخرى اعتراف الخواجة عبدالله ولد اسحاق ولد خاخام عباس هراري الموسوي من أهالي محلة البندرة بحلب^(٣) ومن تبعة الدولة العثمانية، أنَّ ميخائيل جنادري من طائفة الروم الارثوذكس ومن أهالي محلة الصليبية بحلب، كان قد باع وسلم من اسحاق ولد خضر الصراف بن سلومن اليهودي من أهالي محلة الحلومة الكبرى بحلب، وهو اشترى وتسلم من نيل معلوم الوزن بينهما بثمن قدره ستة وتسعون ليرة عثمانية عيناً من الذهب^(٤).

من خلال ما تقدم يتبين مدى سيطرة أهل الذمة على مهنة الصياغة وصك النقود، ونظراً لارتباط هذه المهنة بتقديم القروض فقد سيطر اليهود والمسيحيون على هذين المجالين، ولم يعمل بهما المسلمون نظراً لتحريم القرآن الكريم العمل بالربا^(٥)، فقد كانوا ينظرون إلى من يبيع الذهب أو المعادن الثمينة بسعر أعلى من الذي يساويه وزنها على أنه ربا^(٦).

^١ - سجلات المحكمة الشرعية بحلب رقم ٢٦٩، ص ٢٣، وثيقة ٧٠، (ت ١٢٧١هـ / ١٨٥٤م).

^٢ - يذكر الأسدي وجود سوقين للصياغ أحدهما غربي سوق بالسنان والثاني غربي سوق الطيبة بحلب كلاهما لصنع الحلبي. الأسدي، خير الدين، أحياء حلب وأسواقها، تحقيق عبد الفتاح رواس قلعه جي، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق، ١٩٨٤، ص ٢٣٥ ولا بد أن محلات الصياغ اليهود كانت ضمن هذه الأسواق ومن المؤكد وجود علاقات بينهم وبين الصياغ من الطوائف الأخرى.

^٣ - البندرة تقع بين سوقية علي والدباغة العتيقة وبحسيتا وباب النصر وهي قسمان: بندرة الإسلام وبندرة اليهود، وكلمة بندرة بمعنى الميناء التجاري. انظر: الأسدي، أحياء حلب و أسواقها، ص ١٣٧.

^٤ - سجلات المحكمة الشرعية بحلب، رقم ٣٦٥، ص ٤٠، وثيقة ١١٧، (ت ١٣٠٤هـ / ١٨٨٧م)

^٥ - لاندوا: تاريخ يهود مصر، ص ١٦١.

^٦ - شحاته ربه: اليهود في المغرب، ص ١٤١.

وكان يهود دمشق وحلب يقومون بتذويب الذهب المستعمل ثم صياغته من جديد لحسابهم ويرعوا في تشذيب الألماس وصياغة الفضة والآلي، واحتفظوا بأسرار هذه الصناعة، وانتشر الصاغة اليهود في الأسواق لما توفره هذه الحرفة من ربح كبير^(١).

٢- سك النقود

إلى جانب ممارسة اليهود لمهنة الصياغة فقد عملوا في دور سك العملة، وتعد مهنة سك النقود من أكثر المهن خطورة ومسؤولية، حيث كان يقوم بهذه المهنة بعض الصياغ وتكمن خطورة هذه المهنة في كون إمكانية وضع الصائغ نفسه في موضع اتهام عند اكتشاف أي تلاعب بسك العملة ومقدارها، فعندما كان يحدث أي تلاعب كانت تفرض عقوبات صارمة على المتلاعبين إضافة إلى غرامات مالية ومصادرة الأملاك^(٢)، واستمر اليهود في السيطرة على هذه المهنة حتى نهاية القرن التاسع عشر، وكان من يعمل بهذه المهنة على اتصال مباشر بالحكام وذلك لكونهم أصحاب نفوذ تجاري واجتماعي واقتصادي، وكانت حقوقهم محفوظة وأسندت اليهم عملية معالجة النقود بالنار وتنظيفها وطلائها من جديد، ولم يقتصر استخدام اليهود في مجال العملة على الخزينة العامة فقط، وإنما كان الأهالي يستعينون بهم عند عقد الصفقات واستلام ثمنها تفادياً للوقوع ضحية التعامل بالنقود المزورة التي كثر تداولها في نهاية الحكم العثماني^(٣)، وقد مكنتهم هذه المهنة من دخول قصور السلاطين و الولاة ومعرفة أسرار الدولة واستغلوا كل ذلك لتثبيت نفوذهم بشكل أكبر^(٤).

^١ - حريثاني، محمود، تاريخ يهود حلب، دار شعاع، حلب، ط١، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٨م، ص ٨٠.

^٢ - أبو جبل: يهود اليمن، ص ٨٢.

^٣ - درويش، هدى: أسرار اليهود المنتصرين في الأندلس، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٨م، ص ٢٥.

^٤ - بن صحراوي، كمال: الدور الدبلوماسي لليهود الجزائري في أواخر عهد الدايات، رسالة ماجستير غير منشورة، الجزائر، ٢٠٠٧-٢٠٠٨م، ص ٦٣.

٣- الصباغة:

رغم أنَّ ممارسة المهن كانت مفتوحة للجميع إلا أنَّ هناك بعض المهن التي كانت فيها أكثرية من دين واحد، فقد كان يتم توارث المهنة من الأب إلى الابن ومن جيل إلى جيل آخر، وهذا ما هيأ الظروف المناسبة لأبناء الحرفة الواحدة أن يتقنوها إتقاناً تاماً فضلاً عن بقائها متوارثة في العائلة نفسها، فتركزت بعض الحرف بيد اليهود كحرفة صباغة الأقمشة والتي تركزت بشكل كبير بيد اليهود الذين برعوا وتفننوا بهذه المهنة^(١).

تعد مهنة الصباغة من أبرز المهن التي تركزت بيد اليهود حتى كادوا ينفردون بها أينما كانوا، وما يؤكد ذلك قول الجاحظ "ولا تجد اليهودي إلا صباغاً"^(٢)، ويؤكد المقدسي الأمر نفسه عندما يتحدث عن إقليم الشام بقوله: "وأكثر الجهابذة والصباغين والصيارفة والدباغين بهذا الإقليم يهود"^(٣).

احتكر اليهود مهنة الصباغة في المدن التي تواجدوا فيها، وكانوا ماهرين في الحصول على دودة القز، واستعملوا الزعفران للصباغة باللون الأصفر، ونظراً لبراعة اليهود بهذه الحرفة في بلاد الشام عامة فقد بقيت مصدراً اقتصادياً مهماً لهم حتى التاسع عشر الميلادي^(٤)، وتكشف لنا وثائق المحكمة الشرعية عن قيام اليهود باستئجار العديد من المصايف في أماكن مختلفة من أحياء دمشق وحلب، فضلاً عن وجود اتفاق بين أصحاب هذه الحرفة من كافة الطوائف، ومن خلال هذه الوثائق نجد أنَّ حرفة الصباغة كانت من أهم الحرف التي مارسها اليهود في دمشق وحلب وحافظوا على أسرار هذه المهنة، واستمروا في مزاولتها حتى الربع الأول من القرن العشرين، ففي وثيقة تعود إلى منتصف القرن التاسع عشر تتحدث عن استئجار اليهوديين روفائيل وموسى ولد إبراهيم بن سليمان

^١ - جلو: اليهود في المشرق الإسلامي، ص ٢٦٥

^٢ - عمرو بن بحر بن محبوب أبو عثمان: رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هاون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م، ص ٣١٦

^٣ - أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٣٧٦هـ / ٩٨٨م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط ٣، ١٩٩١م، ص ١٨٣.

^٤ - جلو: اليهود في المشرق الإسلامي، ص ٢٦٧.

مسلتون الطراب لمصبغة في محلة الخراب^(١) لمدة (١٢) سنة بأجرة قدرها ٥١ قرشاً في السنة^(٢) أي ما يعادل نصف ليرة عثمانية، ونقرأ في وثيقة أخرى عن استئجار مصبغة في القيمرية بحارة المسيحيين، وكانت مخصصة لصباغة الحرير، لمدة ٩ سنين وكانت أجرة السنة ٣٥٠ قرشاً^(٣).

وقد قسم أصحاب هذه المهنة إلى طائفتين حرفيتين، فالبعض اختص بصباغة الثياب والبعض الآخر اختص بصباغة الحرير الخام والملون، وكانت كل طائفة مستقلة بنفسها، ولم تقتصر مهنة الصباغة على يهود دمشق وإنما عمل بها يهود حلب، فقد ورد في سجلات المحكمة الشرعية بحلب أسماء العديد من الصباغين اليهود في أحياء مختلفة من حلب، منهم شارل ولد عزره ولد شارل الصباغ اليهودي^(٤).

كما أشارت الوثائق إلى وجود سوق خاصة للصباغين بحلب، ومن خلال الوثائق تبين سيطرة اليهود على هذه الأسواق وعلى هذه المهنة، وكانوا حريصين على تعليم أبنائهم مهنة الصباغة وذكرت الوثائق وجود شراكات بينهم^(٥).

وكان يجري اتفاق بين أصحاب الحرفة الواحدة من الصباغين من الطوائف كافة، فقد طغت الاثنية الاقتصادية على الاثنية الدينية، حيث قام كل من علي بن حسين زهر الدين ومطلوب بن يوسف آرزاي اليهودي باستئجار مصبغة من السيد أحمد بيك بن عبد الله باشا العظم الناظر الشرعي على وقف سليمان باشا العظم لمدة سنة واحدة بأجرة قدرها ٦٠٠ قرش صاغ^(٦)، أي ما يعادل ستة

١- محلة الخراب: هو الذي تنسب إليه جادة عاصم في منطقة مسجد الأقباص.

٢- سجلات المحكمة الشرعية بدمشق، الحجة أ، وثيقة ١٦٣، (ت ١٢٧٢هـ/ ١٨٥٦م)

٣- سجلات المحكمة الشرعية بدمشق رقم ٥٩٢، وثيقة ٢٨٥، (ت ١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م).

٤- سجلات المحكمة الشرعية بحلب رقم ٥٧٣، ص ٥١، وثيقة ٩٧، (ت ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م).

٥- سجلات محكمة شرعية حلب رقم ٣٥، ص ١٢٤، وسجل ٣٤، ص ١٣٣.

٦- القرش الصاغ: اعتمد القرش عملة رسمية من قبل السلطان أحمد الثاني (١١٠٣-١١٠٧هـ/ ١٦٩١-١٦٩٥م) وأمر بإدخالها في الحسابات الرسمية، والقرش نوعان قرش صاغ ويساوي أربعين بارة، وقرش رائج ويساوي عشرة بارات وأقدم إشارات للقرش في عهد السلطان سليمان القانوني. انظر: عامر: محمود علي، المكايل والأوزان والنقود "منذ فجر الإسلام حتى العهد العثماني" مطبعة ابن حيان، دمشق، ١٩٩٧، ص ١٩٠.

ليرات عثمانية^(١)، فهذه الوثيقة وغيرها تؤكد بشكل واضح أنَّ الصباغة كانت من المهن التي مارسها يهود دمشق وحلب بشكل كبير، إلا أنهم لم يحتكروا هذه المهنة فقد عمل بها صباغون مسلمون ومسيحيون فقد كانت محلاتهم متواجدة إلى جانب محال المسلمين، ومنتزعة في مناطق عدة من دمشق، وكان اليهود يلجؤون في خلافاتهم إلى قضاة الحنفية، فلم نلاحظ وجود قاضي يهودي يفصل في منازعاتهم، فقد لجأ موسى بن أصلان الجاجاتي الذمي اليهودي لدى القاضي الحنفي بدعوى على الحرمة عائشة بنت أمين النازرة على وقف فاطمة بنت خوري قائلاً أنه قد استأجر جميع المصبغة باطن دمشق بمحلة باب شرقي بحارة تحت القبو وقد سمح له بترميم المصبغة على حساب الوقف، وقد رممها على حسابه أكثر من مرة وكلفه ذلك ٣٠٠ قرش صاغ ميري وشهد الشهود على ذلك، فحكم القاضي له بالمبلغ^(٢)، وثيقة أخرى تتحدث عن اتفاق جرى بين صباغي الأقمشة في دمشق من الطوائف الثلاث، فجاء في الوثيقة "توافق عن طريق المهابة الشرعية"^(٣) جماعة من طائفة غسالي الأقمشة بدمشق فنقرأ أسماء العديد من الصباغين من كافة الطوائف وهم: مصطفى بن محي الدين، محمود البقاعي، والحاج عباس البعلي من المسلمين، وانطون بن ميخائيل المسيحي وشعبان بن عبيد إلياس والصباغين اليهود وعددهم عشرة وهم شحادة بن يعقوب لزبونة وسلمون بن اسحاق وهارون بن منيان وعبيد عيسى الجاجاتي، وإسحاق بن سلمان كورية، واسحاق بن هارون فضة وولده هارون فضة، وسليمان بن روفائيل الحلاق، وداوود بن يحيى، وحبيب بن سليمان موضع الذين قاموا بالاتفاق على استئجار مصبغة لغسل القماش الآلاجا والقطني في حمام السلطان وحمام الخراب^(٤)، وحمام القيمرية بدمشق، واتفقوا على أنهم لا يغسلون نهار السبت شيئاً من الأقمشة

١- سجلات المحكمة الشرعية بدمشق رقم ٣٠١، ص ٣١٢، وثيقة ١٤١٣، (ت ١٢٤٢هـ/ ١٨٢٦م).

٢- سجلات المحكمة الشرعية بدمشق رقم ٣٥٨، وثيقة ٣٩٤، (ت ١٢٥٧هـ/ ١٨٤١م).

٣- المهابة الشرعية: اتفاق جماعة على كيفية الانتفاع بشيء مشترك بينهم.

٤- حمام الخراب بجوار المدرسة المحسنية اليوم، وحمام السلطان تحول إلى منشأة مسجد الأقصاب، وحمام القيمرية لا يزال إلى اليوم.

أصلاً، وعلى أن كلاً منهم، إن غسل قماشاً خارج الحمامات المذكورة في داره، سواء أكان مسلماً أو مسيحياً أو يهودياً في نهار السبت فيكون ملزماً بمبلغ (٥٠٠) قرش^(١).

ربما حدث هذا الاتفاق لحفظ الأقمشة وصيانتها وخوف ضياعها، وجرى ذلك برضا واتفاق الجميع، وتمّ تسجيل ذلك التوافق في المحكمة ليكون ملزماً للجميع، وقد يكون ذلك من باب احترام عادات وطقوس الطائفة اليهودية وتحريمها العمل يوم السبت، ولكن الواضح أكثر هو سيطرة الصباغين اليهود على هذه المهنة وأكثريتهم لدرجة وصلت سيطرتهم فيها لمنع وتحريم عمل الصباغين المسيحيين والمسلمين يوم السبت وإلزامهم بذلك، وبذلك فقد كانت لديهم القدرة على فرض شروطهم وإلا لوجدنا تحريم العمل يومي الجمعة والأحد أيضاً! و يهنا هنا الاتفاق الواضح بين الطوائف الحرفية أصحاب المهنة الواحدة.

وكانت أهم المصاوغ التي سعى اليهود لاستئجارها مصبغة الخضراء جنوب الجامع الأموي، في حي النقاشات، وهي أصلاً جزء من قصر الخضراء الذي بناه معاوية بن أبي سفيان^(٢)، ففي نهايات القرن الثامن عشر قام كل من سلوان بن مراد اليهودي وإسحاق بن يحيى جوايا اليهودي ويعقوب بن سالم الصباغ اليهودي وإسحاق بن يوسف اليهودي باستئجار مصبغة الخضراء لمدة ثلاث سنين، وكانت أجرتها السنوية (١٢٠) قرشاً^(٣)، وبعد انتهاء مدة العقد تمّ استئجارها من قبل سالم بن أبراهام الطباخ اليهودي بأجرة سنوية قدرها (٢٠٠) قرش^(٤)، وفي العام ١٨٨٦م تم استئجار المصبغة من قبل الأخوة الخمسة يحيى وإسحاق وإبراهيم وفرح وداوود أولاد يعقوب بن أصلان كباية من سكان محلة اليهود، لمدة ٧ سنين بأجرة قدرها ٢٣٣ وثلث القرش في السنة^(٥). أي ما يعادل ليرتين وربع عثمانية.

١- سجلات المحكمة الشرعية بدمشق رقم ٣٠٠، ص ١٠٦، وثيقة ٢٧١، (ت ١٢٣٨هـ / ١٨٢٢م).

٢- العلي، أكرم: يهود الشام في العصر العثماني، الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠١١م، ص ١٥٦.

٣- سجلات المحكمة الشرعية بدمشق رقم ١١٣، ص ١٣٩، وثيقة ٢٧٣ (ت ١٢١٢هـ / ١٧٩٧م).

٤- سجلات المحكمة الشرعية بدمشق رقم ٣٠٠، ص ٥٣، وثيقة ١٣٥ (ت ١٢٣٧هـ / ١٨٢٢م).

٥- سجلات المحكمة الشرعية بدمشق رقم ٨١٣، وثيقة ٨١، (ت ١٣٠٣هـ / ١٨٨٦م).

٤ - الخياطة:

الخياط اسم لمن يقوم بتفصيل القماش إلى ثياب^(١)، وهي صناعة قديمة شريفة وحرفة جلييلة، وتتسب بقدمها إلى النبي إدريس عليه السلام^(٢).

ويقول ابن خلدون في حديثه عن صناعة الحياكة والخياطة والطرز أنها من أهم الصنائع التي أتقنها اليهود رجالاً ونساءً، وهاتان الصنعتان قديمتان في الخليفة^(٣).

وقد اهتم اليهود بهذه الحرفة لأنها مكنتهم من التقرب من الولاة والسلطين، وأدخلتهم إلى قصورهم بحجة توفير الملابس لهم ولعائلاتهم ولذلك فتحوا ورشاً لهم في المدن الكبرى كدمشق وحلب، وتحولت هذه الحرفة رغم بساطتها إلى نشاط خطير، تمكن فيه اليهود من مراقبة كل التحركات داخل القصر، وجمع الأخبار وتدبير المؤامرات^(٤).

وقد وجدت محلات خياطة اليهود في دمشق وكان أشهرها محل يوسف جاجاتي، وجاك قطش في شارع بور سعيد وهو محل لخياطة القمصان^(٥)، ويؤكد آتينجر على اشتغال اليهود بمهنة الخياطة بقوله: "واشتغل معظم سكان دمشق من اليهود في صباغة الأقمشة والحدادة وفي مجال المنسوجات وبيع الكتب والخياطة"^(٦). ويوجد إلى الآن خياط يهودي يمارس مهنة الخياطة في بيته في حارة اليهود، ولم نستطع التعرف إليه عن كثب ومعرفة اسمه ومن أين اكتسب هذه المهنة، وأسرار هذه المهنة.

١- القاسمي: قاموس الصناعات الشامية، ص ١٣٠.

٢- المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ٣١.

٣- عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون: دار الفكر، ط ٢، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، ص ٥١٦ - ٥١٧.

٤- بن صحراوي: الدور الدبلوماسي لليهود الجزائر، ص ٦٥.

٥- العجلاني: يهود دمشق الشام، ص ٣٥.

٦- آتينجر: اليهود في البلدان الإسلامية، ص ١٨٨.

٥- صناعة الأدوات النحاسية:

برز يهود دمشق وحلب بصفة خاصة في صناعة الأدوات النحاسية وهو المجال الذي ضمّ المئات من العمال اليهود، فقد كان يوجد في حلب ثلاثة عشر سمساراً من اليهود لبيع النحاس حتى القرن التاسع عشر^(١)

وعملت بعض النسوة اليهوديات في دمشق في النقش على النحاس، وعُرف من الصناع اليهود ممن عملوا بهذه المهنة مورييس نصيري وهومن أشهر النحاسين وهومن قام بتزيين فندق شيراتون دمشق بالنحاسيات عند افتتاحه^(٢).

٦- الكتابة:

لمهنة الكتابة أهمية خاصة بين اليهود، حيث كان كل يهودي يسعى مفتخراً بامتلاكه لأكبر قدر ممكن من الكتب، وأولها نسخة من الكتاب المقدس بالآرامية أو ما يعرف بالتاج^(٣)، ونسخة بالعربية وهو ما يعرف بالتفسير^(٤) وكتاب الصلوات^(٥)، وقد ملكت كل عائلة يهودية دواوين شعرية عديدة فكان الديوان^(٦) وهو الكتاب الثاني من حيث الأهمية بعد التوراة، يحتوي على أشعار تمدح السبت والمناسبات الدينية واحتفالات الزواج، وكان عدد من الكتاب اليهود يقوم بنسخ التوراة، ولكن هذه المهنة تراجعت بسبب الركود الاقتصادي العام والزيادة في أعداد الكتب المطبوعة المستوردة،

١- آتينجر: اليهود في البلدان الإسلامية، ص ١٩٠.

٢- العجلاني: يهود دمشق الشام، ص ٣٥٢.

٣- التاج: هو ترجمة التوراة من الآرامية، ويقسم هذا الكتاب إلى ثلاثة أجزاء: تعاليم الأصوات الساكنة واللينة وعلامات التشديد للتوراة.

٤- التفسير: هو ترجمة التوراة إلى اللغة العربية.

٥- كتاب الصلوات: طبع في القدس بنهاية القرن التاسع عشر

٦- الديوان: احتوت هذه الدواوين على أشعار تمدح أيام السبت والمناسبات الدينية واحتفالات الزواج وغيره. واحتوت كذلك على اشعار ذات محتوى أخلاقي فهي تحت الشباب على رفض التوافه والابتعاد عن الآثام، وهناك كذلك أشعار تتحدث عن العالم الثاني (الحياة والجنة والموت). انظر: أبوجبل، يهود اليمن، ص ٩٠

إضافة إلى تناقص أعداد السكان بعد الهجرة التي كانت من عوامل تراجع هذه المهنة وأصبحت الكتب الموجودة تغطي احتياجاتهم^(١)

وأكدت الوثائق على اهتمام اليهود في حلب بمهنة الكتابة و حرصهم على تعليم أولاد الفقراء منهم، فقد قام الرجل البالغ الرشيد الحكيم موسى ولد إبراهيم دوناتا من الطائفة الموسوية ومن تبعة الدولة العثمانية ومن أهالي محلة بحسيتا بحلب برضاء وطووعه وهو بصحته وعقله، بتحويل ثلثا داره الكائنة بزقاق شرق بمحلة بندرة اليهود بحلب وقدرها ستة عشر سهماً من جميع الدار المقدرة بأربعة وعشرين سهماً، وإيقافها لأجل تعليم فقراء اليهود صنعة الكتابة وتزويدهم بكل ما يحتاجونه لذلك، وشراء أثواب وأدوات وتوزيعها عليهم، واشترط في هذا الوقف تولية وقفه هذا أولاً لنفسه مدة حياته لا ينازعه ولا يعارضه فيها معارض^(٢).

حرص كبار السن من اليهود على تلقي جميع أبنائهم التعليم، وسعوا جاهدين لاستئجار المنازل وتحويلها إلى غرف للدراسة.

٧- صناعة النسيج:

ازدهرت صناعة النسيج خلال القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر، فقد وجد مع بداية القرن التاسع عشر اثنا عشر سوقاً في دمشق يمارس فيه تجارة الأقمشة والملبوسات، وفي العقدين الأوليين من القرن التاسع عشر، كانت صناعة النسيج في حلب ودمشق وفق تقديرات القنصل الروسي بازيلى تدر على المدينتين حوالي ٤٥ مليون قرش^(٣)، فشهدت هاتان المدينتان نوعاً من الرفاهية لم تشهدها أية مدينة أوروبية تهتم بصناعة النسيج^(٣)

وقد اهتم يهود دمشق وحلب بصناعة النسيج ولاسيما القطن والصوف، وكان يوجد في مدينة حلب معمل كبير لغزل القطن يدور على الماء وكان تأسيسه على يد تجار من اليهود، وذلك في سنة

١- أبو جبل: يهود اليمن، ص ٩١

٢- سجلات المحكمة الشرعية بحلب رقم ٤٩١، ص ٧٩، وثيقة ١٦٧ (ت ١٣٢٠هـ / ١٩٠٢م).

٣- يوسف: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، ص ٩٩

(١٢٨٩هـ / ١٢٩٠م) واستمر حتى نهايات القرن التاسع عشر^(١). وعملت النسوة اليهوديات في مهنة النسيج^(٢)، وبرع اليهود في تجارة القطن وكانوا يقومون بنسجه وصبغه بأنفسهم^(٣). ومما ساعد على انتعاش تجارة النسيج في حلب بشكل خاص نجاح التجار المسيحيين واليهود في الإمساك بزمام النشاط التجاري، وإقامة علاقات مباشرة مع أوروبا حيث كان لتجار حلب نشاط وافر مع العراق والبلدان الأوروبية^(٤) ثم إنَّ تجارة النسيج تجري في الخانات الكبيرة مثل خان الجمر^(٥) وخان الحرير^(٦)، ولم تقتصر هذه المهنة على اليهود فحسب بل شارك فيها الصناع المسلون أيضاً^(٧).

^١ - الغزي: كامل بن حسين بن محمد البالي، نهر الذهب في تاريخ حلب، دار القلم، حلب، ط٢، ١٩٩٢، ج١، ص ٩٧.

^٢ - شحاته ربه: اليهود في المغرب العربي، ص ١٧٩.

^٣ - الغزي: نهر الذهب، ج١، ص ٩٧.

^٤ - سميليا، نسكايا: البنى الاقتصادية والاجتماعية في المشرق العربي على مشارف العصر الحديث، ترجمة يوسف عطا الله، دار الفارابي، بيروت، ط١٩٨٩، ص ٢٠٧.

^٥ - خان الجمر: أسس هذا الخان في النصف الثاني من القرن السادس عشر وتحول في القرن التاسع عشر إلى مركز هام للتجارة الخارجية والمحلية حيث وجد فيه أغنى عائلات اليهود الحلبية ك بيجوتو، ساسون، دايان، سلفيرا، شماع، كوهين، الذين كانوا يتمتعون بجنسيات أجنبية أو يقومون بأعمال قنصلية. انظر: حريثاني، محمود: حلب أسواق المدينة، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩١، ص ٤٧ - ٤٩.

^٦ - إنَّ تجارة النسيج كانت تجري في الخانات الكبيرة مثل خان الجمر وخان الحرير، وتقوم بها الأقليات المسيحية واليهودية والأجانب المقيمون في حلب منذ القديم، وقد كان فيها أكثر من عشرين مكتباً للاستيراد والتصدير يديرها أجانب أو يهود، يهتمون بتجارة النسيج وكذلك باستيراد الآلات والمواد الأولية من أوروبا خاصة. حريثاني، حلب أسواق، ص ٣٠ - ٣٣.

^٧ - شحاته ربه: يهود المغرب العربي، ص ١٤٥.

٨- مهن متنوعة:

ومن المهن التي اشتهر بها اليهود في دمشق وحلب وعملوا بها كما يذكر سعيد القاسمي في قاموسه.

١- النقاشة:

هو من ينقش أصناف الأواني كالبراطي والطاسات والشماعدين والصواني والفوانيس وغيرها، وهي حرفة لا يتقنها سوى طائفة اليهود، إذ يقوم النقاش بدق الآنية مثلاً عند النحاس، فمن رغب في نقشها سلمها إلى النقاش، فيملؤها من الزفت كي لا تتعوج حين النقش، وينقشونها بإزميل من حديد، على حسب ما يرغب صاحبها من أنواع الورود والأشجار أو الحيوانات، وهي حرفة لطيفة جداً وكانت الرغبة في تلك النقوش بدمشق قليلة جداً وغالباً ما يقوم بممارستها تجار متخصصون يقومون بإرسال الأواني المنقوشة إلى البلاد الأوروبية، وإلى مصر وغيرها، حيث الرغبة بها شديدة في تلك البلاد، وهي حرفة مهمة تنتج ربحاً جيداً، ونقش الرطل من النحاس لا تقل أجرته عن ثلاثين قرشاً^(١).

٢- مراب:

المرابي هو من يقرض الناس بالزيادة، ويعمل اليهود بهذه المهنة، فيقومون بإقراض المئة بمئتي عشر قرشاً في السنة ومنهم من يقرض الفلاحين والعرب فيأخذ في المئة خمسين أوستين، ولا يكتفون بتلك الزيادة بل يخرجون في المواسم إلى الفلاحين ويطالبونهم بطعام وشراب وغيرها^(٢).

٣- البويجية:

عمل قسم كبير من يهود دمشق في حرف متواضعة بل ومحتقرة، والأمر نفسه ينطبق على الطبقة الفقيرة من اليهود في حلب، كحرفة البويجية إذ كان الشباب يدورون في الأسواق والأماكن التي يجتمع فيها الناس حاملين صندوقاً من الخشب يتضمن أنواعاً من الفرشايات والبوية؛ متنوعة الألوان كالأسود والأصفر والأبيض وأنواع الزيوت كزيت السمك واللوز ويمسحون النعال بأجر بسيط. كما عملوا كمغنين في المقاهي وجامعين للخرق البالية من المزابل وأقنية الماء والحارات فيأخذونها

١- القاسمي: قاموس الصناعات الشامية، ص ٤٨٦.

٢- العجلاني: يهود دمشق الشام، ص ٣٥٠.

ويغسلونها وبييعونها للطارين لصر الرز والسكر والمواالح وغيرها، أو للصرمانية ليجعلوها حشواً للصرامي^(١).

٤- السمكري (لحم التتک):

يقوم صاحبها بإشعال النار بالفحم من أجل لحم التتک والقصدير في بعضه، وهذه الصنعة مشهورة بدمشق وأكثر من يعمل بها من اليهود^(٢)، فقد ذكرت الوثائق أحد السماكرة اليهود في دمشق من خلال قيامه بشراء دار بمحلة اليهود وهو سليم بن شحادة بن سليمان أبو حانا السمكري^(٣).

٥- بيع الملابس:

عمل عدد من اليهود في دمشق وحلب في بيع الملابس القديمة، فقد كان اليهودي صاحب هذه المهنة يحمل كيساً على كتفه ويتجول في حارات وأزقة دمشق وهو ينادي بلهجة عبرية (أواعي للبيع، صحنون للبيع، زيادي للبيع) فمن أراد بيع شيء عتيق ناداه وباعه وهو بدوره يجمع هذه الأشياء التي اشتراها ويصلح ما يمكن إصلاحه وينظف ما يمكن تنظيفه ويعيد بيعه^(٤).

٦- ديمجي:

اسم لمن يتاجر ببيع الديما^(٥)؛ وهي أثواب تتسج من القطن معروفة لدى أهل الشام، والديمجي إما أن يكون معلماً، أي مهيناً لجميع ما تحتاجه هذه الصنعة من تدوير الأنوال ولوازمها، أو أن يكون تاجراً في بيع الديما، وهي صنعة رائجة جداً^(٦)، فنقرأ في إحدى الوثائق عن قيام التاجر

^١ - نعيصة، يوسف: مجتمع مدينة دمشق في الفترة ما بين (١١٨٦ - ١٢٥٦هـ / ١٧٧٢ - ١٨٤٠م)، دار طلاس، دمشق، ط١، ١٩٨٦، ج٢، ص٣٤٧، ٣٤٨.

^٢ - العجلاني: يهود دمشق الشام، ص٣٤٨، ٣٤٩.

^٣ - سجلات المحكمة الشرعية بدمشق رقم ١١٠٧، وثيقة ٩٤، (ت ١٣١١هـ / ١٨٩٤م).

^٤ - العجلاني: يهود دمشق الشام، ص٣٤٨.

^٥ - الديما: نسيج من القطن الخالص، بخلاف الآلاجة التي يدخل فيها الحرير مع القطن.

^٦ - القاسمي: قاموس الصناعات الشامية، ص١٤٧.

الشامي السيد مراد بن نعمة جاكيش الحمصي الخرسيتاني بالادعاء على الخواجة يوسف بن نسيم بودين اليهودي بأن له عليه مبلغ ٧٠٠ قرش بقية ثمن صايات الديما^(١) التي كان قد اشتراها منه^(٢)

٧- الصيرفي:

هو من يقوم بتبديل أنواع العملة حسب الرغبة وهذه الحرفة لا يعمل بها إلا اليهود، ويقال لهم "الصيارف" حيث يجلسون في محلاتهم وكل منهم لديه كمية كبيرة من أصناف العملة الفضية والذهبية والنحاسية، فيأتي من يرغب في تبديل العملة الذهبية بالفضة أو بالعكس أو بالنحاسية، فيعطيه طلبه، ويأخذ منه في المائة عشرين أو ثلاثين بارة^(٣) حسب الاتفاق بينهما وهذه المهنة كانت من المهن التي مارسها اليهود بشكل واسع في تلك الفترة نظراً لعدم حاجتها لرأس مال كبير، ولسلامة تجارتها من الخسارة، وريحهم فيها من فرق العملة، وتعد هذه الحرفة من أهم الحرف التي يعمل بها اليهود نظراً لما تحققه من ربح كبير، إذ لا تتطلب هذه المهنة سوى معرفة بالعملة وتمييز السيء من الدراهم والدنانير من جيدها^(٤).

وسيتم البحث بشكل مفصل عن النشاط الصيرفي في ولايتي دمشق وحلب أثناء الحديث عن نشاطهم التجاري.

٨- الطحان:

وهو من يستأجر الطواحين لطحن الحنطة، وهي حرفة مهمة لدى اليهود لما فيها من ربح كبير، وأكدت لنا الوثائق عن ممارسة اليهود لمهنة طحن الحبوب من خلال عمليات استئجار المطاحن، فضلاً عن ممارسة التجارة في أصناف الحبوب، فنجد الخواجة مايير بن الخواجة حزقيل

^١ - الصايات: هي قطعة من القماش تكفي لصنع الثوب وتكون بحدود المترين وهي نسيج أصلاً لتكون قطعاً قطعاً، لسهولة بيعها وتفصيلها وحملها.

^٢ - سجلات المحكمة الشرعية بدمشق رقم ٧٣٥، ص ٦٢، وثيقة ١٦٩ (ت ١٢٩٨ هـ / ١٨٨١ م).

^٣ - البارة: عملة فضية، تعني الفلوس، ويطلق الأتراك اسم بارة على جميع النقود، واستخدمت كعملة في سائر الولايات، وكان السلطان مراد الرابع قد أمر بسك البارة من الفضة ودون عليها (مراد بن أحمد خان). انظر: عامر، المكايل والأوزان والنقود، ص ١٨٦.

^٤ - العجلاني، يهود دمشق الشام، ص ٢٨٠.

بن الياهو شويلا الصراف الموساوي يستأجر مطحنة بقرية العادلية لطحن البرغل^(١)، وفي وثيقة أخرى ادعى أسعد أفندي بدوي أحد أعضاء محكمة الاستئناف بدمشق الشام على سليم بن يحيى الجاجاتي اليهودي بأن المدعى عليه اشترى منه ٣٦ جفت برغل، سعر الواحد ٢٩ قرشاً والجميع ١٠٤٠ قرشاً ولم يدفع له سوى نصف المبلغ، ولكن سليماً ادعى بأن البرغل الذي أخذه منه طحنه فظهر أنه فاسد من أصله^(٢)، كما قام الخواجة مايير بن الخواجة حزقييل الموساوي بشراء حصة من القرن الكائن بمحلة باب توما، بسعر ١٠ / ليرات ذهبية مجيدية^(٣)، ويوجد الكثير من الوثائق التي تحدثت عن قيام اليهود في دمشق ببيع وشراء البرغل أو الطحين أو شراء واستئجار مطاحن لطحن أصناف الحبوب من قبل اليهود مما يدل على أنها كانت أحد المهن الرائجة لدى يهود دمشق.

وهناك مهن كثيرة يصعب حصرها، فقد عمل فقراء اليهود في دمشق وحلب كمعزلين لمحلات القدر، وبائع كبريت حيث كانوا يجلبونه من البلاد الأوروبية، ومن اليهود من يقوم بصنعه في دمشق، فضلاً عن قيامهم بشراء وبيع الأواني المستعملة الزجاجية والنحاسية والخشبية (الانتكا)^(٤) وعمل يهود حلب في بيع المخلل فقد اشترى اليهودي أبراهام ولد يحيى ولد أبراهام دكان لبيع المخلل بمدينة حلب^(٥).

^١ - سجلات المحكمة الشرعية بدمشق رقم ٨٣٣، وثيقة ٧٩، (ت ١٣٠٤ هـ / ١٨٨٧ م).

^٢ - سجلات المحكمة الشرعية بدمشق رقم ٧٣٥، ص ٤٧، وثيقة ١٢٤، (ت ١٢٩٨ هـ / ١٨٨١ م).

^٣ - سجل المحكمة الشرعية بدمشق مشوش رقم ٩، ص ٦٨٨، (ت ١٢٨٤ هـ / ١٨٦٧ م).

^٤ - العجلاني: يهود دمشق الشام، ص ٣٥٠ - ٣٨٢.

^٥ - سجلات المحكمة الشرعية بحلب رقم ٢٤٤، ص ٨، وثيقة ١٨، (ت ١٢٦٠ هـ / ١٨٤٤ م).

٩- الطب:

اهتم اليهود بشكل خاص بتعلم الطب، وعدوه وسيلة لكسب المال وذلك للحصول على مناصب رفيعة لدى السلاطين والحكام^(١)، وبرز اليهود في مهنة الطب بشكل كبير وواضح لدرجة أن البعض وصف دورهم في هذا المجال أنه احتكار لمهنة الطب لاسيما في قصور السلاطين، وما يؤكد سيطرتهم على هذا هذه المهنة اعتماد الخلفاء السلاطين والأمراء عليهم، إذ إن الكثير منهم خدموا لدى الخلفاء وفي قصور السلاطين العثمانيين، لدرجة أنهم كانوا يصدرن أوامر بمنع استخدام أهل الذمة في الوظائف الحكومية، وكان يستثنى الأطباء منهم ومن أولئك الأطباء إسحاق بن شليطا اليهودي البغدادي، كما اشتهر منهم الطبيب اليهودي أبو كثير أفرائيم بن الحسن بن إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب، الذي كان له مكتبة كبيرة تضم الكثير من كتب الطب وغيرها، وقد ترك أفرائيم من الكتب ما يزيد على عشرين ألف مجلد، ومن كتبه كتاب "تعاليق ومجريات" وذكر فيه الأمراض ومداواتها، وكتاب "التذكرة الطبية في مصلحة الأحوال البدنية" والكثير من المقالات الطبية^(٢)، وتنتقل الكثير من هؤلاء الأطباء بين مصر وبلاد الشام، ففي حلب وجد الطبيب عفيف بن عبد القادر بن سكرة اليهودي، وله من الكتب مقالة في القولنج، والطبيب أبو الفضل اليهودي الحلبي المعروف بالشريطي الذي شارك بممارسة الطب وعالج الفقراء والمحتاجين بالمجان، وقد اشتهر بين الناس باللتجيم والطب^(٣) وفي دمشق عرف الطبيب أوحده الدين بن صدقة الإسرائيلي، الذي ولد في حي الأمين بدمشق سنة (١١٦٥ هـ / ١١٦٥) وكان أبوه طبيباً مشهوراً، تعلم صناعة الطب، وأصبح رئيساً لأطباء عصره في بیمارستان الكبير^(٤)، كما برز الطبيب صدقة بن منجا بن صدقة السامري، الذي ولد في حران وتعلم فيها الطب والفلسفة، ثم انتقل إلى دمشق، وترك الكثير من المؤلفات في الطب،

^١ الخالدي، خالد يونس: اليهود تحت حكم المسلمين في الأندلس، دار الثقافة والإعلام، الشارقة، ط ٢٣، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢ م، ص ١٨٩.

^٢ جلو: اليهود في المشرق الاسلامي، ص ٢٤٦ - ٢٥٥.

^٣ ابن العديم، عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جردة (ت ٦٦٠ هـ - ١٢٦١ م)، زبدة حلب في تاريخ حلب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م، ص ٣٧٩.

^٤ جلو: اليهود في المشرق الاسلامي، ص ٢٥٩.

واستمر اليهود في مهنة الطب في العصرين المملوكي والعثماني رغم قلة عدد اليهود بالنسبة للمجتمع ككل فإنهم أدّوا دوراً كبيراً في مجال الطب^(١).

وقد تمكن بعض أطباء اليهود في الدولة العثمانية من الوصول إلى مكانة عالية في قصور السلاطين العثمانيين لدرجة أن بعض السلاطين كانوا يلجؤون إليهم عند الضرورة، فكانت هذه المهنة من أهم المهن الخدمية التي برع بها اليهود والتي حققت لهم المنزلة الرفيعة لدى الخلفاء والملوك والأمراء فضلاً عن تحقيق الكسب المادي، وقد اشتهرت ولاية دمشق في العصر العثماني بوجود عدد من الأطباء اليهود الذين تمكنوا بفضل التسامح الديني الذي تميز به مجتمع مدينة دمشق من العيش كجزء لا يتجزأ من نسيج المجتمع الدمشقي، وبرز عدد من الأطباء اليهود في ظل هذا التسامح الديني في عدة أحياء دمشقية مثل (حارة اليهود- برج الروس- شارع المجلس النيابي)^(٢).

وقد سعى الأطباء اليهود في العصر العثماني إلى جعل أنفسهم عنصراً لا غنى عنه للسلطان العثماني وللقيادة من الطبقة الحاكمة، فقد استثمروا ثرواتهم ومعلوماتهم للوصول إلى غاياتهم في التقرب ليس فقط من السلاطين والطبقة الحاكمة وإنما أيضاً مكنتهم من التقرب من عامة الناس ومساعدة إخوانهم من اليهود وحمايتهم الأقل نفوذاً منهم حيث تمكنت أسرة هامون من السيطرة على الحكم العثماني هذه الأسرة التي اشتهرت بالعمل في مهنة الطب وكان أشهر من برز من هذه الأسرة

^١ - عبر أحد الشعراء عن سيطرة اليهود على مهنة الطب، واستغلالهم لهذه المهنة في التقرب من السلاطين والولاة في هذه الأبيات.

لعن النصارى واليهود لأنهم

سحروا الملوك وغيروا الأحوال

وغدوا أطباء وحساباً لهم

فتقاسموا الأرواح و الأموال

انظر: جلو: اليهود في المشرق الاسلامي، ص ٢٦٠ - ٢٦٢.

^٢ - العجلاني: يهود دمشق الشام، ص ٣٠٤.

الطبيب جوزيف هامون الذي خدم كطبيب خاص في القصر الهامبوني، وتمكنت هذه الأسرة من تطوير علوم التشريح والجراحة، وجعلوا الدولة العثمانية رائدة في العلوم الطبية^(١).

وما ينطبق على الدولة العثمانية ينطبق على ولاياتها في المشرق والمغرب، فقد كان اليهود جزءاً من تركيبة المجتمع من جهة ومن جهة أخرى فإن احتكاك اليهود الغربيين في فترة مبكرة، ومجيء بعض العناصر اليهودية التي عاشت في أوروبا ساهم في نشر الوعي بين أبناء اليهود، خاصة فيما يتعلق بالطب الوقائي^(٢)، فعندما انتشر الطاعون والكوليرا والجذري في دمشق وأخذ آلاف الأرواح معه، كان اليهود يتخذون لأنفسهم تدابير وقائية أفضل مما كان يفعله المسلمون، لهذا كانت نسبة الوفيات بينهم أقل مما كانت لدى المسلمين، وكان في دمشق أطباء يهود عديدون، وذكرت لنا سجلات المحكمة الشرعية بدمشق أسماء أطباء يهود دمشقيين مارسوا الطب منهم الطبيب والمعلم يوسف اليهودي، وكان دكانه في محلة اليهود بزقاق الزيتون، والطبيب سعد بن يوسف اليهودي والمعلم هدايا الطبيب اليهودي والطبيب عبد الحكيم اليهودي^(٣).

وقد حظي الأطباء اليهود بقدر كبير من الشهرة في كافة أنحاء الدولة العثمانية، وكان من بين العوامل التي شجعت اليهود على العمل بهذه المهنة حرصهم على مطالعة كتب الطب اليونانية والعربية، فضلاً عن توارثهم لهذه المهنة أباً عن جد، إضافة إلى أن المشتغلين بهذه المهنة تمتعوا بمكانة اجتماعية واقتصادية عالية، وليست لدينا أية معلومات عن الأجرة التي كان يتقاضاها الأطباء، ومع هذا يمكننا أن نتصور أنه كان يتقاضى دخلاً كبيراً، وكان يتم إعفاء الأطباء العاملين لدى السلطان أو الحكام من دفع الضرائب^(٤).

^١ - ج شو: يهود الدولة العثمانية، ص ١٦٤ - ١٦٦.

^٢ - نعيصة: يهود دمشق، ص ٣٣.

^٣ - نعيصة: مجتمع مدينة دمشق، ج ١، ص ١٤٢. وانظر: السجلات رقم ٢٢٠/سنة ١٢٠١ - ١٢٠٢ هـ، ص ٥، وسجل المحكمة الكبرى بدمشق رقم ٢٢١/سنة ١٢٠١ - ١٢٠٢ هـ. ص ٢٢٩، والسجل رقم ٢٩٠/سنة ١٢١١ - ١٢١٢ هـ، ص ٣٣٨.

^٤ - لاندوا: تاريخ يهود مصر، ص ١٥٢.

وقد اعتنق بعض الأطباء اليهود الإسلام، مما فتح أمامهم الكثير من الأبواب لتحقيق أطماعهم. كالطبيب يوسف بن موسى اليهودي^(١) ووجدت في سجلات محاكم حلب الكثير من أسماء الأطباء اليهود، من خلال دعاوى الدين والإرث وغير ذلك، كما كان لهؤلاء الأطباء اليهود دور في النشاط الاقتصادي والتجاري إلى جانب نشاطهم في الطب، فنجد الطبيب منصور ولد ياسف اليهودي "الحكيم" الذي ذكر في عدة وثائق، عرف منها أنه كان يسكن في محلة يهوديان "البندرة" وعرف عنه أنه كان طبيباً حاذقاً، وكان يقوم بخدمة المرضى المسلمين ويطببهم^(٢). والطبيب موسى ولد شمعة اليهودي، وقد ذكر من خلال شرائه حصة من دكان بسوق القضامانية بحلب معد للعطارة^(٣). فمن المحتمل أن تكون مهنة الطب في تلك الفترة مرتبطة بمهنة العطارة، فنجد كثيراً من الأطباء كانوا عطارين أيضاً، وبقيت مهنة الطب وطرق العلاج في دمشق ضعيفة نوعاً ما ولم تتطور حتى توجه بعض الأطباء إلى الآستانة، حيث كانت مدارس الطب والصيدلة فيها على الطرق الأوروبية، وقام بالتدريس فيها مدرسون أوروبيون واعتمدوا في ذلك المناهج الأوروبية وتم ذلك في عهد السلطان محمود الثاني الذي أقام مكتباً طبياً في "غلطة سراي" من أجل تعليم الطب لأبناء الدولة، وكان أول احتكاك للأطباء اليهود الدمشقيين بالمدارس الغربية في عهد إبراهيم باشا، عندما قتل البادري توما سنة ١٨٤٠م في دمشق وكشف على عظامه أطباء أوروبيون ومسيحيون وإسلام^(٤). يمكن القول إنَّ يهود دمشق وحلب عملوا في مختلف الصناعات ولم يأنفوا من العمل في أي مهنة طالما أنها تحقق لهم الربح، وسيطروا وبشكل طبيعي على المهن الأكثر ربحاً والتي يحققون من خلالها أطماعهم في التقرب من السلاطين والولاة لكي يبقوا على دراية بأحوال البلاد السياسية ويتمكنوا من زيادة نفوذهم وتحكمهم بمقررات البلاد السياسية.

^١ - سجلات المحكمة الشرعية بدمشق رقم ٥٣ مشوش، ص ٢٤٤، (ت ١١٨٢هـ / ١٧٦٨م).

^٢ - سجلات المحكمة الشرعية بحلب رقم ٣، ص ٧٩٦، وثيقة ٥٤، (ت ١٣٠٦هـ / ١٨٨٨م).

^٣ - سجلات المحكمة الشرعية بحلب رقم ٣٥، ص ٣٩٧، وثيقة ٢٠٤ - ٢٤٤، (ت ١٣٠٢هـ / ١٨٨٤م).

^٤ - نعيصة: مجتمع مدينة دمشق، ص ١٤٦-١٤٧.

ثالثاً: النشاط التجاري لليهود في ولايتي دمشق وحلب:

شغلت ولايتي دمشق وحلب مركزاً متميزاً بالنسبة لتجارة بلاد الشام، وكانتا من أعظم المراكز التجارية في السلطنة العثمانية مع بداية القرن التاسع عشر إذ كانت القوافل التجارية تأتي إلى دمشق من داخل بلاد الشام، وبلاد فارس والهند حاملة التبناك والسجاد واللؤلؤ والتوابل والأحجار الكريمة، والثياب والألبسة الحريرية الموشاة بالقصب والمصنوعات الخشبية والصدفية والنحاسية، وإلى جانب الأهمية التجارية لدمشق فقد كانت مركزاً لتجمع الحجاج القادم من الأناضول والبلاد المجاورة ومنها تنطلق قافلة الحج الشامي^(١) ذات الشهرة التجارية الواسعة، وتعود إليها هذه القافلة محملة بالبضائع مما جعل موسم الحج يسهم في حركة التجارة داخل الولاية^(٢)، فضلاً عن ازدياد نفوذ التجار الأجانب بعد دخول قوات إبراهيم باشا دمشق عام ١٨٣٤، والذي سمح لهم بممارسة أنواع التجارة كافة، واعترفت الدولة بهم كطوائف أو ملل مستقلة فأقاموا في البلاد، وتاجروا فيها مستفيدين من حماية الدولة، ونظام الامتيازات^(٣) كما أصبحوا صلة الوصل بين التجار الدمشقيين والحلبيين والمؤسسات التجارية والصناعية الأجنبية في الخارج، وأصبحت التجارة منذ ذلك الحين تجري تحت اسم أوروبي،

١- قافلة الحج الشامي: من أبرز مظاهر النشاطات المتعددة في دمشق حيث أغنت الحياة الدمشقية من النواحي الاجتماعية والاقتصادية وأعطت المدينة رفاً اقتصادياً كبيراً وأتاحت موارد متنوعة لتجارة دمشق، وفرصة للقاء العلماء والشيوخ من كافة البلاد، وقد رافقت القافلة مظاهر احتفالية رائعة كان أهالي دمشق ينتظرونها كل عام. انظر: عبيد، محمد غسان: تاريخ دمشق ١٧٢٤ - ١٧٥٦م، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة دمشق، ٢٠٠٤، ص ١٩٣.

٢- صياغة، نايف: الحياة الاقتصادية في مدينة دمشق في منتصف القرن التاسع عشر، دمشق، وزارة الثقافة، د.ط، ١٩٩٥، ص ١٤٥، ١٤٦.

٣- الامتيازات الأجنبية: اصطلاح يشير إلى المعاملة القضائية والقانونية الخاصة التي تقررت للأجانب الموجودين في أقاليم الدولة العثمانية بمقتضى مجموعة من المعاهدات، وقد نشأت نتيجة معاهدات الامتيازات الأجنبية عدة مراكز ومستعمرات تجارية، تركزت فيها التجارة الدولية في عدة مناطق من الدولة العثمانية، وكان من أوائل التجار اليهود الذين تمتعوا بالحماية الأجنبية تجار حلب اليهود، وكانوا جزءاً من الشبكة التجارية اليهودية الدولية الممتدة من بولندا إلى وسط أوروبا وغربها، ومع بداية القرن التاسع عشر اتسع حجم نظام الامتيازات الأجنبية بين يهود العالم العربي حتى كانت غالبيتهم العظمى تتمتع بحماية الدول الأجنبية، وكان للامتيازات دور أساسي في تسهيل عملية الاستيطان الصهيوني إلى فلسطين. انظر: المسيري، عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٦، ج ١، ص ٤٢٨-٤٢٩.

مما جعل تجار دمشق وحلب مضطرين للتعامل معهم، فساهمت التجارة الأوروبية في ازدهار الأحوال الاقتصادية منذ منتصف القرن التاسع عشر، أما بالنسبة للتجار اليهود فقد قاموا بدور الوسيط التجاري بين التجار الأوروبيين والتجار المحليين^(١).

فقد عدَّ القرن التاسع عشر نقطة تحول هامة في تاريخ البلاد العربية سواء في المشرق أو في المغرب، وذلك نتيجة المنافسة الشديدة بينها وبين الدول الأوروبية الصناعية التي سعت إلى استعمارها وتجلت المجابهة بشكل رئيسي في مجالي التجارة والصناعة، فنالت ولايتي دمشق وحلب نصيبها من هذه المنافسة^(٢)، فبعد خروج القوات المصرية من دمشق سنة ١٨٤٠ بدأت الدول الغربية بالانفتاح على البلاد عبر قناصلها، وزاد تدخلهم في شؤون البلاد الداخلية، الأمر الذي أدى فيما بعد إلى اندلاع فتنة ١٨٦٠^(٣)، والتي ازداد بعدها تدخل القناصل في دمشق وبيروت والدولة العثمانية برمتها حتى ضاعت البلاد العربية وضاعت معها الدولة العثمانية، وهذا كله بسبب ثقة الدولة العثمانية بالدول الأوروبية ورغبة عدد من العملاء بحماية هذه الدولة أو تلك^(٤).

أما حلب فلم تكن بأقل من دمشق من حيث أهمية الموقع التجاري، فقد تمتعت بموقع تجاري متميز في القرنين الخامس والسادس عشر من الحكم العثماني إذ انفتحت أمامها أسواق السلطنة العثمانية، وكانت مركزاً هاماً لتجارة المرور بين أوروبا من ناحية وبلاد فارس والشرق الأقصى من ناحية أخرى، ويشهد على نشاط حلب التجاري ما بني فيها من أسواق وخانات لتصريف البضائع محلياً أو لشحنها خارج حدود الدولة، ونظراً للدور التجاري الهام الذي لعبته حلب محلياً ودولياً، فقد

١- صياغة: الحياة الاقتصادية، ص ١٤٩.

٢- رافق: بحوث في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، ص ١١٥.

٣- فتنة ١٨٦٠ أو ما يعرف بمذابح الستين في لبنان وسوريا والتي حدثت في عهد السلطان عبد المجيد (١٨٣٩-١٨٦٠) بدأت بحرب أهلية بين المسيحيين والدرز منذ العام ١٨٤٠ في جبل لبنان وذهب ضحيتها الكثير من الأرواح، واستمرت حتى العام ١٨٦٠ أدت إلى اثاره النعرات الطائفية وشملت جنوب لبنان وسوريا ولاسيما دمشق وحاصبيا وراشيا وزحلة، نتج عنها تدخل الدول الأوروبية الكبرى في شؤون البلاد الداخلية بحجة حماية الأقليات الدينية. انظر: مسعد، بولس: الدولة العثمانية في لبنان وسوريا حكم أربعة قرون ١٥١٧-١٩١٦، دار الكتب المصرية، د. م، ١٩١٦، ص ٦٩، ٧١.

٤- العلبي، أكرم: يهود الشام في العصر العثماني، ص ٢٠٩.

أقامت الدول التجارية الأوروبية وأبرزها إنكلترا وفرنسا، ممثلين تجاريين فيها، واتخذ هؤلاء صفة سياسية كقناصل لدولهم^(١)، وتمتع التجار الأجانب فيها بامتيازات تجارية وقانونية بموجب نظام الامتيازات الذي بدأ في عام ١٥٣٥ واستمر حتى النصف الأول من القرن العشرين، ونظراً لتفوق حلب كممر تجاري للتجارة الأوروبية بالنسبة لدمشق، فلم يكن للأجانب فيها ممثلون أو قناصل إلى أن سيطر عليها إبراهيم باشا ١٨٣١م^(٢). فكان تعامل التجار الأجانب مع تجار دمشق وريفها مثل ذلك يتم بوساطة وكلائهم فيها، وأعن طريق ممثليهم من القناصل ونوابهم في المدن الساحلية، وبخاصة صيدا^(٣)، وقد أعطى يهود دمشق وحلب كغيرهم من يهود العالم التجارة اهتماماً كبيراً حيث كانت طريقهم إلى الربح الكبير^(٤).

يلاحظ أنَّ اليهود في دمشق وحلب أدوا دوراً بارزاً في الحركة التجارية في دمشق وحلب، وتشكلت طبقة يهودية أسهمت في النشاط التجاري، وارتبطت مصالحها بالمناطق التي عاشت فيها، وربطت مصيرها وحياتها بها.

^١ - رافق: بحوث في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لبلاد الشام في العصر الحديث، كلية الآداب، جامعة دمشق، دمشق، ١٩٨٥م، ص ١١٦.

^٢ - كان إبراهيم باشا خلال فترة حكمه في بلاد الشام بين عامي ١٨٣١-١٨٤٠م قد فتح الباب على مصراعيه للمؤثرات الأوروبية على اختلاف أنواعها، مما أدى إلى تدفق البضائع الأجنبية التي أخذت تنافس بصورة جدية البضائع المحلية، وشارك التجار المسلمين والمسيحيين واليهود على حد سواء في المتاجرة مع أوروبا وفي تسويق بضائعها. انظر: John Bowring, Report on the Commercial Statistics Of Syria, London, 1840, reprinted, New York, 1973, p. 94.

^٣ - إنَّ مدينة حلب هي الولاية العثمانية الثالثة من حيث الأهمية بسعتها وسكانها ورخائها، على الرغم من ضعفها التجاري النسبي، إلا أنها كانت تتمتع بشهرة تجارية واسعة انظر: ليلي الصباغ، الجاليات الأوروبية، ج١، ص ٣٧٣ - حول أهمية حلب التجارية ودور القناصل الأوروبيين التجاري فيها انظر: الصباغ، الجاليات الأوروبية، ج١، ص ٣٠٨.

^٤ - ول، ديورانت: قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، دار الجيل العربي، بيروت، (د. ت)، ج٢، ص ٦١.

أ- ممارسة يهود دمشق وحلب لأعمال التجارة الداخلية:

نتيجة للتسامح الديني الذي تمتع به أهل الذمة عامة واليهود بشكل خاص في مختلف مناطق الدولة الإسلامية في ظل الإدارة العثمانية، فقد مارسوا جميع أنواع التجارة، واحتكروا السمسرة وأعمال المصارف وتبديل العملة ومارسوا تجارة الخمر والنبذ وبيعها بشكل واسع^(١). وشمل نشاطهم التجاري المواد الغذائية ولاسيما تجارة السكر وتاجروا بالملح والمنسوجات كالشاش الشامى^(٢) والبن^(٣) والحرير والصوف والقرفة التي أحضروها من الشرق، فمن خلال الوثائق تبين أن يهود دمشق مارسوا تجارة الحرير على نطاق واسع من خلال دعاوى الدين، فقد تقدم السيد بكر بن عبد اللطيف بدعوة على مراد بن سليمان اليهودي وشحادة بن سليمان اليهودي وشعبان بن خضر اليهودي بأن له عليهم ١٠٠٠ قرش ثمن حرير معلوم بينهم^(٤)، وفي وثيقة أخرى نقرأ عن وجود شراكة في تجارة الحرير الملون، بين كل من خضر سليمان بن يحيى اليهودي الحريري ويوسف بن يعقوب اليهودي الحريري، وبيعه في الدكان خارج باب الجابية بدمشق بسوق الحبالين ويوزع الربح بنسبة الثلث^(٥).

نتيجة لما تدره تجارة الحرير من ربح وفير فضلاً عن حاجتها لإقامة علاقات تجارية خارجية للاستيراد والتصدير فقد نشأت شركات تجارية اختصت بتجارة الحرير، ولقب من يعمل بهذه

^١ - جلو: اليهود في المشرق، ص ١٧٣ - ١٨١.

- أدى يهود دمشق وحلب دوراً بارزاً في النظام التجاري منذ أقدم العصور، ولاسيما في المناطق المطلة على البحر الأبيض المتوسط، وكان كبار التجار اليهود يملكون رأس مال يكفي لتمويل مشاريعهم وحملاتهم التجارية، ولذا فقد قاموا بدور الوسيط التجاري في عقد الصفقات التجارية مقابل نسبة مئوية من أرباح تلك الصفقات، ولكونهم أقلية في المجتمع الإسلامي فقد كانوا يخضعون لتشريعات الدولة الخاصة، ولا يلجؤون إلى تشريعاتهم الخاصة إلا في حالات النزاعات المختلطة. انظر: العجلاني، يهود دمشق الشام، ص ٣٤٥.

^٢ - سجلات المحكمة الشرعية دمشق رقم ٣٧٣، ص ٣٢، وثيقة ٣٣، (ت ١٢٥٩هـ / ١٨٤٣م).

^٣ - سجل تجارة دمشق رقم ٣٢٨، ص ٢٥٩، وثيقة ٥٧٦، (ت ١٢٤٩هـ / ١٨٣٣م). نتحدث عن هذه الوثيقة بشكل مفصل عن تجارة البن الإفرنجي والتي كان يمارسها اليهودي مايير بن روفائيل الموره لي انظر نص الوثيقة.

^٤ - سجلات المحكمة الشرعية بدمشق ٣٠ مشوش، ص ٢٧، (ت ١٢٥٠هـ / ١٨٣٨م).

^٥ - سجل تجارة دمشق رقم ١٢٢، ص ١٢٦، وثيقة ٢٨٨، (ت ١١٦٥هـ / ١٧٥٢م).

المهنة بالحري، ويذكر أن دمشق كانت من أكبر المدن التي وجد فيها تجار يهود أغنياء، وكانت لهم علاقات تجارية مع يهود صفد ويهود بيت المقدس، من خلال عمليات بيع وشراء الأراضي والدور السكنية^(١).

وقد برع اليهود في تجارة الرقيق، فوجدوا دائماً في أسواق الرقيق في بلاد الشام^(٢)، حيث كانت تجارة الرقيق مباحة لديهم، فكان منهم النخاس "تاجر الرقيق" وبرع اليهود في هذه التجارة، وكان حي بحسيتا في حلب مركز الرقيق الأبيض، وكان في دمشق سوق للرقيق الأبيض في حي الجمرك الجنوبي الغربي، وقد اشتهر هذا الحي بإيواء أجمل الفتيات اللواتي يبعن أجسادهن وكُنَّ من اليهود أو من اللواتي استقمن لهذا الحي للارتزاق^(٣)، ويؤكد ابن خرداذبة في كتابه المسالك على ممارسة اليهود لتجارة الرقيق بقوله: "أنهم كانوا يسافرون من المشرق إلى المغرب، ومن المغرب إلى المشرق براً وبحراً ويجلبون من الغرب الخدم والجواري والغلمان" الرقيق "والديباج والجلود والفراء والسيوف، عبر البحر المتوسط إلى مصر ثم إلى البحر الأحمر ومنه إلى شبه الجزيرة العربية، ثم يتجهون إلى السند والهند والصين فيحملون من هذه الأخيرة المسك والعود والكافور، ثم يتوجهون

^١ - سجلات المحكمة الشرعية بدمشق رقم ٨٤٦، وثيقة ٣١٣، (ت ١٣١١هـ/ ١٨٩٣م) والسجل رقم ٨١١، وثيقة ١٠٣، (ت ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٦م).

^٢ - نعيصة: يهود دمشق، ص ٢٦.

^٣ - راسل، ألكسندر وباتريك: تاريخ حلب الطبيعي، ترجمة خالد الجبيلي، د. ن، ط ١، ١٩٩٧م، ص ٤٩٧ - وجد في دمشق سوق لبيع العبيد كان يقع في خان الجمرك إلى الجنوب الغربي من الجامع الأموي وكان ملاصقاً لسوق الحرير، وبقي هذا السوق قائماً حتى بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ولكن بدءاً من منتصف هذا القرن أخذت أعداد الرقيق الوافد إلى دمشق تتناقص نتيجة للظروف الدولية، ففي سنة ١٨١٥م قامت الدول المشتركة في مؤتمر فيينا بتحريم الرقيق، وكان على رأس الدول المطالبة بإلغاء تجارته وتحريمه إنكلترا وفرنسا، وذلك خشية خلو مستعمراتها في إفريقيا من اليد العاملة الوطنية المستخدمة في الزراعة، وجمع المواد الخام اللازمة لصناعاتها، وقامت الإمبراطورية البريطانية بمكافحة تجارة الرقيق بإرسال سفنها الحربية لمراقبة السفن التي كانت تشحن العبيد على ظهرها في سواحل البحر الأحمر والبحر المتوسط، ورغم دخول تجارة الرقيق في دمشق دور الانحطاط في العهد المصري إلا أن أسواق دمشق شهدت في هذه الفترة بعض عمليات بيع الرقيق، ولم ينته الرق إلا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

بتجارتهن إلى بلاد الروم، وربما عدلوا بتجارتهن إلى القسطنطينية فيبيعونها، أو ربما ساروا إلى بلاد الفرنجة يبيعونها هناك، ومن أنطاكية مروراً عبر الفرات إلى بغداد^(١).

وقد جرت العادة في التعامل في أسواق دمشق وحلب الداخلية على التعامل بمبدأ "البيع لوعدة الاستحقاق"^(٢)، حيث يقوم الشاري بأخذ بضاعته دون أن يدفع ثمنها، ثم يوفي دينه، بعد أن يكون قد باع البضاعة^(٣)، ووجد في خان الجمرك تاجر يهودي يبيع القماش بالوعدة، فالكثير من هذه الأعمال التجارية كانت تتم على أساس الدين، والكثير من الحرفيين التجار يؤجلون بصورة دائمة دفع قيمة المواد الخام والبضائع التي يشترونها، ثم يعودون لدفع ديونهم من عائدات بيعها، وبذلك كانوا قادرين على تمويل نشاطاتهم التجارية برأسمال مستقرض، وكان التجار اليهود في حلب يقومون باستيراد القماش الخام من اليابان رغم توفر القماش الخام في حلب قطناً ونسيجاً^(٤) واختص منهم التاجر موسى جمال من كبار تجار خان الجمرك.

ومن أشهر الأحياء التجارية المعروفة التي مارس يهود حلب نشاطهم التجاري فيها "حي سوقة علي" الذي كان يعرف "بسوقة اليهود" حيث برز نشاطهم التجاري فيه إلى جانب الأرمن والمسيحيين ولاسيما في استيراد الأدوات المنزلية الأوروبية وبيعها في هذه السوقة، ومن كبار تجار السوقة هنري كندي وإسحاق سويد وفيتورب إشكنازي في خان حاج موسى الأعوج^(٥).

واشتهر يهود حلب بكونهم وكلاء في التجارة الدولية، فقد قامت مشروعات تجارية مشتركة بين المسلمين والمسيحيين واليهود فلم تقف الفروق الدينية حائلاً في طريق وثوق العلاقات والمشروعات العامة بين التجار بين الطوائف الدينية الثلاث^(٦).

^١ - أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله، المسالك والممالك، دار صادر، بيروت، ١٨٨٩م، ص ١٥٣-١٥٤.

^٢ - أي البيع بالدين لمدة ثلاثة أشهر ريثما يتم بيع البضاعة.

^٣ - الغزي: نهر الذهب في تاريخ حلب، ج ٢، ص ١٦٢.

^٤ - ربما يعود سبب استيرادهم لهذه المواد المتوفرة في أسواق دمشق وحلب لرخصة أسعارها من اليابان أو لجودتها، وربما نتيجة للتسهيلات التجارية التي منحت لليهود في ذلك الوقت.

^٥ - حريتانى: أسواق المدينة في حلب، ص ٣٤.

^٦ - حريتانى: تاريخ اليهود في حلب، ص ٧٩.

ومن الأحياء التجارية التي شهدت نشاطاً تجارياً واضحاً حي الجميلية في حلب، وقد ذكر الغزي: "أن في حي الجميلية خاناً كبيراً اشتمل على أروقة عظيمة ومخازن واسعة وفسحة سماوية، وكان بناؤه سنة (١٣٠٠هـ - ١٩٠٠م) وكان هذا الخان مشتركاً بين (حسام الدين أفندي القدسي) وبين الخواجة عزرا نحمت، ثم اختص به عزرا وحده"^(١)، ولم يخبرنا الغزي عن السلع والمواد التي كانت مخزنة فيه؟ ونتيجة للنشاط التجاري الواسع لليهود، فقد شكلوا نقابات حرفية تضم الكثير من القوى العاملة ويجتمعون تحت سقف واحد كذميين، كما كانت لهم نقابات خاصة بهم.

وقد استمر اليهود في حلب في أعمالهم التجارية وكوسطاء في الأسواق المالية، وكعملاء في مجال التجاريتين الداخلية والخارجية، وتقرب بعض أبنائهم من رجال السلطة في القرن التاسع عشر وعملوا كمستشارين أو أطباء في أوساط الدوائر الحاكمة وسيطروا على المعاملات المالية، ولاسيما مع تزايد تأثير القوى العظمى الأوروبية في شؤون الدولة، فسيطروا على مجال التجاريتين الخارجية والداخلية^(٢).

يلاحظ أن يهود دمشق وحلب مارسوا مختلف أنواع التجارات داخل أسواقها وخاناتها كالشاش الافرنجي والبن والتبغ والأقمشة والحريير بمختلف أنواعه^(٣).

^١ - الغزي: نهر الذهب ، ج٢، ص ٢٤٧.

^٢ - حريثاني: تاريخ اليهود في حلب، ص ٨١ - ٨٣.

^٣ - انظر سجلات المحكمة الشرعية بحلب رقم ٥٨٢، صفحة ٢٤٦، وثيقة ٢٤٧، و ٢٢٢، و ٢٤٧ (ت ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٨).

٢- دور يهود دمشق وحلب في أعمال الصيرفة وتأسيس البنوك في القرن التاسع عشر:

استفاد اليهود في بلاد الشام بشكل عام من التنظيمات العثمانية^(١) فقد أتاحت لهم هذه السياسة الفرصة لاستغلال النشاط الاقتصادي، وتعلم اللغات الأجنبية مثل الفرنسية والانكليزية والتوسع في أنشطتهم التجارية، فشكلت الصيرفة عمود عمل اليهود، وتمكنوا من تطوير نظام العمل المصرفي بإنشاء البنوك، واتسع حجم نشاطهم الاقتصادي نتيجة تزايد تدخل القوى الأجنبية في أواخر القرن التاسع عشر مما انعكس بشكل إيجابي في تحسين أوضاعهم الاقتصادية^(٢).

كانت العملات المستخدمة خلال نهايات القرن الثامن عشر وجزء كبير من القرن التاسع عشر مقتصرة على الذهب والفضة، وكانت السياسة النقدية تتسم بالازدواجية في هذه الفترة فقد كان يتم استخدام العملات الأوروبية في حركة التجارة الدولية، وفي المقابل كان يتم استخدام العملات العثمانية في التجارة المحلية، ولكن قيمتها كانت أقل من قيمة العملات الأخرى، ومن ثم فقد كانت معرضة للتقلبات الاقتصادية، وفي المقابل كان للصيارفة اليهود خبرة واسعة تؤهلهم لتحديد قيمة العملات التي كانت قيد الاستخدام آنذاك، وحققوا مكاسب ضخمة من الفروق السائدة بين قيمة العملة الحقيقية وبين سعر بيعها وشرائها، ثم إن الأموال التي تركزت بأيدي الصيارفة اليهود مكنتهم من القيام بأنشطة مالية إضافية مثل الإقراض بالربا، والقيام بمهام الالتزام، والعمل في الجمارك، وإدارة سك العملة ونتيجة لذلك فقد عمل اليهود في مجال جباية الضرائب، ووصلوا إلى وظائف عالية في الدولة^(٣)، وشغل يهود سوريا مكانة بارزة في السياسة والاقتصاد في أوساط الدوائر الحاكمة في

^١ - التنظيمات: قام السلاطين العثمانيون بالإصلاحات نتيجة للهزائم العسكرية التي تعرضوا لها وجاءت جميع الإصلاحات في القرن التاسع عشر، وكان أول السلاطين المصلحين سليم الثالث، حيث قام بعدد من الإصلاحات وأهمها بياني خط الكلخانة، الذي أقر المساواة بين جميع رعايا السلطان على اختلاف مللهم وخط همايون ونتيجة لهذه التنظيمات حصلت الدول على امتيازات في البنوك والسكك الحديدية. راجع: عامر: محمود علي، تاريخ الدولة العثمانية، جامعة دمشق، ٢٠٠٦-٢٠٠٧م، ص ٢١٦-٢١٩.

^٢ - ج شو: يهود الدولة العثمانية والجمهورية التركية، ص ١٨٣.

^٣ - لاندوا: تاريخ يهود مصر، ص ١٣٣-١٦١.

دمشق وحلب، نتيجة تحكمهم بمالية دمشق وتصرفهم بها كما يشاؤون لدرجة أن أحدهم وهو سليمان فارحي وهو من عائلة يهودية دمشقية تمتد إلى أكثر من ألف وخمسمائة عام وصل إلى منصب أشبه بوزير مالية، ووصل غناه لدرجة أنه كان يقوم بإقراض الحكومة^(١)، كما وصل نفوذهم إلى حد تعيين أحدهم وهو مناحيم موسى فارحي قنصلاً لأمريكا في دمشق سنة ١٨٤٤م^(٢).

وكانت عائلة فارحي من أبرز العائلات اليهودية في دمشق التي عملت بالشأن المالي والاقتصادي، وبرز في مجال الصرافة كل من (شحادة، روفائيل، حاييم، سلمون) إذ عملت هذه العائلة بجباية الضرائب وتقديم القروض (الربا) للأفراد وللولاية، واشتد نفوذ الصيارفة اليهود وجورهم على أهل دمشق في القرن التاسع عشر، ولم يكن يردعهم أي رادع أخلاقي، ولم يسمحوا لأحد بالاقتراب من مهنتهم هذه، مستخدمين كافة الوسائل لضمان سيطرتهم فقد سعوا بالوشاية والمكيدة، وبذل المال لضمان سيطرتهم ونفوذهم المالي، إذ كان صيارفة اليهود مسيطرين على هذا المجال منذ مائة عام، حتى إنَّ القنصل الفرنسي مانتون وجه رسالة يشكو فيها من ممارسة الصيارفة اليهود الكبار في دمشق لنظام الربا في دمشق منذ سنوات طويلة، وتحدث عن شركة للرأسماليين اليهود وأكد أن روفائيل فارحي اليهودي كان له نفوذٌ كبيرٌ ومكانةٌ عالية فيها بفضل ثروته الطائلة^(٣).

كما سعى الصيارفة اليهود لاستغلال الأزمات الاقتصادية والمالية في البلاد للإقراض بفوائد، وتمكنوا من إثبات وجودهم في الأسواق كشركاء للحصول على الامتيازات، واحتذى هؤلاء الصرافون اليهود -الذين شكلوا طبقة اجتماعية قوية وغنية في ولايتي دمشق وحلب، وكانوا عصب الحياة

^١ - اوغلو: اليهود في الدولة العثمانية، ص ١٩٠-١٩١.

^٢ - سجل أوامر سلطانية رقم ٣، وثيقة ١٢٧، (ت ١٢٦٠هـ / ١٨٤٤م).

^٣ - غزال، زهير: الاقتصاد السياسي لدمشق خلال القرن التاسع عشر، ترجمة ملكة أبيض، الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، ٢٠٠٨، ص ١٢٣.

الاقتصادية فيها- بالدول الأجنبية وقناصلها من خلال حمل البراءة والتبعية لتلك الدول^(١)، ففي إحدى الوثائق نقرأ أنَّ " فارحي وهواري وشركاءهم صيارفة من تبعة دولة انكلترا و ايتاليا بالشام"^(٢). يلاحظ من هذه الوثيقة أنهم شكلوا شركات صرافة وذلك يدل على ازدهار التجارة، فقد ذكرت الوثائق عدداً غير قليل من الصرافين اليهود في ولايتي دمشق وحلب مثل "ماير شويلا وماير لزبونا"^(٣)، وسلمون بن الخواجة يعقوب، و الياهو وشحادة وداوود ولد هارون الصرافين"^(٤). وقد استغل صيارفة اليهود الفقر والضائقة المالية واضطرار الناس للاستدانة منهم، فقد لجأ الصرافين اليهوديين نسيم وهارون عبادة المقيمين في حارة اليهود بالشام(١٨٨٦ - ١٨٩٠) باستغلال حاجة الفلاحين في ريف دمشق فقاموا بإقراضهم مبالغ مالية بفوائد بالغة، وعندما كان هؤلاء الفلاحون يعجزون عن سداد الدين لهم كانوا يقومون بالحجز على أراضيهم وبذلك انتقلت الكثير من الأراضي في ريف دمشق لأغنياء اليهود، وفي حال قيام أحد المزارعين بالاعتراض كان نصيبه الإخفاق لأن هؤلاء الصيارفة اليهود كانوا محميين من قبل قناصل الدول الأجنبية، وكانت النتيجة خسارة هؤلاء الفقراء لأراضيهم في ظل ضعف وعجز السلطنة عن حمايتهم^(٥).

وزود الصيارفة اليهود صندوق مال خزينة دمشق بالأموال، فتراكمت ديونهم على الخزينة مع الفوائد، وتلاعبوا بالإدارة العثمانية. كما قام أصحاب الرتب العليا في الدولة العثمانية بالاستدانة من الصيارفة اليهود نتيجة للضائقة المالية، ومثال ذلك الادعاء الذي تقدم به ميخائيل شعيا المغربي الموسوي من سكان محلة بالشام، على محمد نجل نجيب باشا ميرلو فرقة رديف الشام سابقاً ابن السلانكي، وعلى عبد الرحمن أمين بيت المال بدمشق المقيمين في سوق ساروجة أنه يستحق بذمة

^١- سركو، ماري: دمشق فترة السلطان عبد الحميد الثاني(١٢٩٣-١٣٢٥هـ/ ١٨٧٦-١٩٠٨)، الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، ط١، ٢٠٠٨، ص١٥٦.

^٢- سجل تجارة بدمشق رقم ١٢٩٢، وثيقة ١٩٥، (ت ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٧). وردت ايتاليا في الوثيقة وهي ايطاليا.

^٣- سجل تجارة بدمشق رقم ١١، وثيقة ٥٩، (ت ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٧م).

^٤- سجلات المحكمة الشرعية بحلب رقم ٢٢٧، ص١٣، وثيقة ٣١٧، (ت ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٦م).

^٥- شيلشر، ليندا: دمشق في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ترجمة عمر ودنيا الملاح، دمشق، ط١، ١٩٩٨م، ص١٠٤.

والدي الأخوين المرحوم نجيب باشا مبلغ قدره (٢٠٧٥ قرشاً) ثمن بضاعة إفرنجية ابتاعها واستلمها منه استجراراً^(١).

ثم إنَّ الدين من الصراف اليهودي شكل جزءاً من المصارف وليس من مجموع الديون كما كان يمكن أن يتوقع، فمن المفترض أن تكون الدولة قد اعتبرت أن هؤلاء الصرافين اليهود مجرد عملاء يشغلون وظائف في الإدارة المحلية رغم كونهم مستقلين مالياً، كما اهتم يهود حلب بالصرافة والأعمال المصرفية، ولاسيما الأغنياء منهم، كغيرهم من يهود العالم وقد نقلوها من أوروبا إلى البلاد العربية التي استقروا بها^(٢).

وقد استطاع اليهود نتيجة لعملهم بالصرافة واطلاعهم الواسع على العلوم الحديثة من تطوير نظام المصارف، وإقامة بعض المصارف اليهودية وهي المصارف التي أصبحت من أبرز المؤسسات المالية في الشرق^(٣)، ووجد العديد من الصرافين اليهود في أسواق وخانات حلب، ومن الملفت وجود صراف يهودي أعمى في مدخل خان الجمرک -على الرغم مما تحتاجه هذه المهنة من دقة- هذا وقد سيطرت الطبقة العليا منهم على المراكز التجارية الدولية الكائنة في أسواق المدينة وخاصة في خان الجمرک، وقامت الدولة العثمانية بإنشاء البنوك والمصارف بالقرب من هذا الخان، حيث وجد بسوق الجمرک ثلاثة عشر صرافاً أغلبهم من اليهود، ومن أول مصارف اليهود الخاصة في حلب في أوائل القرن التاسع عشر مصارف أنشأها رحمون حماد وبيضا وموسى جمال بيجوتو ويعقوب صفرا، ونشطت هذه المصارف وتوسعت نتيجة لعمل الشباب اليهود فيها كمتدربين في أعمال التجارة والصرافة، فضلاً عن ممارستهم لأعمال السمسرة والمضاربة على الأسعار، وقيامهم بعمليات التجارة الخارجية كاستيراد الأقمشة من اليابان^(٤)، ووصل عمل اليهود المالي أن أوثمنوا على أموال الناس لديهم، فقد أورد الغزي في حديثه عن حلب "أن الجنود الانكشاريين حين تعرضوا لبطش

^١ - سرکو: دمشق فترة السلطان عبد الحميد، ص ٢٤٨.

^٢ - غزال: الاقتصاد السياسي، ص ١٢١.

^٣ - آتينجر: اليهود في البلدان الإسلامية، ص ٣٥.

^٤ - حريتانى: تاريخ اليهود في حلب، ص ٧٤، ٧٥.

والي حلب عام ١٨١٣م أخفوا ما كان عندهم من الحلي والأمتعة الثمينة عند التجار الأجانب وقنصل اليهود^(١).

كما أدى يهود حلب دوراً مهماً وخطيراً في التجارة مع الأوروبيين، حيث عملوا كوسطاء بينهم وبين العثمانيين، وأظهروا مهارة كبيرة في المعاملات التجارية، لكنهم كثيراً ما كانوا يتمادون في عملهم التجاري حيث كانوا يحتكرون بعض المواد بهدف زيادة ثمنها في الأسواق والاستفادة منها أكثر^(٢).

٢- دور يهود دمشق وحلب في التجارة الخارجية في القرن التاسع عشر:

تميز يهود دمشق وحلب بالنشاط التجاري براً وبحراً، نتيجة لتوفر رؤوس الأموال، ومعرفتهم باللغات الأجنبية، فضلاً عن علاقاتهم مع يهود أوروبا، إضافة لتمتعهم بالحرية في ممارسة أعمالهم التجارية وعدم تدخل الدولة في شؤونهم التجارية إلا في الضرورة الطارئة فازدهرت التجارة وزاد التبادل التجاري^(٣).

إنَّ الامتيازات الأجنبية التجارية الواسعة التي منحتها الدولة العثمانية للدول الأوروبية منذ بدايات القرن التاسع عشر أسهمت في تشجيع النشاط التجاري الأوروبي في بلاد الشام، وأسهم حكم إبراهيم باشا في بلاد الشام في الفترة ما بين عامي (١٨٣١-١٨٤٠) في فتح الباب على مصراعيه للمؤثرات الأوروبية على اختلاف أنواعها، كل ذلك أدى إلى تدفق البضائع الأجنبية التي أخذت تنافس بصورة جدية البضائع المحلية، وشارك التجار المسلمين والمسيحيين واليهود على حد السواء في التجارة مع أوروبا وفي تسويق بضائعها^(٤)، وكان التجار اليهود في دمشق وحلب من أغنى التجار المتعاملين مع الخارج، إذ بلغ عددهم ٢٤ تاجراً، ومجموع رؤوس أموالهم ما بين ستة عشر وثمانية عشر مليون من القروش أي ما يعادل ستة آلاف إلى سبعة آلاف ليرة إسترلينية لكل منهم.

^١ - الغزي: نهر الذهب، ج٣، ص٢٤٧.

^٢ - مخلوف، صائل: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في ولاية حلب، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة دمشق، ١٥٧-١٥٨ وسجل أوامر سلطانية رقم ٢ وثيقة ١٥١، ص٨٥. (ت ١١٣٠٦هـ / ١٧٢٣م).

^٣ - جلو: اليهود في المشرق الإسلامي، ص٢٠٧.

^٤ - رافق: بحوث في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، ص١١٩.

وتعد أسرة فارحي من أبرز الأسر اليهودية في دمشق التي عملت في التجارة الخارجية، وكان كل من نسيم وروفائيل فارحي ومراد فارحي من أغنى التجار اليهود في دمشق حيث كانوا يملكون رأس مال يقدر ب(١٥٠٠) جنيه استرليني لكل منهم^(١)، ونشط هؤلاء التجار اليهود في المتاجرة بالبضائع الأجنبية، وبدأ البحث لإيجاد تسهيلات أكثر في التعامل وفي المواصلات لتصريف هذه البضائع بشكل أوسع، ونتيجة لهذا التوسع التجاري أنشئت محاكم تجارية في دمشق وحلب بعد الحكم المصري لبلاد الشام، فوجدت محكمة تجارية لتنظيم العلاقات التجارية تألفت من اثني عشر عضواً منهم تسعة من المسلمين ومسيحيان ويهودي واحد، وهذه النسبة كانت تتفق مع أعداد الطوائف المختلفة آنذاك كما نشأت في العام ١٨٥٠م محكمة تجارية بدمشق تضم أربعة عشر عضواً، ونصف أعضائها كانوا يعينون من قبل الحكومة العثمانية، ونصفهم الآخر يعينه القناصل من بين التجار الأجانب، وبذلك يلاحظ الدور الكبير الذي أداه القناصل الأوروبيين في حماية تجارهم وتجاريتهم، ومدى النفوذ الواسع الذي تمتعوا به نتيجة للامتيازات التي منحت لهم، فضلاً عن ازدياد نفوذ التجارة الأجنبية في ولايتي دمشق وحلب في القرن التاسع عشر، وفي العام ١٨٥٥م أنشئت محكمة تجارية في حلب مماثلة لتلك التي أنشئت في دمشق^(٢).

واستمر يهود دمشق وحلب بلعب الدور التجاري المتميز في الشؤون المالية كمقرضين ومصرفيين وقاموا بعقد الصفقات التجارية مع التجار الأوروبيين^(٣).

غير أن الدور الاقتصادي لليهود دمشق وحلب تراجع نتيجة لافتتاح قناة السويس ١٨٦٩م مما أثر في حركة التجارة الخارجية والدولية، حيث أظهر الإحصاء السكاني الذي أجرته الدولة العثمانية في ثمانينيات وتسعينات القرن التاسع عشر أن تعداد اليهود في حلب والمناطق المحيطة بها يقدر بتسعة آلاف وثلاثمائة وستة وخمسين يهودياً، وفي دمشق وضواحيها قدر بستة آلاف

¹- Thomas Philipp, The Farhi Family and The changing position Of The Jews in Syria 1750- 1860, Middle Eastern Studies, 6 Dec, 2006, p. 47-48.

^٢ - رافق: بحوث في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، ص ١٢٠.

³ - Tomas philipp, The farhi, P. 48.

وترافق هذا الازدهار المالي مع وجود عائلات غنية لم تهتم فقط بالتجارة وإنما اهتمت بالتعليم أيضاً حيث وجدت مكتبة في بيت آل فارحي ضمت حوالي ١٥٠٠ مجلد

ومئتين وخمسة وستين يهودياً^(١) نتيجة للتراجع الاقتصادي مما أدى إلى هجرة العائلات الغنية ذات النفوذ الاقتصادي.

وفي الربع الأخير من القرن التاسع عشر وجد في حلب ثلاثمئة تاجر يهودي من أصل إيطالي، وقد كان للتنظيمات العثمانية أثر في زيادة أعداد اليهود إذ سمحت لهم بممارسة كافة أنواع المعاملات التجارية ومنحتهم حقوقاً قانونية، وأسهم الازدهار الاقتصادي الذي تمتعت به ولايات الدولة العثمانية في تدفق الوافدين اليهود الأوروبيين، وبوجه عام كانت الشركات اليهودية عبارة عن شركات عائلية، بالرغم من وجود شركات مع غير اليهود، ولم تكن الشركات ثابتة وكثيراً ما كان بعضها يلجأ إلى القضاء في المحاكم لحل النزاعات^(٢)، فقد كان موسى بن إسحاق بن إبراهيم، من تبعية الدولة العثمانية ومن الطائفة الموسوية ومن سكان محلة بحسيتا أحد شركاء الشركة التجارية المعروفة بعنوان " طويل وبوبو " الكائنة في بندرة حلب وكانت تتاجر بالشاش الإفرنجي^(٣).

وبشكل عام فقد شهد القرن التاسع عشر تحسناً ملحوظاً في أوضاع اليهود من ذوي الأصل الإيطالي وبرزت منهم في حلب عائلة بيجوتو الذين خدموا في القنصلية النمساوية في المدينة، وعملوا في التجارة الخارجية، وقد استفادت القوى العظمى ورعاياها من اليهود من حركة التطور الاقتصادي، فقد عمل رعايا هذه القوى في حركة التجارة الخارجية، إذ لم تكن التجارة في الفترة العثمانية محصورة بأبناء مذهب ديني دون آخر، ولكن اليهود عملوا بشكل أكبر في التجارة فقد برعوا في التجارة الداخلية والخارجية نتيجة لعلاقاتهم الدولية، وارتباط بعضهم بالسلك القنصلي فضلاً عن براعتهم في تعلم اللغات الأجنبية^(٤).

^١ - آتينجر: اليهود في البلدان الإسلامية، ص ١٧٢-١٧٣.

^٢ - قاسمية: يهود البلاد العربية، ص ١٦٣.

^٣ - سجلات المحكمة الشرعية بحلب رقم ٥٨٢، ص ٢٤٦، وثيقة ٢٤٧، (ت ١٣١٥هـ / ١٨٩٨م)

^٤ - عبده: اليهود السوريون، ص ٦٥.

أ- العلاقات التجارية بين يهود دمشق وحلب مع يهود مصر وببيروت.

يعود ظهور المصريون في حلب إلى القرن السابع عشر^(١)، إذ شكلوا طائفة حرفية خاصة بهم استقرت في حلب بشكل رئيسي ودمشق بنسبة قليلة، وكان لهم أنشطة متعددة في مجال التجارة والخدمة، وكان لها قضايا أخرى (ديون-إرث-مخلفات). لقد عمل المصريون الذين سكنوا حلب بصناعة الحصر، وذكر أيضاً وجود شركات بينهم في بيع القماش المصري، وفي ظاهر حلب ذكرت لهم قضايا، فقد تعاملوا مع المسيحيين واليهود في البيع والشراء والديون، وهناك قضيتان ذكرتا أن شخصين من اليهود المصريين جاؤوا إلى حلب الأول استأجر وسكن لدى الطائفة اليهودية الحلبية في محلة الدباغة العتيقة بحلب، والثاني أخذ ديناً من إحدى النساء الحلبيات.

وقد أطلق على المصريين الذين جاؤوا إلى حلب (بالسواح) ولعلمهم كانوا يتجولون ويتنقلون في البلدان، وربما استقر بعضهم في حلب للعمل في التجارة والخدمة، كما ذكر وجود المصريين في ريف ولاية حلب، وذلك من خلال نشاطهم التجاري في بيع الكتان والحيوانات^(٢).

ويؤكد يعقوب لاندوا على وجود علاقات بين يهود مصر ويهود دمشق وحلب حيث يذكر: "استقرار تجار يهود من دمشق وحلب في مصر أقاموا علاقات تجارية فيها حيث تشارك يهوديان مصريان وقررا أن يتوجه أحدهما إلى سوريا ويبقى الآخر في مصر لشراء البضائع اللازمة وإرسالها إلى دمشق التي كان سيتم نقل البضائع منها لترويجها في حلب، شريطة أن يقوم الشريك المتوجه إلى دمشق بشراء ما يكلفه شريكه في مصر بشرائه. وقد وجد يهوديان سوريان في مصر قاما بافتتاح محلاً تجارياً مشتركاً بينهما، إذ كانت مصر تستورد الحرير الخام من سوريا، وكان اليهود المصريون

١- كانت مصر في تلك الفترة ولاية تابعة للدولة العثمانية، أما في القرن التاسع عشر فقد انفصلت عنها وأصبحت تحت حكم أسرة محمد علي، وبقي النشاط التجاري مستمراً بين تجار حلب والقاهرة.

٢- عمران، خضر: الحياة الاجتماعية في ولاية حلب في النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي/ النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة دمشق، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ص ٥٤-

يقومون بطلائه وإعادة تصديره إلى سوريا، كما وجد يهودي من دمشق يقوم بتصدير المنسوجات والحرير إلى صديقه في مصر^(١).

وتوسعت أنواع المبادلات التجارية بين دمشق ومصر في منتصف القرن التاسع عشر حيث شغلت تجارة الأقمشة الشامية مع مصر المركز الأول في العلاقات التجارية الخارجية بالنسبة لبلاد الشام^(٢)، فتذكر إحدى الوثائق قيام شراكة ببيع الأقمشة الشامية في مصر بين ياسف بن حزقيل اليهودي ووالده الذين كانا يقومان بشراء أقمشة الآلاجة من دمشق وبيعها في مصر^(٣).

وقام تجار دمشق وحلب اليهود بعرض بضائعهم في أسواق مصر، فقد وجدوا فيها سوقاً رائجة لتسويق بضائعهم، في وثيقة أخرى قام موسى بن يوسف بن سليمان الدلال اليهودي وإخوته، بتوكيل الحاج حجازي بن علي بن اياس المقيم في القاهرة وكالة عامة في عمليات القبض والصرف والبيع والشراء وفي سائر أمورهم^(٤)، ثم إنَّ عملية الوكالة هذه تدل بشكل واضح على أنَّ يهود دمشق أقاموا مراكز تجارية لهم في مصر، وعملوا على تنشيط حركة التجارة الدولية وإقامة الشراكات التجارية بين يهود دمشق ومصر.

فضلاً عن وجود علاقات تجارية قوية بين تجار يهود من دمشق وتجار بيروت^(٥)، فقد قام يهود دمشق بالمتاجرة بالشاش الشامي في بيروت، فقد عقد كل من شحادة بن داود الإسلامبولي الذمي اليهودي وبطرس موسى النصراني شراكة بينهما للمتاجرة بهذه المادة، وكان بطرس يقيم في

^١ - لاندوا: تاريخ يهود مصر، ص ١٢٠، ١١٩.

^٢ - صياغة: الحياة الاقتصادية، ص ١٦١.

^٣ - سجلات المحكمة الشرعية بدمشق رقم ٤٩، ص ٢٩، وثيقة ١٠٣، (ت ١١٣٥ هـ / ١٧٢٢ م).

^٤ - سجلات المحكمة الشرعية بدمشق رقم ١٤٥، ص ٣١٧، وثيقة ٨٥٤، (ت ١١٧١ هـ / ١٧٥٧ م).

^٥ - في بداية القرن الثامن عشر كانت بيروت تابعة لإيالة الشام التي مركزها دمشق، ومع بداية القرن التاسع عشر كانت دمشق عبارة عن لواء ألحقت بها بيروت، واستمرت هذه التقسيمات حتى فترة الحكم المصري لبلاد الشام حيث جرت تقسيمات إدارية جديدة فقد وضع جبل لبنان تحت حكم الشهابيين، وفصلت بيروت عن الشام، وبعد عودة العثمانيين إلى بلاد الشام جرت تقسيمات جديدة على عدة مراحل في المرحلة الأولى من عودة الحكم العثماني لم يحدثوا تعديلات كبيرة على التشكيلات الإدارية حتى العام ١٨٦٤ حيث استقلت عدد من الألوية عن لواء الشام وفصلت ولاية بيروت سنة ١٨٨٧ عن ولاية سوريا. انظر: عوض، عبد العزيز: الإدارة العثمانية في ولاية سورية (١٨٦٤ - ١٩١٤ م)، دار المعارف بمصر، القاهرة، د.ت، ص ٦١-٧١.

بيروت بينما كان شهادة يرسل له البضاعة من دمشق^(١)، كما نجد الصراف اليهودي مراد بن يوسف فارحي يتاجر بالتبناك والكتان بكميات وكان يضع بضاعته في مخزن بخان المرادية^(٢)، ونجد الخواجة حاييم بن إبراهيم بن حاييم أبو العافية الموساوي وهو من أهالي مدينة بيروت يقوم بتوكيل الخواجة روفائيل بن أصلان الحكيم الموساوي من سكان محلة الخراب بدمشق لقبض مال له^(٣).

ب- العلاقات التجارية بين يهود دمشق وحلب ويهود العراق.

لقد سكن أفراد من مسيحيي الموصل في حلب وشكلوا طائفة حرفية خاصة بهم، ولم تعرف بالضبط الفترة التي جاؤوا بها. أما بالنسبة للبغداديين فقد نوهت الوثائق إلى سكن العديد منهم في محلات حلب، لكنهم لم يشكلوا طائفة حرفية كالموصلين، ويعتقد أن هؤلاء قدموا للعمل في التجارة، واستقر بعضهم في مدينة حلب واستمروا في نشاطهم التجاري حتى وصل أفراد منهم إلى مرتبة كبار التجار (مثال ذلك فخر التجار الحاج درويش جلبي ابن الحاج محمود درويش البغدادي) وقد اشترى داراً فخمة في محلة سوقة علي داخل المدينة ب (٣٠٠) قرش أسدية، وهذا المبلغ يدل على غنى هذا البغدادي وقد وصل بعض البغداديين إلى منصب الشهبندر (كبير التجار) في حلب، إلى جانب منصب (الباشوية) مثال ذلك مصطفى باشا ابن عمر جلبي البغدادي الشهبندر بحلب سابقاً، ولا يستبعد سكن عراقيين آخرين في مدينة حلب من مدن عراقية أخرى (كالبصرة والنجف وكرلاء)، وإن لم يرد في الوثائق ذكرٌ لذلك، وكانت العلاقات التجارية بين حلب وبغداد ذات أهمية كبيرة، لأن تلك المعاملات التجارية كانت تعتمد على سلع بلاد الهند وفارس لا سلع بغداد وحدها، وكانت المبادلات تتم بواسطة القوافل التجارية التي تسير بين حلب وبغداد^(٤)، وذكرت الوثائق ممارسة تجار يهود حلب مع هؤلاء التجار العراقيين من خلال دعوى دين تقدم بها التاجر سليمان بن ذي النون الموصللي على التاجر ميخائيل ولد ابراهام اليهودي الاشكنازي ثمن أقمشة إفرنجية وقصب فضة^(٥)، والكثير من

^١ - سجل رقم ٣٧٣، وثيقة ٣٣ مكرر

^٢ - سجلات المحكمة الكبرى بدمشق رقم ٣٧٩، ص ٧٠، وثيقة ١٦٠، (ت ١٢٦٠هـ / ١٨٤٤م)

^٣ - سجلات المحكمة العونية رقم ٨٩٣، وثيقة ٣٢٠٢١، (ت ١٣٠٦هـ / ١٨٨٩م).

^٤ - عمران: الحياة الاجتماعية في ولاية حلب، ص ٥٢ - ٥٣.

^٥ - سجلات المحكمة الشرعية بحلب رقم ٢٦٨، ص ٥٢، وثيقة ٢٠٠، (ت ١٢٧٠هـ / ١٨٥٣م).

الوثائق التي ذكرت أسماء تجار من بغداد والموصل في دمشق، والذين كانت لهم علاقات تجارية واسعة مع تجار دمشق وحلب من مسلمين ومسيحيين ويهود^(١).

ثم إنَّ قيام خضوري زلخة الثري اليهودي من أصل عراقي بتأسيس بنك زلخة في بغداد وجعل له فروعاً في القاهرة ودمشق وبيروت، وكانت له أنشطة مالية واسعة النطاق، يدل بشكل واضح على وجود شبكة من العلاقات التجارية والمالية الواسعة بين يهود دمشق وحلب ويهود العراق ومصر والمناطق المجاورة^(٢).

ج- العلاقات التجارية بين يهود دمشق وحلب مع الجاليات الأوروبية:

- علاقات يهود حلب مع الجاليات الأوروبية:

شكلت حلب منذ القديم مدينة مفتوحة ومركزاً تجارياً مرموقاً وكان للتجار اليهود المقيمين في حلب بشكل خاص علاقات خارجية وثيقة تعود إلى مطلع القرن الحادي عشر في تاريخ هذه المدينة العريقة التي كانت تعتبر مدينة مفتوحة منذ تكوينها قبل الميلاد بقرون عديدة مقارنة مع مدن أخرى وتعود أسباب هذه العلاقات لعوامل عدة أهمها:

١- موقع حلب الاستراتيجي ونشاطها التجاري الكبير في أرجاء العالم القديم.

٢- موقعها على طريق الحرير.

٣- سكن الجاليات المتعددة فيها لأغراض التجارة وهذا ما أدى إلى هجرات خاصة إليها.

٤- هجرة جاليات يهودية إلى حلب من أنحاء العالم الغربي، ومن المدن الإيطالية خاصة كجنوة والبندقية وبيزة وليفورينا وغيرها، وأخيراً من اسبانيا أواخر القرن الخامس عشر.

٥- معرفتهم باللغات الأجنبية وحاجة القناصل واستعانة السلطات المحلية بهم للترجمة. وهناك عاملان أساسيان دعما هذه العلاقة: الأول هو القرابة الدينية بين يهود حلب والمهاجرين إليها والثاني: رغبة بعض يهود حلب في العمل التجاري والتجارة الدولية وما يتبعها من الأمور المالية.

^١ - سجلات المحكمة الشرعية بدمشق رقم ٢٦٨، ص ٢٨، و ٩٨. ووثيقة ٨٧ و ٣٤.

^٢ - العجلاني: يهود دمشق الشام، ص ٣٣٥ - ٣٣٦.

وقد هاجر عدد من يهود إيطاليا و إلى حلب وأنشأوا العديد من الخانات في حلب إلى جانب الجاليات الأجنبية، مما ساعد على زيادة النشاط التجاري، حيث ساهمت مراكب من ليفورنيا في نقل التجارة بين البلدين، وأحياناً كانت تعمل لحساب اليهود في حلب بشكل خاص، الذين يقومون بأعمال تجارية للوكالات الأجنبية وكذلك للتجار الحلبيين، فضلاً عن علاقاتهم مع يهود إسبانيا والبرتغال و سالونيك ومراكش^(١).

أما تاريخ علاقات يهود إيطاليا بيهود الدولة العثمانية فإنه يعود إلى القرن السابع عشر، وقد شملت هذه العلاقات مجالي التجارة والاقتصاد وتزايد في القرنين التاليين واستمر حتى القرن التاسع عشر، ولقد مرت مراحل هذه العلاقة بفترات متعددة، بدأت بالعلاقات التي قامت بين الجاليات الأجنبية وبين اليهود في حلب، حيث عمل يهود حلب لدى الأجانب كتاباً ومترجمين، ثم ما لبثوا أن أصبحوا شركاء معهم ودخلوا في علاقات تجارية معهم مستفيدين من الامتيازات الأجنبية التي حصل عليها التجار الأجانب من الدولة العثمانية منذ العام ١٥٣٥م لا سيما ما يتعلق منها بالحماية والضرائب، وبعد أن ازداد عددهم وقويت صلاتهم التجارية أصبحوا قناصل لدول متعددة، حين لم تعين الدول الأجنبية قناصل من مواطنيها، وهنا زاد عدد اليهود المنتمين للقنصليات الأجنبية وزاد غناهم كثيراً، ثم هاجر عدد من أغنياء يهود حلب إلى الخارج^(٢).

وإضافة إلى أن عدداً من اليهود المهاجرين إلى حلب لم يستقروا حيث استقر اليهود من أهالي حلب في الأحياء، فقد سكنوا في الخانات، حيث تسكن الجاليات الأجنبية، وإلى جوارهم، فتوطدت العلاقات بينهم وتمتعوا بامتيازاتهم، واستمروا بسكنى الخانات حين أصبحوا قناصل لدول أجنبية متعددة حتى عام ١٨٢٢ حين غادر الأجانب الخانات بعد الزلزال الكبير الذي أصاب حلب والسماح لهم بمغادرتها من قبل السلطان العثماني محمود الثاني، ومعظم اليهود الذين سكنوا حلب كانوا من البندقية و توسكانا و ليفورينا هذه المدن الإيطالية ذات الأساطيل البحرية التجارية الكبيرة، وقد كانت لهم وكالات تجارية فضلاً عن علاقاتهم مع البيوت التجارية في الخانات، وبرزت منهم عائلات كبيرة

^١ - حريثاني: تاريخ اليهود في حلب، ص ٧٠. و آتينجر: اليهود في البلدان الاسلامية، ص ٥١.

^٢ - الغزي: نهر الذهب، ج ١، ص ١٦١، ١٦٢.

كان لها نفوذ اقتصادي وسياسي واضح منها" بيجوتو و سيلفيرا و كباية، بعضهم سكن في خان الجمرک وآخرون سكنوا في خان النحاسيين^(١)، ففي خان الجمرک بلغ عدد المستأجرين اليهود (٥٢) مستأجراً يهودياً من ثماني عشرة عائلة يهودية استأجرت (٣٨٠) مقسماً من الخان، وكان المستأجرون اليهود من عائلات تتمتع بالغنى والثروة كآل سيلفيرا وآل شماع و آل استانبولي ثم آل كباية^(٢) وقد تجاوزت العلاقات بين يهود حلب والجاليات الأجنبية التجارة في المدينة نفسها إذ كان يهود المدن الأخرى في الدولة العثمانية لهم نصيب في العلاقات أيضاً، فإن أكثر تجار عينتاب من اليهود مارسوا تجارة القطن وقاموا بتصديره لفرنسا، ومن بين ٣٥ تاجراً من عينتاب كان عشرون منهم يهودياً، وفي عام ١٨١٠م عقدت ست وخمسون صفقة تجارية ثمان وعشرون منها لليهود، وقد تعلم التجار الانكليز عملية الاقراض بالفائدة من اليهود^(٣).

وقد أدت الصلات الخارجية الوثيقة بين اليهود والتجار والتراجمة والكتبة الحلبيين والمهاجرين إلى حلب من اليهود الأجانب وبين الجاليات الأجنبية، وغياب بعض القناصل الأجانب إلى لجوء الدول الأجنبية إلى تعيين يهود من حلب، خاصة وأنهم يحملون جنسيات أجنبية ونتج عن ذلك قيام الأوروبية بتعيين هؤلاء اليهود الذين يحملون جنسيات أوروبية قناصل يمثلون دولتهم، فقد أصدر إمبراطور النمسا جوزيف الثاني أمراً بتعيين روفائيل بيجوتو قنصلاً للنمسا في حلب عام ١٧٨٤ وخلفه إيزورا بيجوتو (١٧٨٨-١٨٤٥) كما عين آل كباية وهي عائلة يهودية من أصل هندي وجنسية إنكليزية قناصل فخريين لإيران، وقد أقاموا في خان النحاسيين، أما في خان القصابية فإن عائلة بيجوتو اليهودية ذات الأصول الإيطالية كانت ترعى القنصلية السويدية والدنماركية والنرويجية، وكان روفائيل بيجوتو قنصلاً للنمسا^(٤).

هذه العلاقات الدولية أورثت يهود حلب ميراثاً ضخماً مالياً، وعلاقات خارجية كبيرة وأدت إلى تكديس الثروات في أيديهم فترة من الزمن.

^١ - جان كلود دافيد، مجلة الحوليات الأثرية، تعريب غادة الحسين، المجلد الثالث والاربعون، ١٩٩٩م، ص ٣٤٩.

^٢ - حريتانى: تاريخ اليهود في حلب، ص ٦٤.

^٣ - راسل: تاريخ حلب الطبيعي، ص ٢٥٨.

^٤ - حريتانى: تاريخ اليهود في حلب، ص ٦٦، ٦٧.

- العلاقات الخارجية لليهود دمشق مع الجاليات الأوروبية:

عاش في مدينة دمشق كثير من الأجانب (الجاليات الأجنبية) وازاد عددهم في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين نتيجة التسهيلات التي حصلوا عليها من خلال المعاهدات والامتيازات التي قدمتها السلطنة العثمانية لأوروبا من دون مقابل، وشكلت في تلك الفترة خطراً هدد سلامة السلطنة ورعاياها، وكثر عددهم في القرن التاسع عشر وشكلوا جاليات واسعة^(١)، وانضوى تحت لواء الجاليات الأوروبية في مدينة دمشق وحمايتها الكثير من اليهود، وأصبحوا من رعايا دولها، وذكرت الوثائق أسماء بعضهم ومنهم "عطية وصقال من محلة اليهود في دمشق من تبعة دولة فرنسا"^(٢) وفي وثيقة أخرى تذكر اسم سعيد بن قاسم المغربي من تبعة دولة فرنسا بالشام^(٣). وعاش قناصل الدول الأوروبية في البداية في الأحياء المسيحية واليهودية من دمشق، فقد سكن المستر فارن أول قنصل للإنكليز في حي اليهود بالقرب من بيت هارون هراري اليهودي الذي يقع بدوره بالقرب من زقاق القميم والقميلة^(٤)، ولم يكن عدد الأوروبيين كبيراً في دمشق حتى عام ١٨٥٠م، إذ لم يزد عددهم على (٣٠) أوروبياً، وكان للمتغيرات الاقتصادية في الساحة الأوروبية بقيام الثورة الصناعية انعكاس سلبي على الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الدولة العثمانية بشكل عام ومنها دمشق فسعى أبناء دمشق للحصول على حماية القناصل والعمل لديهم، لكن كان لمسيحيي ويهود دمشق الأولوية في الحصول على هذه الحماية^(٥).

وكان الحصول على حماية قوة أجنبية هو ما يطمح إليه كل يهودي ثري من الرعايا الدمشقيين العثمانيين، كما إنَّ حكام النمسا وبروسيا كانوا يفضلون يهود دمشق الذين استفادوا إلى حد بعيد من وضعهم الجديد، حيث تبدلت ظروف اليهود وأصبح بمقدورهم، بعد حصولهم على حماية

١- الصباغ: الجاليات الأوروبية، ج ٢، ص ٣٢٠.

٢- سجلات المحكمة الشرعية بدمشق رقم ٨٣، وثيقة ٦، (ت ١٣٢٧هـ / ١٩١٠م).

٣- سجلات المحكمة الشرعية بدمشق رقم ٢، وثيقة ١٧٧، (ت ١٣٠٢هـ / ١٨٨٣م). وانظر: شيلشر، دمشق في القرنين الـ١٨ و١٩، ص ١٠٥-١٠٦.

٤- رستم: الأصول العربية، ج ٥، ص ٥.

٥- نعيمة: مجتمع مدينة دمشق، ج ١، ص ٣٥٥-٣٥٦.

القناصل الأوروبيين ممارسة كافة عمليات البيع والشراء وجني الأرباح، أي استغلال الناس كما يريدون دون أن يعترضهم أحد^(١). فاستغل يهود دمشق ذلك لعقد الديون مع التجار مقابل فوائد كبيرة، وأرهقوا المواطنين بها وكان معظم هؤلاء من الصيارفة اليهود ومن تبعة دولة أجنبية (حمايا).

ولا شك بأن الدول الأوروبية سعت لمنح اليهود هذه الحمایات، لأنهم وجدوا فيهم اليد التي ستحقق مصالحهم في هذه الدول فكان حصولهم على الحماية يعطيهم الحق بالعمل بحرية وسهولة كوكلاء للشركات الأجنبية وصيارفة وتجار وغير ذلك، فنقرأ في إحدى الوثائق: "ادعى الياهو افندي عدس بالوكالة عن الخواجة (فاي وشركاه) تاجر من تبعة دولة ألمانيا مقيمين في بيروت على محمد خير الغميان تاجر من تبعة الدولة العثمانية مقيم بالشام، ديناً بموجب وكالتامة مصدقة في قنصلية دولة ألمانيا بالشام، والدين يدفع فضة وذهباً وبالسند بضاعة افرنجية على يد الياهو عدس، وبحضور الترجمان وبهيئة مختلطة، فحكم على المدعى عليه بالمبلغ مع الفائض قابل للاعتراض"^(٢).

نستنتج من هذه الوثيقة أن الحكم كان لمصلحة الأقوى صاحب الشركة التجارية أو وكيلها أو القنصل الأجنبي لأنها كانت شكلية ولمصلحة الحمایا البراءتلية، حيث استغل اليهود كل ذلك بعقد الديون مع المواطنين الدمشقيين بفوائد فاحشة، حتى إذا توفي التاجر لاحقوا ورثته وحجزوا على أموال التركة، كما مارست بعض الشركات الأجنبية دور الوساطة والسمسرة لتصريف البضائع الأجنبية في مدينة دمشق، مع ازدياد حجم التبادل التجاري مع أوروبا في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، بسبب تغير الاتجاهات الاقتصادية لتماشي متطلبات السوق الأوروبية، تحولت مدينة دمشق إلى مركز لخدمة التجارة الخارجية الأوروبية، وأصبح لها حق الأولوية على التجارة الداخلية، وتوجه رأس المال الأوروبي المدعم بالامتيازات الأجنبية منذ منتصف القرن التاسع عشر لخدمة مصالح التجار الأجانب وتأمين وصول البضائع المتزايدة من أوروبا إلى دمشق وغيرها.

^١ - سركو: دمشق فترة السلطان عبد الحميد، ص ٨٣.

^٢ - سجل تجارة رقم ١١٢، وثيقة ١٩٩، (ت ١٣٠٥ هـ / ١٨٨٨ م).

وكان لقنصل ألمانيا نفوذ واسع، وكانت علاقاتهم ودية مع ولاية دمشق لعدم ظهور أطماع لألمانيا في الدولة العثمانية^(١)، وكانت لهم علاقات تجارية بيهود دمشق فقد لجأ الخوجة حزقييل بن الخوجة هارون اليهودي من رعايا دولة ألمانيا للحصول على موافقة القنصل الألماني في دمشق بشراء جميع البضاعة الموجودة في مخزن خان الزيت بسوق الجقمق بمبلغ (٥٠) ليرة مجيدية^(٢). وأخذ الكثير من يهود دمشق وحلب بالسعي للحصول على حماية دولة أجنبية، فأخذت الإدارة العثمانية بوضع القوانين التي تثبت هذه التبعية لذلك وجدنا كثيراً من الصرافين الذين ذكرتهم الوثائق من تبعات دولة أجنبية كما نقرأ في الوثائق التالية:

"رحمون المغربي صراف من تبعة دولة إيطاليا بالشام"

"يوسف فارحي صراف من تبعة دولة إيطاليا بالشام"

"ماير لزيونا صراف من تبعة النمسا وهنغاريا بالشام"

"داوود هراري صراف من تبعة دولة إنكلترا بالشام"^(٣).

"يوسف بن عزرا بن فرج دويك من تبعة دولة إنكلترا"^(٤).

وما يمكن قوله: إنَّ اليهود الذين استقروا وعملوا في ولايات بلاد الشام ومنها ولايتي دمشق وحلب، سعوا للحصول على حماية دول أوروبية مختلفة وذلك لزيادة نفوذهم وتعزيز مكانتهم فضلاً عن سعيهم لتحقيق أطماعهم وتنفيذ مخططاتهم دون محاسبة من السلطات العليا.

^١ - عوض: الادارة العثمانية في ولاية سوريا، ص ٣٢٠ - ٣٢٩.

^٢ - سجلات المحكمة الشرعية بدمشق رقم ٦٣٥، ص ٦٩، وثيقة ٧٧، (ت ١٢٨٩هـ / ١٨٧٣م).

^٣ - سجل تجارة دمشق ٢١ و ٦٨ (ت ١٣٠٨هـ / ١٨٩١م).

^٤ - سجلات المحكمة الشرعية بحلب رقم ٥٧٣، ص ٢٠، وثيقة ٣٤ (ت ١٣٢١هـ / ١٩٠٣م).

- نتائج الفصل:

أسهمت الحرية التي تمتع بها يهود دمشق وحلب في كنف الدولة العثمانية بزيادة نشاطهم الاقتصادي بشكل واضح فانعكس ذلك على طبيعة الأنشطة الاقتصادية التي مارسوها، فلم ينحصرُوا في ممارسة مهن محددة وإنما عملوا في كافة أنواع المهن الاقتصادية ومارسوا مختلف أنواع الأنشطة التجارية، وتجلّى ذلك واضحاً في الوثائق التي أكدت وجود علاقات وشراكات تجارية واسعة لليهود دمشق وحلب داخل هاتين الولايتين وخارجهما، وكان للعلاقات التجارية المتبادلة بين الطوائف الدينية الثلاث (المسلمين - المسيحيين - اليهود) دور في التقارب الاقتصادي والاجتماعي بينها حيث غلبت المصلحة الاقتصادية على الاثنية الدينية، وأسهمت الامتيازات الأجنبية التي منحت لليهود في زيادة مكاسبهم الاقتصادية وتحسين أوضاعهم الاقتصادية والسياسية.

الفصل الثاني

الحياة الاجتماعية لليهود في ولايتي دمشق وحلب في القرن التاسع عشر

مقدمة:

أولاً: تنظيم الأسرة اليهودية وعاداتها

١. العائلات اليهودية في دمشق وحلب.

٢. الأفرح والأتراح.

أ. الزواج والطلاق و تعدد الزوجات.

ب. الولادة والختان.

ج. الوفاة و العزاء.

د. مقابر اليهود في دمشق وحلب.

ثانياً: لباس اليهود.

ثالثاً: مكانة المرأة اليهودية في دمشق وحلب.

رابعاً: علاقة يهود دمشق وحلب بالطوائف الأخرى.

١. العلاقة مع المسلمين.

٢. العلاقة مع المسيحيين.

خامساً: مساكن اليهود في دمشق و حلب.

١. الحارات و الأزقة

٢. البيوت والقصور.

مقدمة:

من الصعوبة بمكان دراسة الحياة الاجتماعية لليهود بشكل منفصل عن الحياة الدينية، وذلك لأن الدين يدخل في كل مجالات الحياة لديهم، حيث كان اليهودي في الدولة العثمانية مضطراً للتحرك طبقاً للقواعد التي وضعها رجال الدين، وكانت الحياة عند اليهود تستوعب الدين تماماً في داخلها، وكان الدين يدخل في كل مناحي الحياة ويحيط بها، حتى في القواعد المتعلقة بالأطعمة والملابس والتجارة والعلاقات الاجتماعية والصحة إذ كان الدين يشمل حياتهم الشخصية والاجتماعية وعلاقاتهم الاقتصادية وأخلاقهم وعلاقاتهم العائلية، وكانت القواعد والقوانين والعدالة تأتي كلها من كتبهم المقدسة وعلى رأسها التلمود^(١).

ومراعاة لطبيعة الحياة الدينية فقد قدمت الدولة العثمانية كل أنواع التسهيلات اللازمة لليهود في ما يتعلق بعقائدهم ومعتقداتهم الدينية، ولهذا السبب كان اليهود يختارون حاخاماتهم بأنفسهم، وكانوا يعيشون مرتبطين فيما بينهم بقواعد الدين اليهودي بشكل كامل، وقد أسس اليهود تجمعات لهم تبعاً للأماكن التي جاؤوا منها، ورغم أن اليهود كانوا يعيشون مُبعثرين في مجتمعات مزدهمة جداً وقوية اقتصادياً طوال مئات السنين إلا أنهم مع هذا لم يذوبوا في تلك المجتمعات بسبب تمسكهم بقواعدهم الدينية ومثلهم وأحلامهم القومية^(٢)، وعلى الرغم من كونهم لم يذوبوا في بوتقة تلك

^١ - التلمود: شروح حاخامية مقننة للتوراة، وتلمود تعني بالعبرية تعليم، ويتضمن مجموعة القوانين والأحكام والوصايا الدينية والسياسية، مع التفسيرات التي كان يتداولها الحاخامات وأتباعهم في بادئ الأمر، حتى أطلق عليه "التوراة الشفهية" وقام مجموعة من الأحرار بتدوينه ليصبح دستوراً ينظم حياة الجماعات اليهودية. والتلمود اثنان: ١- التلمود الأورشليمي، نسبة إلى بيت المقدس. ٢- التلمود البابلي، نسبة إلى مدينة بابل وهو الأكثر انتشاراً بين اليهود ويتكون التلمود من ستة أقسام، تقع في ٥٢٤ فصل وقد قسم التلمود إلى قسمين: الأول مجموعة قوانين المشنا والجمارا، والثاني الاجادة "الأخيار" وهي مجموعة أمثال وقصص وأساطير. ويركز التلمود على فكرة اليهود بأنهم "شعب الله المختار" وأن روح اليهود هي جزء من روح الله وأن الجنة لن يدخلها غير اليهود! والنار مثنى لكل من عداهم من المسلمين والمسيحيين. انظر: عرفه علي عبده: يهود مصر منذ عصر الفراعنة حتى عام ٢٠٠٠م، الهيئة المصرية العامة، 2000م، ص ٤١٩، ٤٢٠.

^٢ - اوغلو: اليهود في الدولة العثمانية، ص ٢٢٠-٢٢٢.

المجتمعات كلياً إلا أنهم تأثروا بهم فتخلقوا بأخلاقهم وتأثروا بعاداتهم، وسعوا إلى استغلال الحقوق التي منحت لهم لتحسين أوضاعهم الاقتصادية والحصول على قسط وافر من المعرفة والثقافة^(١). تأثر اليهود بسكان البلاد واكتسبوا منهم الكثير من العادات^(٢) رغم وجود مجتمعات يهودية في دمشق وحلب، كجوبر وحارة اليهود في حي الأمين وحي بحسيتا وحي الجميلية وسويقة علي الذي أصبح يعرف بسويقة اليهود، إلا أنهم عاشوا بين أهالي دمشق وحلب وتأثروا بهم وأثروا فيهم، خاصة وأن السلطات العثمانية وفرت لهم حرية السكن والتنقل مقابل التزامهم بدفع ما يترتب عليهم من ضرائب وكانت تجمعاتهم ملحوظة في الأحياء التي تحتوي كُنُسهم حيث يلاحظ ازدياد في تعدادهم السكاني فيها^(٣).

لم تؤد الفروق الدينية بين الطوائف الثلاث المتعايشة في دمشق وحلب (اليهودية-المسيحية-الإسلام) إلى انفصالهم لعوالم اجتماعية منعزلة خاصة بها، وكان الخلاف بينهم محدوداً نتيجة للموروث الثقافي المشترك، فالأديان السماوية الثلاثة غرست فيهم الرؤى والقيم الخلقية والمثل الاجتماعية المتشابهة^(٤).

^١ - آتينجر: اليهود في البلدان الاسلامية، ص ٥٤.

^٢ - ولفنسون، اسرائيل: تاريخ اليهود في بلاد العرب والجاهلية وصدر الإسلام، مطبعة الاعتماد، ١٩٢٧، ص ٧٥.

^٣ - بشير، عبد الرحمن: اليهود في المغرب العربي، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، ط ١، ٢٠٠١، ص ١١٢، ١١.

^٤ - ماركوس، أبراهام: الشرق الأوسط عشية الحداثة" حلب في القرن الثامن عشر" ترجمة هيثم حمام، مطبعة جامعة حلب، ٢٠٠٦، ص ٥٦.

أولاً: تنظيم الأسرة اليهودية وعاداتها:

١ - العائلات اليهودية في دمشق وحلب:

عاش يهود دمشق وحلب كجزء لا يتجزأ من نسيج هذين المجتمعين، فكانت العائلات اليهودية كمثيلاتها من العائلات المسيحية والإسلامية من حيث الحقوق والواجبات^(١)، فمن خلال سجلات المحكمة الشرعية بدمشق وحلب نرصد أسماء عدد من العائلات اليهودية الدمشقية- الحلبية، ونتعرف على بعض هذه الأسر اليهودية المشهورة بدمشق منها "عدس- شمعايا- لزبونا- هراري^(٢) وإسلامبولي^(٣) وهي من العائلات الدمشقية المعروفة التي كانت تسكن في حارة اليهود، واشتهر منهم الخواجة اسلامبولي، الذي ترك بيتاً فخماً في حارة اليهود وعائلة اللحام^(٤) فارحي^(٥). مزراحي- زيلخا- أبو العافية^(٦) عينتابي^(٧) البقاعي- جاجاتي^(٨) حاصباني- اللاطي- زلطة- كباريتي- ساسون- داوود- الجليلاتي- حلواني لاوي- مايير- السقال- أصلان^(٩)

وبرز في حلب عدد من العائلات المتنفذة، والتي لعبت دوراً كبيراً في تنشيط التجارة وكانت غالبية هذه العائلات من أصول أوروبية كالفارديم والاشكنازيم استقرت في أحياء حلب الحديثة كالجميلية، ونذكر أبرزها ساسون- بيجوتو- سويد- إسحاق- كباية- ابراهيم^(١٠) كما اشتهرت في القرن التاسع عشر عائلة طوطح، وصفرا في حلب وهي من العائلات الغنية، وكمخ جي، وسرور،

١- العجلاني: يهود دمشق...، ص ١٨٥-١٨٦.

٢- سجلات المحكمة الشرعية بدمشق رقم ٩٠١، وثيقة ١١، (ت ١٣٠٦هـ / ١٨٨٩م)

٣- سجل مكرر رقم ٣٧٣، وثيقة ٣٣.

٤- سجلات المحكمة الشرعية بدمشق رقم ٨٥١، وثيقة ٢٠، (ت ١٣٠٤هـ / ١٨٨٦م).

٥- سجلات المحكمة الشرعية بدمشق رقم ٣٧٢، وثيقة ٦١، (ت ١٢٥٨هـ / ١٨٤٢م)

٦- سجلات المحكمة الشرعية بدمشق رقم ٣٢٨، وثيقة ١٥١، (ت ١٢٤٩هـ / ١٨٣٣م)

٧- سجلات المحكمة الشرعية بدمشق رقم ٣٢٧، وثيقة ٣٨٢، (ت ١٢٤٩هـ / ١٨٣٣م)

٨- سجل مكرر رقم ٣٠٠، وثيقة ٢٧١،

٩- سجلات المحكمة الشرعية بدمشق رقم ٧٨٠، وثيقة ١٩٥، (ت ١٣٠٢هـ / ١٨٨٥م) وسجل رقم ٨٩٣، وثيقة

١٥٦، (ت ١٣١١هـ / ١٨٩٤م).

١٠- سجلات المحكمة الشرعية بحلب وثائق مكررة رقم ٢٠٠، ٢٨٨، ٩٨

قواص، لاطي دانيال، شمعة، ميرو، اللاوي، وزلخة وهي من العائلات الغنية أيضاً مع عائلة عنبر^(١).

ولم يبرز من هذه الأسر في مجتمع دمشق إلا القليل منها خاصة في المجالات الصيرفية والاقتصادية كأسرة فارحي وأبو العافية وهاراي وشحادة وخضر وغيرها، وأبرز الأسر اليهودية على الإطلاق كانت:

١-فارحي:

عائلة يهودية تعود بأصولها لليهود السفارديم الذين هاجروا من إسبانيا إثر حملات الاضطهاد الإسبانية، واستقرت في البداية في حلب ثم اتجهت إلى دمشق في منتصف القرن الثامن عشر، وبرزت هذه العائلة بشكل واضح في مجال الصيرفة، وكان كل من سلمون فارحي وولده شاؤول فارحي من أبرز الصيارفة اليهود الأثرياء في دمشق، وكان لشاؤول فارحي نفوذ اقتصادي وسياسي، وبرز في بدايات القرن التاسع عشر الصراف اليهودي حاييم فارحي الذي كان على قدر من الثراء والنفوذ وكان يمثل في بعض الأحيان الطائفة اليهودية في سوريا، وكان يتقن اللغتين التركية والعربية، فكان رجلاً سياسياً عظيماً لما امتلك من الحكمة والمهارة في الإدارة والمال، ووصل نفوذه في ولاية سليمان باشا لدرجة كان قادراً على فرض شروطه^(٢).

٢- عائلة ساسون:

تعد هذه العائلة من أبرز العائلات اليهودية وأشهرها في عالمي المال والتجارة، وتمكنت من السيطرة على الشبكات المالية والتجارية في الهند والشرق الأقصى، وبرز نفوذ آل ساسون في مدن عديدة في الفترة الأخيرة من حكم الدولة العثمانية كالأستانة وأزمير ودمشق، وبعد افتتاح قناة السويس ١٨٦٩ أدت هذه العائلة دور الوسيط بين الاقتصاديات المحلية والدولة البريطانية المستعمرة، وهذا ما حمى اليهود وأغناهم مالياً، وكان لعائلة ساسون دور كبير في النشاط الاقتصادي، فقد أسهموا في

^١ - عبده، اليهود السوريون...، ص ١٣.

^٢ - Thomas philipp, The farhi family....p. 38.

شراء بعض المواد الأولية وخاصة الأفيون والأقمشة من أسواق الخليج العربي وبلاد فارس والهند وشحنها، وشهدت السنوات التي تلت الخمسينيات من القرن التاسع عشر نفوذاً واضحاً لعائلة ساسون في تجارة القطن^(١).

٣- عائلة صفرا:

انتمت هذه العائلة إلى اليهود الشرقيين، وقامت بإنشاء شبكة من المصارف العالمية، وتأسس أول مصرف لهم في مدينة حلب وحمل اسم "الأخوة صفرا" بالفرنسية في منتصف القرن التاسع عشر حيث تعامل المصرف بالعملة المختلفة والذهب ومول تجارة القوافل البرية داخل السلطنة العثمانية، كما قدمت هذه العائلة مساعدات مالية كثيرة ومهمة للطائفة اليهودية في نيويورك وخارجها، فأعادت بناء المدارس ودور العبادة اليهودية في العالم^(٢).

٤ - عائلة زيلخا:

زيلخا عائلة عراقية الأصل، قامت بإنشاء العديد من المشاريع التجارية الواسعة في القرن التاسع عشر، حتى وصل نفوذها التجاري إلى أوروبا والولايات المتحدة وبعض البلدان الآسيوية وكان أهم الشخصيات البارزة في هذه العائلة خدوري أو خضوري زيلخا الذي أسس مصرف تجاري في بغداد (١٨٩٩) بمئتين وخمسين مليون دولار، وجعل له عدة فروع في بغداد والقاهرة والإسكندرية ودمشق، وخدوري زيلخا عاش في تركيا فترة قصيرة تعلم فيها أصول الصيرفة على يد خاله المصرفي يوسف شاشا، وبعد عودته إلى بغداد عمل في مجال الصيرفة، وفي القرن العشرين نقل نشاطاته إلى أوروبا وأمريكا الجنوبية^(٣).

^١ - قاسمية: يهود البلاد العربية، ص ١٥٠ - ١٥١.

^٢ - العرب واليهود: مال وتجارة في أيام العثمانيين " بحث في التجارة"
<http://al-hakawati.la.utexas.edu/2012/04/30>

^٣ - العجلاني، يهود دمشق...، ص ١٨٥ - ١٩٤.

٥ - عائلة بيجوتو:

تعود جذور هذه العائلة إلى عام ١٧٣٠م، عندما أتى هلال بيجوتو وأخوه الأصغر دانييل من ليفورنيا بإيطاليا واستقروا في حلب، حيث كانت قد سبقتهم للاستقرار هناك عائلات إيطالية، وحافظ هؤلاء اليهود من أصل إيطالي على هويتهم الأجنبية مع الاحتفاظ على علاقاتهم التجارية والاجتماعية، وأنشأت العائلة بعد استقرارها في حلب شبكة من البيوتات التجارية امتدت حتى شملت العديد من مناطق الشرق الأوسط، وساهمت هذه العائلة في التجارة الأوروبية في القرن التاسع عشر، وقد استفادت العائلات اليهودية في حلب كثيراً من وجود بيجوتو في مجال التجارة والتمثيل القنصلي، وحصل العديد من التجار اليهود في حلب على تسهيلات مالية وحماية لم تتوفر لأحد، كما قدموا مساعدات كبيرة على الصعيد التعليمي في القرن التاسع عشر حتى إنَّ المؤسسة التعليمية اليهودية الفرنسية الإليانسان وافقت عام ١٨٦٩م على فتح فرع لها لتعليم الصبية اليهود في حلب وأتبعته في وقت غير طويل بافتتاح فرع لتعليم البنات، إلا أنَّ نفوذ عائلة بيجوتو بدأ يضعف بعد افتتاح قناة السويس، وما تركته من تأثير سلبي مباشر على مركز حلب التجاري كمحطة مهمة على الطريق التجاري البري مع التجارة الأوروبية، فاضطرت العائلة مع بدايات القرن العشرين للهجرة إلى لندن ومصر، وبرز من هذه العائلة جوزيف بيجوتو كرجل أعمال كبير ورئيس للجالية اليهودية هناك^(١).

٦ - عائلة البقاعي:

من الأسر الدمشقية المعروفة، وينتمي آل البقاعي إلى الديانتين اليهودية والإسلامية دون أن يكون بينهما أي صلة قرى^(٢)

^١ - العرب واليهود: مال وتجارة في أيام العثمانيين " بحث في التجارة "

^٢ - قاسمية: يهود البلاد العربية، ص ١٥٠.

٧- عائلة هراري:

عائلة هراري اشتهر منها داوود هراري الذي اشترك في جريمة قتل الأب توما الكبوشي، وعرف من عائلة هراري كل من التاجرين إسحاق ويوسف هراري^(١)، وذكر الأسدي أسماء عائلات يهودية في حلب كآل شقال وهم حاخامية، وآل كندي وهم تجار وآل يوسف برج^(٢)

٢- الأفراح والأتراح:

أ- الزواج والطلاق وتعدد الزوجات:

١- الزواج:

تشابهت عادات اليهود في أعراسهم مع عادات المسلمين والمسيحيين، ونظراً لما عند اليهود من الحرية الكاملة فإن مسألة اختيار العروس على الشاب أسهل منها بالنسبة للمسلمين والمسيحيين، فإذا أراد الشاب خطبة فتاة فعليه أن يسأل عن أهلها وما لديها من مال وما يريدون أن يمنحوه إياه، فإذا ناسبه تمت الخطبة وإذا لم يناسبه فلا^(٣).

وانطلاقاً من طبيعة الواقع الاقتصادي لليهود الذي يتطلب تكوين أسرة ولأن المرأة كثيراً ما كانت تشارك الرجل بأعماله، فلا يوجد بين اليهود بنات غير متزوجات إلا ما ندر، وكذلك لا يوجد شباب غير متزوجين^(٤)، فإذا بلغ الشاب الثامنة عشرة أصبح من الواجب عليه الزواج، وكان الزواج عند يهود دمشق وحلب أهون من زيجات المسلمين والمسيحيين وذلك لكونهم أقلية محدودة من حيث مساحة سكانها، وهذا يجعل من السهل على الشاب وأهله التحدث مع أهل العروس، لذا فقد كانوا يخطبون ويتزوجون في سن مبكرة جداً، وعندما يختار الشاب عروساً مناسبة له، يجب أن يكتب بينهما "قينان" أي عهد يسمونه "شيطاراً" يحدد فيه مقدار المهر المدفوع من الطرفين ويذكران ما اتفقا

١- قاسمية: يهود البلاد العربية، ص ١٤٩-١٥١.

٢- الأسدي: موسوعة أحياء حلب...، ص ٣١٨.

٣- القساطلي: الروضة الغناء...، ص ١٢٨-١٢٩.

٤- أبو جبل: يهود اليمن...، ص ١٣٣.

عليه من الشروط، ثمَّ يحدد يوم تتعقد فيه جمعية يسمونها (كُتَّبة) فيها يكون تسلم الزوج الأمتعة والنقود التي تعهدت الزوجة بتقديمها إليه، وبعد ثلاثة أيام تكون حفلة الزفاف المعروفة باسم (قدوس) حيث يحضر المدعوون وتعزف آلات الطرب وتدار كؤوس أنبذة العنب من وقت العصر إلى وقت الغروب، ثمَّ يقوم الحاخامات بإجراءات عقد الزواج بين العروسين^(١)، والعقد يتضمن عدة إجراءات تحمي المصالح المالية للزوجة^(٢)، وكانت أعراس اليهود مشهورة بما يظهرونه من مظاهر الفرح حيث كانت تقام وليمة العرس لمدة سبعة أيام كاملة، بحضور الأقرباء والأصدقاء، وما يميز أعراس اليهود في دمشق وحلب وجود عدد من النساء المسلمات والمسيحيات المدعوات للعرس، فتعزف الموسيقى ويبدأ الجميع بالرقص، وكانت عاداتهم أن يشترك الذكور والإناث في إحياء حفلة العرس، وتجلس العروس على كرسي ذي ذراعين في وسط الإيوان المفتوح، وخلفها ثلاث شموع ضخمة طويلة مشتعلة في حين تكون العروس مغطاة بحجاب من الحرير الأحمر الشفاف لدرجة أنه يشف عما تحته، وتكون أجفانها مغلقة، ويزين جسمها المجوهرات والحلي^(٣)، ثمَّ يأتي الرجال في موكب يتقدمهم الحاخام واثنان أو ثلاثة من الربانين، وذلك لإتمام الإجراءات الدينية للعريس في الكنيس، وعندما يدخلون على العروس تتوقف الموسيقى والغناء ويقود الأب ابنه العريس وإلى يساره عروسته فيغطي رأسها بنقاب صوفي ثمَّ يقدم لها قطعة من الفضة وبعد أن تأخذها منه يقول لها باللغة العبرية: "هاري آت ميقديش لي بي طباعت زكيدات موشي وإسرائيل" أي أنت مقدسة لي بهذه القطعة مثل دين موسى وإسرائيل، بعد ذلك يقدم والد العريس زجاجتين من الخمر للحاخام الكبير، فيبارك زواجهما بدعاءٍ طويل باللغة العبرية، ويشرب منه جرعة، ثمَّ يدور به على الحاضرين ويشرب كل واحد منهم جرعة، ثمَّ يعاد إلى الحاخام فيرميه إلى الأرض فينكسر وتسفح الخمرة على الأرض، وبعد ذلك ينزع الحجاب عنهما، وينزل العريس من الإيوان ليتقبل التهاني من أصدقائه، يرافقه موكب الرجال إلى بيته الخاص، ليتجمعوا على وليمة كبيرة تكون مهياً لهذه المناسبة، وتحتوي على الفاكهة والحلويات الفاخرة المتنوعة، وبعد وصولهما إلى بيت الزوجية تستكمل الموسيقى عزف الألحان ويرافق ذلك

١- عبده: اليهود السوريون ...، ص ٧٠.

٢- شحاته ريه: اليهود في بلاد المغرب...، ص ١٦.

٣- نعيصة: مجتمع مدينة دمشق...، ج ٢، ص ٧٠٦. وكذلك راسل: تاريخ حلب ...، ص ٢٥٦، ٢٥٥.

الغناء، وتبقى قريبات العروس عندها حتى نهاية الأسبوع، أما بقية النساء فيذهبن مع الليل إلى بيوتهن^(١).

من عادات اليهود إمساك الزوج عن زوجته مدة خمسة عشرة يوماً وعليه أن يدعوا في ثاني يوم من زفافه عشرة من رؤساء الدين ويقدم لهم الولائم وبيبارك رئيسهم قبل الأكل على المائدة سبع مرات كما يبارك كأس الخمر يوم الزفاف^(٢).

٢ - الطلاق:

تنتهي العلاقة الزوجية بوفاة أحد الزوجين أو بطلاق مكتوب، ويمتلك الزوج وحده حق التصرف فيه لأن العصمة بيده، وتتنحصر أسباب الطلاق لدى اليهود في عدة حالات: كالزنا والامتناع عن المعاشرة والعيب أو وجود عاهة بأحدهما، أو في حال اعتناق الزوج أو الزوجة الإسلام أو مذهب آخر^(٣)، ولا يقدم الرجل على اتخاذ قرار الطلاق إلا بعد تسديد الحق الواجب عليه لزوجته الوارد في عقد الزواج، حيث يتم تسليم زوجته ورقة صك الطلاق، ويستطيع الزوج استعادة المهر من زوجته إذا تركته بلا أسباب، وكانت قسيمة الطلاق تسلم إلى الزوجة في المحكمة المدنية، وبحضور عدة أشخاص، ومن الإجراءات التي تقوم بها النساء المطلقات من اليهود الاغتسال في الحمامات العامة، وتبذل المحاولات للحد من الطلاق حماية للمرأة ونصرة للأخلاق^(٤).

تتم مراسم الطلاق اليهودي في الكنيس بحضور الزوجين أمام القاضي وشاهدين، حيث يسلم الرجل وثيقة الطلاق إلى مطلقة قائلاً "استلمي وثيقة طلاقك فأنت طالق وصرت حلاً لغيري" وتكتب الوثيقة بالعبرية ويكتب فيها اسم الزوجة والزوج وتاريخ الطلاق في التقويم العبري، واسم المدينة التي يسكنها الزوجان، وبعد إتمام مراسم الطلاق تتسلم الزوجة مؤخر صداقها من الزوج بعد

^١ - سركو: دمشق فترة السلطان، ص ١٣٦، ١٣٧.

^٢ - كرد علي: خطط الشام....، ج ٦، ص ٢٩١، ٢٩٠.

^٣ - شحاته ريه: يهود المغرب....، ص ١٠٣، ١٠٢.

^٤ - أبو جبل: يهود اليمن....، ص ١٣٦-١٣٨.

أن تقسم اليمين على أنها لم يسبق لها تسلم "كتوبتها" حسب الشريعة اليهودية، ومن تسلمت جزءاً من الكاتوباه لا يسدد الباقي إلا بحلف اليمين"^(١).

يوجد في سجلات المحكمة الشرعية بدمشق وثائق تؤكد حدوث حالات طلاق بين اليهود إلا أنها قليلة جداً فقد تقدمت المرأة بيذا بنت إبراهيم الصبان اليهودية لدى القاضي محمد أسعد أفندي على مطلقها هارون بن فرحات شيخ الحارة اليهودي، قائلة في ادعائها أنه طلقها منذ شهر ولم تعد تحل له بعد ما بانته منه، وطالبته بمؤخر صداقها وقدره ٣٥٠٠ قرش^(٢) علماً أن وثائق الطلاق قليلة ونادرة وهذا يؤكد أن الطلاق بين اليهود كان صعباً ونادراً وبحالات اضطرارية جداً.

٣- تعدد الزوجات:

تعدد الزوجات نادر بين اليهود، ولا يحدث إلا في حالة عقم الزوجة، أو الرغبة في إنجاب طفل ذكر، ولم يكن محبباً لدى اليهود الرجل المتزوج زوجتين دون أي عذر آخر^(٣)، لم يرد في التوراة أي نص يحرم تعدد الزوجات وكذلك لا توجد نصوص في التلمود تحرم التعدد، وليس في الدين اليهودي حد أقصى لتعدد الزوجات إذ صدر تشريع يسمح باتخاذ زوجة ثانية في حالة عدم إنجاب ذكر، لكن الأخبار عارضوا تعدد الزوجات فتدخلت السلطات الحكومية بإيعاز من بعض اليهود ذوي النفوذ الذين اتهموا الأخبار بانتهاك حرمة التشريع التلمودي، ولذلك صدر تشريع يحدد الأسباب التي تسمح للزوج بزوجة أخرى^(٤).

ويؤكد آتينجر على أن ظاهرة تعدد الزوجات كانت شائعة في أوساط يهود الشرق ويرجع سبب ذلك لتأثير المجتمع الإسلامي، كما منح الزوج صلاحيات كبيرة في مجال الطلاق دون أخذ

^١ - بشير: اليهود في المغرب...، ص ٥٢١، ٥٢٠.

^٢ - هذه الدعوة وأمثالها تكون عادة برغبة أحد الزوجين أو كليهما والقصد منها تثبيت طلاق المرأة وتأكيد براءة ذمة زوجها بحجة أخرى. سجلات المحكمة الشرعية دمشق رقم ٣١٢، وثيقة ٢٣١. (ت ١٢٤٤هـ / ١٨٢٧م).

^٣ - حريثاني: تاريخ اليهود....، ص ١١٣.

^٤ - زعفراني، حاييم: ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب، ترجمة أحمد شحانة، دار الثقافة، المغرب، الدار البيضاء،

١٩٨٧م، ص

رغبة المرأة في الحسبان، كما سادت في أوساط الطائفة اليهودية في بلاد الشرق (اليوم) أي زواج المرأة اليهودية في حال وفاة زوجها من أخيه رغماً عنها^(١)، كما أدى تعصب اليهود وانغلاقهم إلى اقتصار تزواجهم فيما بينهم فقط، ونادراً ما يحصل ويتزوجون من غير اليهود، ولكن لم يكن لديهم مانع من تزويج بناتهم الجميلات من أصحاب السلطان والنفوذ ليستغلوا نفوذهم ولمصالحهم الخاصة وتنفيذ غاياتهم وتحقيق أهدافهم^(٢)، ففي حلب تزوجت يهوديات من مسلمين ومن كبار عائلاتهم^(٣).

وكان السلاطين يتزوجون بالفتيات اليهوديات سواء أكنَّ من الأميرات أم من الجواري إعجاباً بجمالهنَّ، أو لمصلحة سياسية، كتزويج بنات الأمراء من أحد السلاطين رغم العداء بين الدولتين، لكي يبقى هؤلاء الأمراء على اتفاق مع الدولة دون حدوث تمردات، أو لتوطيد الصلات بين الدولتين، أو لتوثيق المعاهدات والاتفاقات وما إلى ذلك، غير أنَّ هؤلاء النساء قد يبقين على عقيدتهنَّ السابقة فيكون ارتباطهنَّ بأصحاب عقيدتهنَّ أكثر بكثير من ارتباطهنَّ بدولتهنَّ الجديدة، لذلك يعملن لأبناء دينهنَّ، وتحرص كل واحدة منهنَّ على تولية ابنها الخلافة أو السلطنة ليكون لها نفوذ كبير وخير مثال على ذلك زواج السلطان سليمان القانوني من روكسلانة اليهودية الروسية والتي سعت لتولية ابنها سليم الثاني الحكم^(٤).

^١ - آتينجر: اليهود في البلدان الإسلامية، ص ٦٨، ٦٧.

^٢ - عرابي: سفر التاريخ...، ص ٢٥٣، ٢٥٢.

^٣ - حريتانى: تاريخ اليهود...، ص ١١٢.

^٤ - شاكر، محمود: التاريخ الإسلامي، المكتب الإسلامي، بيروت - دمشق، ط ٤، ٢٠٠٠م، ج ٨، ص ١١٦، ١١٥.

ب- الولادة والختان:

حُتّت مصادر التشريع اليهودية على الإنجاب انطلاقاً من حرصهم على الاستمرار والبقاء^(١)، وفي فترة الحمل كانت المرأة اليهودية كباقي النساء تستمر في أعمال المنزل حتى الأيام الأخيرة من فترة الحمل، ومما تستعمله النساء اليهوديات في فترة حملهنّ أن يحملنّ تعويذة هي عبارة عن قطعة خشب من تفاحة الجنة، ويساعد الزوج زوجته ويسعى لجلب كل ما تشتهيه في فترة حملها لأنّ الاعتقاد السائد أن حرمان الحامل مما تشتهيه قد ينعكس على المولود لاحقاً، كأن تظهر في جسده علامة مميزة، فقد ساد المثل اليهودي بين النساء اليهوديات "أعطوني الأكل كي لا يأتي الولد أعور" وهذا الاعتقاد واسع الانتشار ومأخوذ عن التلمود، وبعد انتهاء أشهر الحمل تتم عملية الولادة ثمّ يُغسل المولود الجديد مباشرة بالماء ويدلك بالسمن ويضاف أحياناً للماء القرفة وبعض البهارات الخاصة بهدف تقوية بشرة الطفل، ويتم ذبح نعجة وتوزيع لحمها مع بعض التمر على الأصدقاء والجيران احتفالاً بالمولود وافتداءً له، وهذه العادات لا تقتصر على اليهود فقط بل يمارسها المسلمون أيضاً^(٢)

أما الختان فقد كان اليهود في دمشق وحلب يختنون الطفل بعد يومين من ولادته، وإذا كان من سبط إسرائيل وكان البكر لأبويه وجب على أبيه أن يفتديه من كاهن من سبط هارون حيث يضع الطفل في حجرة ويقول لأبيه: هذا المولود حق ابن الكهنة فيستوهبه أبوه منه بمقدار معلوم من الفضة، وعندما يبلغ عمر الطفل سنة يأخذه أبواه كل سنة إلى وليمة قدوس أي زفاف يطعمانه من طعام "السيعوداه" فإذا بلغ الثامنة عشرة يؤمر بصيام ذلك اليوم، وإذا بلغ الثالثة عشرة يلبسونه (كنفوت) وهي صدرية تربط أطرافها الأربعة بفتائل من الغزل ويشد على رأسه وعضده الأيسر (تيفلين)

^١ - بشير: اليهود في المغرب ...، ص ١١٧.

^٢ - أبو جبل: يهود اليمن ...، ص ١٣٩، ١٣٨.

وهو سير من الجلد يشتمل على الكلمات العشر والإصحاح الأول من سفر الوصايا^(١)، وحينئذ يعتبر رجلاً متمماً صلاة الجماعة التي لا تتم إلا بعشرة رجال ويرث سهمين من تركة أبيه^(٢)

ج- الوفاة والعزاء:

لقد كان ليهود دمشق وحلب عادات متميزة بعض الشيء عن العادات اليهودية بوجه عام، ولا سيما في الحداد والعزاء فمتى بدأ المريض بالاحتضار جلس عند رجله رجلان يُذَكِّرانه بقولهما "شيماع اسرائيل أدوناي ايلو هيتو أدوناي آحاد" أي اسمع يا إسرائيل الديان إلهنا الديان واحد^(٣) وكأنهما يذكرانه بأن الله واحد وهي تشبه شهادة التوحيد عند المسلمين، فإذا قضى نحبه وضعوه على المغتسل وغسلوه بالماء الفاتر ولفوه بثوب من الكتان بعيوبه لكي لا يطمع به نباشو القبور، ثم يضعون جثة الميت في "الأورت" أي النعش ويحضر أحد أقربائه ويقرأ عليه قداشاً أي يصلي عليه صلاة الميت، ثم يقوم ثلاثة أشخاص بحمل النعش، وعلى كل من يمر بالجنائز أن يمشي معها أربعة أذرع أو أكثر ويطلب من الميت السماح، حتى يصلوا بالنعش إلى الكنيس ويصلوا على الميت ويقرؤون عليه قداشاً آخر ثم يحملونه إلى مدفنه ويوارونه في ترابه، ويقوم أحد الحاضرين ويبارك عليه بقوله: "باروخ ديان ها ايميت" أي تبارك من شرع الحق. هذه العبارة شبيهة بعبارة المسلمين أثناء الوفاة الموت حق، بعد ذلك يقرأ ولده قداشاً ثالثاً، ويعود هو ومن معه من الأقارب والأصحاب إلى بيت الميت وفي أثناء الطريق يغسل كل واحد من الحاضرين يديه ويقول: "عينينو لو رأو وبادينو لو شافيوخو بيدام هذه" أي عيوننا ما رأيت وأيدينا ما سفكت هذا الدم حتى إذا وصلوا إلى بيت الميت قام أحد الحاضرين إلى كل وارث للميت وخرق ثوبه من زيقه وهو يقول: "باروخ ديان ها ايميت" ويستمر العزاء سبعة أيام، ويرسل أحد الحاضرين مائدة عليها أطعمة متنوعة، ويعزيهم بقوله: "باروخ مناحيم ابيليم" أي تبارك الذي يواسي الحزين، ويجب على ورثة الميت أن يلزموا منازلهم سبعة أيام

^١ - كرد علي: محمد، خطط الشام، مكتبة النوري، دمشق، ط٣، ١٩٨٣، ج٦، ص ٢٨٩.

^٢ - عبده: اليهود السوريون...، ص ٧٠، ٦٩.

^٣ - نعيصة: يهود دمشق...، ص ٤٠-٤٢.

ويسمونها "التأبيل" أي الحداد، وفي اليوم السابع يُصنَّع طعامٌ للفقراء وهكذا في اليوم الثلاثين ولمرور تسعة أشهر ثمَّ لمرور السنة^(١)

من عادات اليهود في العزاء عدم انضمام الأطفال إلى آبائهم في هذه المناسبات حتى ولو كان المتوفى من الأقرباء، ويأتي رؤساء العائلات فقط ويجلسون على الأرض مع أهل المتوفى، ويقوم أكبر الموجودين سنّاً ويتحدث بأقوال الحكماء في موضوع حياة الإنسان على الأرض: عذابه، أعماله الحسنة وموته، وخلود الروح ويصغي الباكون إلى الحديث ويتوقف أحياناً ليأخذ كأساً من النبيذ ويقول: "سيواسي الله أصحاب الحداد" ثمَّ يرد عليه أهل المتوفى بعبارة آمين، وبعد ذلك يوزعون الطعام ويأخذ كل فرد من أصحاب الحداد كأساً من النبيذ ويقول للمتحدث: عسى الله أن يكافئك أجراً جيداً، وبعد تناول الطعام يجري حديث آخر يدور حول ذكر التوراة وخلود الروح والشرف والأخلاق حيث يبدأ كل فرد بالتفكير بنهاية حياته^(٢)

لا يسمح لليهود بخروج النساء في الجنازة أو إلى مكان دفنها، حيث يبقين في المنزل يندبن الميت أو يستأجرن ندابات للمساعدة في إطلاق الصراخ والولاول، ويزرن المقبرة في صباح اليوم التالي للجنازة، وفي صباح اليوم السابع والثالث عشر، ويذهب بعضهنَّ إلى المقبرة صباح أيام الأسبوع الأول، وفي هذه المناسبات لا يقل صراخهنَّ عن النساء المسلمات، ويخرجن في آخر زيارة في الذكرى السنوية للوفاة، أما الرجال فيزورون المقبرة في اليوم الأول، وفي اليوم السابع والثلاثين، ومرة أخرى عند انتهاء السنة ويزور الأقارب قبور الأحبار الذين يحظون باحترام صباح كل يوم جمعة لمدة اثني عشرة شهراً، أما لباس اليهود في حالات الوفاة فيدخل عليها شيءٌ من التغيير فلا ترتدي النساء حليهنَّ أما الرجال فيشقون شقاً صغيراً في ثوبهم الخارجي وكذلك تفعل النساء، وتفتح عائلة المتوفى بيتها لاستضافة الزوار وتوزيع الطعام والمال على الفقراء الذين يأتون للاستفادة من هذه الصدقة المألوفة، وخلال أيام الحداد السبعة لا يخرج أهل المتوفى للعمل مطلقاً، ولأن نفقات

^١ - كرد علي: خطط الشام...، ج٦، ص ٢٩١.

^٢ - أبو جبل: يهود اليمن...، ص ١٣٢، ١٣١.

الجنائز مكلفة بعض الشيء لذا فإنَّ الفقراء من اليهود لا يستطيعون تحمل نفقات مراسم الدفن، لذا كانت تقدم نفقات الدفن للأفراد الفقراء من صندوق الطائفة^(١)

بشكل عام اتسمت مراسم الوفاة بالبساطة وإثارة المشاعر، حيث توارى الجثة في التراب على لوح خشبي ليس داخل تابوت، ولا يوجد عند اليهود عادة تقديس الموتى، لأن هذا الأمر من شأنه أن يُعد عملاً طفولياً وإهانة^(٢).

د- مقابر اليهود في دمشق وحلب:

المقابر هي المكان المخصص لدفن الموتى، كل بحسب دينه ومعتقد، وتختلف الطقوس التي تقام والصلوات التي تتلى في هذه المواقع من دين إلى آخر، وبشكل عام فإنَّ المقابر اليهودية وجدت خارج الأماكن السكنية القريبة من محلة اليهود وفيها يدفنون موتاهم، إنَّ لقبور اليهود علامات وأشكالاً تختلف بعلامات مميزة عن قبور المسلمين والمسيحيين، وقد اهتم اليهود بالمدافن ودفن موتاهم^(٣)

وتحظى المدافن اليهودية بنفس الاهتمام الذي تحظى به طقوس الدفن وهي تسمى "بيت الأحياء" كما يطلق عليها اسم "بيت الأزلية"، وقد عدَّ اليهود جثث الموتى أحد مصادر النجاسة لذا فقد سعوا لأن تكون مقابرهم خارج المدن التي يعيشون فيها ويزور اليهود المقابر في الأعياد ليقدموا الصلوات أمام قبور الموتى حتى يشفعوا لهم عند الله ويجب على المرء ألا يأكل أو يشرب بالقرب من الموتى أو يقرأ التوراة حتى لا يسبب الحرج لهم، ولابدَّ من دفن جميع اليهود في نفس المكان وبنفس الطريقة، والجدير بالذكر وجود أماكن خاصة في المدافن للعلماء والحاخامات والشخصيات البارزة، وعدم دفن المتخاصمين بجانب بعضهم البعض^(٤).

^١ - ماركوس: الشرق الأوسط عشية الحداثة ص ٢٦٩.

^٢ - عبده: اليهود السوريون...، ص ١٤.

^٣ - درادكة: يهود القدس...، ص ٢٥٠، ٢٤٩.

^٤ - السعدي: الأعياد والطقوس...، ص ٤٧، ٤٨.

ومعظم مقابر اليهود تقع خارج أسوار دمشق من الجهة الجنوبية، في منطقة الشاغور البراني، مقابل كنيسة القديس بولس من الجنوب، ومن عادة اليهود كتابة بعض المعلومات على صريح المتوفى، وكان ما يظهر من الصريح على وجه الأرض عبارة عن قطعة واحدة من الصخر المزّي الأبيض أو البازلتي الأسود على شكل متوازي مستطيلات مجوفة من أسفلها وبارزة قليلاً من أعلاها التي تقابل رأس المتوفى^(١).

كما وجدت مقابر لليهود في دمشق في باب شرقي على طريق مطار دمشق الدولي، وهي مقسمة فيما بينهم على طوائفهم الثلاثة التي كانت تضم في دمشق في العهد العثماني (الربانيون - القراؤون - السامرة)، فقد ذكرت الوثائق قيام اليهود بدمشق بشراء أراضي لجعلها مقابر لهم في أماكن متفرقة من أحياء دمشق، حيث تذكر إحدى الوثائق أنَّ يحيى بن إسحاق اليهودي اشترى بالوكالة عن يوسف بن الخواجة شحادة الصراف اليهودي جميع قطعة الأرض بأرض الشاغور البراني والتي يحدها من الغرب مقبرة اليهود ب ٣٠٠ قرش^(٢)، وفي العام ١٨٧٩م تمَّ استجار أرض في الشاغور البراني، وتعرف بمقبرة اليهود القرائين إجارة شرعية لدفن موتاهم^(٣)، وذكرت الوثائق شراء مقبرة لليهود في باب شرقي^(٤).

استخدم اليهود في دمشق اللغة العبرية الحديثة في الكتابة على قبور موتاهم، بالإضافة إلى استخدامهم التقويم العبري في تأريخ سنة الوفاة^(٥)، وشملت تلك الكتابات اسم المتوفى وبعض آيات من العهد القديم أو بعض عبارات التفجع، كما يقومون بحفر صورة تدل على حرفة المتوفى التي كان يمتثلها في الحياة الدنيا، كالمقص "للخياط" وهكذا، كما ينقش عليها نجمة داوود السداسية، أو صورة

^١ - نعيصة: يهود دمشق...، ص ٤١.

^٢ - سجلات المحكمة الشرعية بدمشق رقم ٤٨ مشوش، وثيقة ١٠٩، (ت ١٢٢٣هـ/ ١٨٠٨م).

^٣ - موقع هذه المقبرة كان في محيط دوار المطار إلى الغرب من مقابر المسيحيين، وهناك مقبرة أخرى لليهود الربانيين إلى الجنوب بألف متر من هذه المقبرة، ومساحة المقبرة الأولى حوالي ١٢٠٠٠ ألف متر مربع، وهذه الوثيقة تدل على وجود بعض اليهود القرائين في دمشق حتى سنة ١٨٧٨م وربما استؤجرت الأرض للإبقاء على القبور. العلبي: يهود الشام...، ص ٢٢٦، ٢٢٧.

^٤ - سجلات المحكمة الشرعية دمشق رقم ٨١٤، وثيقة ٨٥ (ت ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٦م).

^٥ - عبده: اليهود السوريون...، ص ١٣، ١٤.

الشمعدان المقدس ذي الفروع السبعة وإذا كان المتوفى امرأة فكان ينقش اسمها واسم زوجها دون ذكر كنيثها الأصلية أو اسم أبيها، وكان القبر اليهودي يتكون من الأسفل من اللحد مثل قبور المسلمين وبعض المسيحيين آنئذ، ويتم دعم جوانب اللحد بالحجارة، ويتم وضع المتوفى في اللحد على ظهره، رأسه باتجاه الشمال وقدماه باتجاه الجنوب، كما أقام اليهود في مقابرهم كنساً صغيرة لإقامة صلواتهم الجنائزية زينوها من الداخل ببعض الرسوم والشعارات الدينية^(١).

أما في حلب فقد كانت تقع مقابرهم في السليمانية بالقرب من حي التل، كما كانت لهم مقابر خارج باب النصر، وسمي باب النصر بباب اليهود لأنهم كانوا يخرجون من مناطق تجمعهم القريبة منه فيعبرونه إلى مقابرهم^(٢).

^١ - نعيصة،: يهود دمشق...، ص ٤٠-٤٢.

^٢ - الأسدي: موسوعة أحياء حلب...، ص ١١٣.

خامساً: لباس اليهود:

خضع أهل الذمة من مسيحيين ويهود في العهد العثماني لبعض القواعد المتعلقة بلباسهم، وذلك حرصاً من السلطنة العثمانية على التفريق بينهم وبين المسلمين، حيث كانوا حريصين على إصدار الأوامر التي تلزم اليهود بعدم ارتداء ملابس مشابهة لملابس المسلمين^(١)، فكانت القيود المفروضة على اللباس أكثر الميزات التي تميز بها اليهود عن المسلمين^(٢)، واليهود مثلهم مثل باقي الأديان لهم بعض الثياب المميزة التي ترتبط بشعائهم الدينية وأعيادهم ومناسباتهم فلباس الصلاة مثلاً له خصوصية واضحة لديهم فأتثناء الصلاة يرتدي اليهود شال الصلاة (الطيلسان) وهم في طريقهم إلى الكنيس وخاصة في صلاة يوم السبت، ويرتدي بعضهم شال الصلاة صغيراً تحت ملابسهم طيلة الوقت، أما القبة اليهودية فهي لا تفارق اليهود غنيهم و فقيرهم ومهما كانت مكانته الاجتماعية وعلى الأخص في المناسبات الدينية، وكان فرض القيود على الزي اليهودي ضماناً للأمن الداخلي وللحد من نشاطهم ولتضييق الخناق عليهم، ولم يكن هناك زي واحد يُفرض على اليهود في كل زمان ومكان بل وجدت أزياء مختلفة ومتعددة باختلاف وتعدد الأماكن والمراحل التاريخية والظروف الاجتماعية والسياسية فقد فرضت الدولة العثمانية على اليهود قبل حلول القرن التاسع عشر لبس أحذية بنفسجية اللون، وارتدى الحاخامات اليهود زي الشيوخ المؤلف من الجبة والقفطان والعنترية والعمامة، ورغم تعدد الألوان كانوا يفضلون اللونين الأصفر والزهري على سواهما وبدلاً من العمام كانوا يرتدون المناديل القطنية الانكليزية الصنع^(٣).

ومع بداية القرن التاسع عشر فُرض على اليهود لباس خاص بهم وقُدر اللون الأصفر في ثيابهم الخارجية وكان لباس الرأس أزرق وكان حجم "التریان" أصغر مما كان لدى المسيحيين، وكان اليهود يطيلون لحاهم ويرسلون سوافهم، وتميز يهود السامرة بارتداء لون خاص بهم يميزهم عن

^١ - ستانفورد: يهود الدولة العثمانية...، ص ١٤.

^٢ - الغزي: نهر الذهب، ج ٢، ص ١٦٢.

^٣ - العجلاني: يهود دمشق...، ص ٣٩٧.

اليهود (القرائين والربانين) فقد اختاروا اللون الأحمر في ثيابهم الخارجية، حتى إنّ نساءهم ارتدين الإزار الأحمر^(١).

وبقي ذلك الزي مفروضاً على اليهود إلى أن رفعت عنهم القيود في عهد إبراهيم باشا، ولكنها أُعيدت بعد عام ١٨٤٠م، وأزيلت بشكل تام في عهد السلطان عبد المجيد (١٨٣٩ - ١٨٧٦م) حيث أعلنت المساواة التامة في التنظيمات العثمانية، فبعد دخول الجيش المصري دمشق ١٨٣٠ نادى المصريون بالمساواة بين المسلمين وأهل الذمة (مسيحيين _ يهود _ سامرة) فأزيلت القيود المفروضة على اليهود في اللباس وسُمح لهم بارتداء الملابس الأوروبية، وبدأت الأحداث المستجدة على الساحة الدولية والعثمانية تؤثر على أزياء أبناء دمشق وحلب وشملت شكل اللباس والتخفيف من مظاهره القديمة، فارتدى اليهود القنبراز الطويل والشالة والزنار الحريري والطربوش، وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر اختفت الطيلسانات الطويلة وبدأت النساء بارتداء الأزياء الافرنجية والابتعاد عن ارتداء الأقمشة المحلية، كما سعى بعض الصيارفة والتجار اليهود للتخلص نهائياً من قيود الزي المفروضة على أبناء دينهم وذلك من خلال السعي للحصول على البراءات السلطانية ووضع أنفسهم تحت حماية القناصل الأجانب، فيعاملون معاملة رعايا الدولة العثمانية بموجبها ويتمكنون من ارتداء الأزياء الأوروبية كما فعل الصراف اليهودي روفائيل فارحي، فنجد أنّ لباس شيخ حارة اليهود في دمشق الخواجة فارحي الذي توفي سنة ١٨٤١م ذو مظهر أوروبي مستمد من الأزياء الأوروبية مكون من جبة جوخ- زنار حرير- فروة سمور- شروال جوخ- طاقية افرنجية، وبعد أن ألغيت القيود التي كانت مفروضة على اليهود في عهد السلطان عبد المجيد أصبح اللباس العادي وللجميع هو "القنبراز" يُدوّر فوقه زنار من الشال الأوروبي أو الهندي أو غيرهما، ويُلبس تحت القنبراز سروالاً من القماش الأبيض أو المصنوع باللون الأزرق الذي كان يأتي من اليمن، ويشد من وسط لابسه إلى قرب قدميه عند المسلمين أو إلى ركبتيه عند المسيحيين واليهود، أما لباس النساء اليهوديات فكان يلبسن الإزار عند خروجهنّ من بيوتهنّ، وكان الإزار أبيض اللون بالنسبة للعازبات، أما المتزوجات

^١ - الزيات، حبيب: مجلة المشرق، العدد ٣٦، ١٩٣٨، ص ٧٠.

فكان الإزار مصنوعاً من الشيت القطني وأحياناً يكون مخططاً على شكل مربعات الشطرنج^(١)، وارتدت النسوة اليهوديات الذهب والثياب المزركشة والحزم المنسوجة بخيوط الذهب أو بخيوط الفضة، وتختلف نسبة ذلك باختلاف المركز الاجتماعي دون أن ننسى قرط اليهوديات فالقرط من الحلبي الفاخرة التي تعتز اليهوديات بتزيين أنفسهن بها مثلما يفتخرن بامتلاك الأحجار الكريمة، كما كنّ يستعملن الحنة لصبغ الأيدي والشعر، إضافة للكحل للأعين والحاجبين^(٢)، وفي حلب ارتدت النساء اليهوديات الثياب السوداء الحريرية ذات القطعة الواحدة كزي المسلمات ولكنهنّ لم يكنّ يضعن الحجاب على وجوههنّ، وكنّ يخرجنّ إلى الشارع بغطاء بشكل كامل، بفارق واحد فقط هو أنّ يد واحدة كانت تبقى حرة وغير مغطاة للتفريق بين المسلمات واليهوديات^(٣).

ومع زيادة المؤثرات الأوروبية التي شملت اللباس ظهرت النسوة اليهوديات في الشوارع سافرات وأصبحت الأزياء الحديثة تلقى إعجاب النساء اليهوديات، واحترفت سيدات يهوديات الخياطة مثل ليندا كوهين، وسميرة أشكنازي، اللواتي اشتهرن بعد الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ - ١٩١٨م، وبرز خياطون يهود يفصلون اللباس على الطراز الأوروبي ومن أشهرهم عزرا شحبير وإياهو صباغ وإيلي جيجاتي، وقد برعوا في عملهم ثمّ سافروا إلى أمريكا، وبرعوا هناك^(٤).

^١ - نعيصة: مجتمع مدينة دمشق، ج، ص ٦٢٤-٦٣٣.

^٢ - بوطي، سعاد: طائفة اليهود ودورها في احتلال الجزائر، رسالة ماجستير غير منشورة، الجزائر، ٢٠١٣-٢٠١٤م، ص ٤٦.

^٣ - سورمايان: تاريخ حلب ...، ج ١، ص ٢٣١.

^٤ - حريثاني: تاريخ اليهود في حلب، ص ١٤٩.

سادساً: مكانة المرأة اليهودية في دمشق وحلب:

نظرت الشريعة اليهودية للمرأة نظرة احتقار وتصغير، باعتبارها غير طاهرة بفطرتها، وأنها مخلوق لا منزلة له، فُتحرم من الإرث بوجود الذكر، ولا تقبل في الوظائف الدينية، ولا تسمع لها شهادة، ولا يأخذ بنذرها ولا بقسمها، وتعليم المرأة لم يكن إجبارياً في الدين اليهودي لأنها تعتبر خفيفة العقل، وقد جاء على لسان الحاخام أليعازر: "كل من يعلم ابنته التوراة فكأنما يعلمها السخافة" فالمرأة عندهم صالحة للإنجاب والحفاظ على النسل فقط، والاهتمام بالواجبات المنزلية^(١).

وقد أكد آتينجر على تدني وضع المرأة في كل الطوائف اليهودية في الشرق سواء من الناحية الاقتصادية أو الاجتماعية، وعدم مشاركتها في الحياة الدينية في المجتمع، وأن نشاطها كان مقتصرًا على تدبير شؤون المنزل، ولم تحظ المرأة اليهودية بأي قدر من التعليم الرسمي، وكان وضعها مثل كل نساء الشرق اللواتي لم يعرفن القراءة والكتابة، باستثناء بعض الحالات النادرة^(٢).

وحتى النصف الأول من القرن التاسع عشر كانت المرأة اليهودية في دمشق وحلب حالها كحال باقي النساء المسلمات والمسيحيات، وضعت عليها قيود كثيرة من حيث عدم اشتراكها في الحياة العامة، والزواج المبكر وعدد الأولاد، ولم يسمح للمرأة اليهودية بتناول الطعام على نفس المائدة مع الرجال إلا في حالات معينة كالأعياد وعدم وجود غريباء فتتناول الطعام مع بقية أفراد العائلة سوية، وكانت المرأة اليهودية محجبة حتى نهايات القرن التاسع عشر^(٣).

إلا أن الوثائق أثبتت بروز دور للمرأة في دمشق وحلب بشكل عام، وفي دمشق بشكل خاص ولاسيما في القرن التاسع عشر، خاصة في المجالين الاجتماعي والاقتصادي فنجد أن المرأة اليهودية في دمشق وحلب تشتري وتبيع، وتستأجر وتؤجر، وتتملك البيوت والمحال والأراضي، وترث زوجها وأبيها وأخوتها، أي حاصلة على جميع حقوقها، فنقرأ في أحد الوثائق: اشترت المرأة كرز بنت

^١ - بوطي: طائفة اليهود ودورها في احتلال الجزائر، ص ٤٩.

^٢ - آتينجر: اليهود في البلدان الإسلامية....، ص ٦٧، ٦٨.

^٣ - حريثاني: تاريخ اليهود، ص ١١٧-١٢١.

الخواجة إبراهيم ولد الخواجة إسحاق هراري وهي من سكان محلة المصابين بحلب جميع الدار المقدرة بأربعة وعشرين سهماً^(١)، كما ورثت المرأة سارة بنت شعيا ولد سلمون الموساوي جميع الدار الكائنة بزقاق هارون بمحلة بحسيتا بحلب عن زوجها المتوفى^(٢)، وقامت رحمة بنت إسحاق هراري بتقسيم تركة أبيها على أخوتها الشركاء في الميراث معها، وهم شعيا وأبراهام وديبة، حيث كانت مسؤولة عن تقسيم الميراث بينهم، وقامت بإعطائهم كامل حصتهم من الميراث^(٣)، كما لجأت بعض النسوة اليهوديات إلى تعيين شخص يتوكل أمورهن في المحاكم، ولاسيما في أمور الدعاوى والمخاصمات واللافت للانتباه أنهن كنَّ يلجأن إلى شيوخ المسلمين وقضاتها في الأمور الخاصة بالمحاكم، فقد وكلت المرأة فريدة بنت موسى عدس من طائفة اليهود بحلب الشيخ عبد القادر أفندي في جميع الدعاوى والمخاصمات، وتقديم اللوائح والتبليغ والتبلغ لجميع الأوراق الرسمية^(٤)، ووكلت سمحا بنت أصلان بن موسى أصلان سلامة اليهودية الشيخ بكري بن الشيخ أحمد البغال بالدعوى التي رفعتها على أختها من أبيها روجينا لوضعها يدها على كامل تركة الوالد المتوفى^(٥)، كما لجأت المرأة سارة بنت الخواجة يوسف بن الخواجة روفائيل شاكى وهي من سكان طالع الفضة الوصية عن نفسها وعن أولادها إلى توكيل الشيخ عبد القادر بن عمر الحمصي في سائر الدعاوى والمخاصمات التي تصدر عنهم في المحكمة الشرعية^(٦)، ونقرأ في وثيقة أخرى توكيل المرأة زكية بنت يعقوب بن موسى أفندي عندس من سكان محلة السليمية بحلب كل من الشيخ عبد الرحمن ابن الشيخ حسين ابن الحاج عبد الرحمن وطاهر أفندي ابن الشيخ أحمد السواس من أهالي محلة القرابين بحلب في جميع الدعاوى والمخاصمات التي لها في أي محكمة شرعية أو نظامية وفي كل قول يصح به التوكيل شرعاً وكالة عامة مطلقة^(٧)، كما كان يتم تعيينها وصية على أولادها بعد وفاة زوجها فقد نصب

^١ - سجلات المحكمة الشرعية بحلب رقم ٥٧٣، ص ١٥، حجة ٢٥، (ت ١٢٩٠هـ / ١٨٧٤م).

^٢ - سجلات المحكمة الشرعية بحلب رقم ٣٢٦، ص ٦٦، صحيفة ١٣٠، (ت ١٣٠٠هـ / ١٨٨٣م).

^٣ - سجلات المحكمة الشرعية بدمشق رقم ٣٣٦، وثيقة ١٩، (ت ١٢٥١هـ / ١٨٣٥م).

^٤ - سجلات المحكمة الشرعية بحلب رقم ٥٧٣، وثيقة ٨٧، (ت ١٣٠٦هـ / ١٨٨٤م).

^٥ - سجلات المحكمة الشرعية بدمشق رقم ٩٤٥، وثيقة ١٧٧، (ت ١٣٠٨هـ / ١٨٩٠م).

^٦ - سجلات المحكمة الشرعية بدمشق رقم ٩٧٣، وثيقة ٢٩٢، (ت ١٣١١هـ / ١٨٩٣م).

^٧ - سجلات المحكمة الشرعية بحلب رقم ٥٧٣، وثيقة ٢٣٤، (ت ١٣٠٦هـ / ١٨٨٤م).

القاضي العام بدمشق الحرمة استير بنت الحاخام إبراهيم العينتابي وصية على أولادها من زوجها الراحل الخواجة حاييم وهم (شحادة وحزقييل ولولو وريتا وراحيل) القاصرين عن درجة البلوغ لتتعاطى مصالحهم الشرعية حسب الأصول^(١).

ويلاحظ في الثمانيات من القرن التاسع عشر حدوث انفتاح بالنسبة للمرأة اليهودية، فقد أكدت الوثائق قيام النساء اليهوديات بعمليات البيع والشراء بأنفسهن دون اللجوء إلى توكيل أحد عنهن، وهذا يؤكد أن المرأة اليهودية بدأت تخرج للعمل وممارسة حريتها وحقوقها خارج المنزل نتيجة لزيادة التدخل الأجنبي والمؤثرات الأوروبية، فقد اشترت هنولا بنت الخواجة داوود بن الخواجة سليمان بن سلامة المرأة اليهودية من الخواجة روفائيل بن داوود بن شعيا اليهودي، ومن الخواجة عبده بن إسحاق شعيا الهراري، ومن الحرمة استير وابنتها ليلى بنت ابراهيم بن الخواجة إسحاق الهراري جميع أرض المقسم المفروز من جميع الدار بمحلة اليهود قرب سوق الجمعة بزقاق الضيق والتي يحدها من الشرق دار ابراهيم بن يوسف فارحي مع جميع عمارة هذا المقسم بمبلغ قدره ١٧٠ ليرة ذهب ثمن الأرض و ٣٥٠ ليرة ذهب ثمن العمارة والمجموع ٥٢٠ ليرة ذهب^(٢)، ونقرأ في وثيقة أخرى: اشترت نمورة بنت شحادة بن موسى سميح اليهودية من مريم بنت سلمون بن يحيى الكمنجي الوصية على أولادها سليم وسارة وصلحة نصف الدار الكائنة بمحلة اليهود بتلة الحجارة بمبلغ (٧٦) ليرة ذهب مجيدي^(٣).

وقد بلغ من انفتاح المرأة اليهودية إلى درجة قيامها باستلام أمور البيع والشراء والتوكيل في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، فنقرأ عن توكيل الخواجة ناتان أفندي بن الخواجة نسيم بن الخواجة شمعايا أنجيلو من سكان محلة القيمرية بدمشق المرأة مزال بنت يوسف بن روفائيل إيليا من سكان المحلة المذكورة في تعاطي ما هو في ملكه الشرعي بموجب ورقتي الطابو في (١٠ و ١٤

^١ - سجلات المحكمة الشرعية بدمشق رقم ٣٢٧، ص ١٢٣، وثيقة ٣٨٢، (ت ١٢٤٩هـ / ١٨٣٣م).

^٢ - سجلات المحكمة الشرعية بدمشق رقم ٧٧٢، وثيقة ١١٢، (ت ١٣٠١هـ / ١٨٨٤م).

^٣ - سجلات المحكمة الشرعية بدمشق رقم ٨٥٤، وثيقة ١٠٤، (ت ١٣٠٤هـ / ١٨٨٧م).

حزيران ١٨٩٠) جميع بستان يونس في منطقة القدم الشريف، وجميع الجنية المعروفة بنصبه حمزة في المنطقة المذكورة وكالة عامة في البيع والفراغ والإيجار والاستئجار^(١).

وبعد الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨) أسفرت النساء اليهوديات عن وجوههن، وأخذت الأزياء الأوروبية تجذبهن، وأصبح لليهود منتديات اختلط فيها الرجال بالنساء، و انتشر بينهم الرقص والموسيقى الغربية^(٢).

خامساً: علاقة يهود دمشق وحلب بالطوائف الأخرى.

أولاً: علاقتهم مع المسلمين.

عاش يهود المشرق الاسلامي بما فيهم يهود دمشق وحلب تحت حكم الإسلام إلى جانب المسلمين والمسيحيين، وكما ذكر سابقاً أطلق عليهم اسم "أهل الذمة" وكان يحق لهم ممارسة شعائهم الدينية مقابل الجزية التي كانوا يدفعونها للسلطات التي كان عليها بالمقابل توفير الحماية لهم ولممتلكاتهم ورغم تمسك اليهود بشرائعهم ومعتقداتهم إلا أن حياتهم تأثرت بعادات وتقاليدهم وللممتلكات التي عايشوا فيها، حيث اتسمت العلاقات الاجتماعية بين المسلمين واليهود بشكل عام وواضح منذ الفتح الإسلامي وحتى القرن التاسع عشر بالود والتسامح ولم يعكرها أي شيء يذكر حتى بروز الحركة الصهيونية، وكان وضع يهود المشرق أفضل حالاً من وضع يهود أوروبا الذين تعرضوا لاضطهادات عدة ولأسباب سياسية واقتصادية ودينية فضلاً عن عزلتهم داخل "الجيتو" مقابل انفتاحهم الواضح في بلدان المشرق العربي، إلا أنه ونتيجة لما شهدته القرن التاسع عشر من زيادة في حجم التدخل الأجنبي في البلاد العربية، والحركات الإصلاحية التي شهدتها الدولة العثمانية التي بدأت منذ عهد السلطان محمود الثاني (١٨٠٨-١٨٣٩) سياسياً واجتماعياً نتج عنها قيام السلطات بمنح "أهل الذمة" حق المساواة مع بقية رعاياها مما نتج عنه حدوث تغيرات في العلاقات داخل المجتمع الذي عايشوا فيه، فضلاً عن أن حكم محمد علي بلاد الشام أدى إلى تغيير في العلاقات

^١ - سجلات المحكمة الشرعية بدمشق رقم ٨٩٣، وثيقة ٥٨، (ت ١٣٠٧هـ / ١٨٩٠م).

^٢ - سورمايان: تاريخ حلب...، ج ١، ص ٢٨١-٢٨٨.

بين المسلمين واليهود، فقد سعى محمد علي لمنح اليهود مكانة بارزة في كل الجوانب السياسية والاقتصادية والإدارية على حساب المكانة التي كان يتمتع بها المسلمون، مما أثر في طبيعة العلاقات الاجتماعية بين المسلمين واليهود وخاصة المتنفذين والتجار والأسر العريقة، فتعرضوا لنقمة المسلمين والمسيحيين معاً خلال عهد ابراهيم باشا، و ساءت العلاقات مع المسيحيين بشكل أكبر وأوضح^(١).

رغم أن الإسلام هو الذي حفظ لليهود حقوقهم في إطار "أهل الذمة"، إلا أنهم استخدموا نفوذهم السياسي، وقاموا بالاتصال بالأوروبيين، نتيجة لارتباط مصالحهم بالخارج، وفتحهم على الثقافات الغربية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، مما أدى إلى حدوث فجوة بينهم وبين المسلمين، وتجلت بشكل واضح بعد بروز الحركة الصهيونية التي أدت إلى تدهور العلاقات اليهودية العربية في كل أنحاء الدول العربية والإسلامية^(٢)، وبالرجوع إلى سجلات المحكمة الشرعية بدمشق وحلب ومن خلال الوثائق يلاحظ مدى التعايش السلمي الواضح بين اليهود والمسلمين، ومدى تأثير المجتمع الإسلامي بعبادات اليهود، حتى إن اليهود كانوا يلجؤون في حل خلافاتهم إلى قضاة المسلمين، وتوكيل المسلمين في عمليات البيع والشراء، كما قام المسلمون بتبادل عمليات البيع والشراء مع اليهود، فقد اشترى الشيخ علي الخطيب من الخواجة إلياهو بن الخواجة أصلاً طوطح من سكان حارة اليهود بدمشق النصف من خان المرادية^(٣)، واستأجر الخواجة خضر بن شحادة بن اسحاق البوشي من سكان حارة اليهود، ومن التبعية العثمانية من الشيخ عبد الرؤوف بن عبد الرزاق جميع الخان المعروف بخان شاهين بالشاغور^(٤).

أما اليهود في حلب فهم طائفة مميزة تأثرت بالمجتمع الإسلامي، حتى إن نساء اليهود كنّ يتحجبن أمام الغرباء، وكان يتم عزل الذكور عن الإناث مثل المسلمين، وكما سبق وذكرنا أن اليهود

^١ - غرابية: سوريا في القرن التاسع عشر، ص ١٢٥-١٢٦.

^٢ - آتينجر: اليهود في البلدان الإسلامية، ص ٤٥-٤٦.

^٣ - سجلات المحكمة الشرعية بدمشق رقم ١٠٦٣، وثيقة ١٠٩، (١٣١٤هـ / ١٨٩٧م).

^٤ - سجلات المحكمة الشرعية بدمشق رقم ١٠٦٣، وثيقة ١٨، (١٣١٣هـ / ١٨٩٦م).

سكنوا في مختلف أحياء دمشق وحلب إلى جانب بيوت المسلمين والمسيحيين مما خلق نوعاً من التقارب الاجتماعي، وأدى إلى تضيق الفروق الاجتماعية شيئاً فشيئاً، كما كان للعلاقات التجارية المتبادلة دورٌ كبيرٌ في نشوء علاقات اجتماعية وتقويتها، وقد كان حنين اليهود للعودة إلى دمشق وحلب كبيراً جداً، فقد عبر أدمون صفراً أغنى أغنياء العالم الحلبي عن شوقه وحنينه للعودة عندما قال لصديقه كالوس "خذ بعض ثروتي مقابل نفس أركيلة وحصن حمص في ضوء القمر في مقهى الجميلية"، ويذكر أنَّ علاقة اليهود بجيرانهم كانت حسنة في حلب فلم يحدث أن اعتدى أحدهم على أحد جيرانه، وكانوا يجتمعون في كل سبت حول جيرانهم من المسلمين والمسيحيين المجاورين لهم في الحي^(١).

ثانياً: علاقتهم مع المسيحيين:

شهد النصف الأول من القرن التاسع عشر علاقات حسنة نوعاً ما، بين اليهود في دمشق وحلب والمسيحيين فبالرجوع إلى سجلات المحكمة الشرعية بدمشق وحلب، نشهد الكثير من عمليات تبادل البيع والشراء بين هاتين الطائفتين، كما يلاحظ علاقات الجوار القوية بينها والتي قامت على أساس الاتفاق والود، فقد باع متري بن جبور المسيحي جميع أرضه لإسحاق بن شحادة شامية اليهودي^(٢)، وكون بيوتهم كانت متجاورة فلا بدَّ من وجود علاقات اجتماعية بينهما، وعملت كل طائفة على المحافظة على حرمة الطائفة الأخرى وصونها، فقد اتفق كل من الجارين اليهودي والمسيحي وهما يهودا ابن عبد الدجاجاتي اليهودي مع حنا بن يوسف برنيخ المسيحي على بناء جدار صغير يفصل بين الدور من جهة سطح بيت يهودا للتستر، وبالمقابل يتعهد حنا المذكور بعدم فتح "قمرية" في بيته تكشف دار اليهودي، ويقوم بتعلية فتحة شبابه بمقدار ثلث ذراع لئلا يكشف دار اليهودي^(٣)، كما قام اليهود باستئجار محلات داخل حارة المسيحيين فقد استأجر الخواجة سليمان بن خليفة رومانو الموساوي جميع المصبغة بحارة المسيحيين^(٤)، وتعامل يهود حلب مع المسيحيين أيضاً

^١ - حريثاني: تاريخ اليهود في حلب، ص ١٠٧.

^٢ - سجلات المحكمة الشرعية بدمشق: رقم ٢٥٠، وثيقة ٢٠٦، (ت ١٢١٧هـ / ١٨٠٢م).

^٣ - سجلات المحكمة الشرعية بدمشق: رقم ٣١٠، وثيقة ٤٥٩، (ت ١٢٣٤هـ / ١٨٢٧م).

^٤ - سجلات المحكمة الشرعية بدمشق: رقم ٥٩٢، وثيقة ٢٨٣، (ت ١٢٨٥هـ / ١٨٦٨م).

وباعوهم واشتروا منهم فقد اشترى عزرا بن رحمون بن موسى خفيف من أهالي محلة بحسيتا ومن الطائفة الموسوية جميع الدور والدكاكين من هيلانة بنت ديمتراكي المسيحية^(١)، وانحصرت خلافاتهم بشكل رئيسي بسبب الديون ولم نجد في الوثائق أي دعوى تتعدى حدود الدين أو الخلافات البسيطة كتوسيع دار على حساب الآخر وما شابه ذلك، فقد ادعى أحد اليهود وهو إسحاق بن عبودي اليهودي على خليل المسيحي بأن له في ذمته مبلغ (٤٦٨) قرشاً^(٢).

ومن الملاحظ أنّ غالبية هذه العلاقات سبقت العام ١٨٤٠م، وذلك لندرة الوثائق التي تذكر مثل هذه العلاقات في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وربما يعود السبب في ذلك كون النفوذ الاقتصادي والمالي لليهود بدأ بالتراجع خاصة في دمشق ولاسيما بعد افتتاح قناة السويس وهجرت العديد منهم إلى مصر، وقد شهدت أربعينيات القرن التاسع عشر تحولاً جذرياً في هذه العلاقات وتوتراً واضحاً بين هاتين الطائفتين، وربما يعود ذلك إلى التدخل الأوروبي المتزايد في شؤون هاتين الطائفتين بحجة حمايتهما، وبدأت الخلافات تظهر بشكل واضح وأخذت كل طائفة منها توجه الاتهامات للآخرى، وتعدى الأمر توجيه الاتهامات إلى الاعتداءات المباشرة بينهما خاصة بعد حادثة ١٨٤٠م، وشهد النصف الثاني من القرن التاسع عشر وقوع حادثة كل عام ضد اليهود، وكانت هذه الحوادث تقع عادة في المدن التي كان المسيحيون يشكلون فيها نسبة كبيرة^(٣).

ومن بين هذه الاعتداءات التي تذكر قيام اليهود بمهاجمة المسيحيين في دمشق يوم دخول الوالي العثماني الأول علي باشا إلى دمشق (١٨٤١م) وربطوا صليباً بذنوب كلب وجعلوه يطوف بالأحياء، واتهموا بحرق كنيسة للأرثوذكس في الزيداني، وقدم رؤساء الطوائف المسيحية شكوى مشتركة إلى قناصل الدول يرجون فيها تدخلهم لدى السلطات لوضع حد لاعتداءات اليهود، وانتشر بين المسيحيين والمسلمين شائعات بأن اليهود يستخدمون دم مسلم أو مسيحي في فطيرهم، فكان المسيحيون يقومون بالاعتداء على اليهود والتنكيل بهم، وعندما وقعت فتنة ١٨٦٠م بين المسيحيين

^١ - سجلات المحكمة الشرعية بحلب: رقم ٥٥٧ وثيقة ٢٧، (ت ١٢٨٠هـ / ١٨٦٤م).

^٢ - سجلات المحكمة الشرعية بدمشق: رقم ٣٠٠، وثيقة ٣٥٥، (ت ١٢٣٨هـ / ١٨٢٢م).

^٣ - آتينجر: اليهود في البلدان الإسلامية، ص ٢٠٩-٢١١.

والمسلمين اتهم المسيحيون خلالها اليهود بالتعاون مع المسلمين، وفي ظل هذا الوضع أُلقت السلطات آنذاك القبض على عدد كبير من يهود دمشق، وفر البعض خارج المدينة وقد تدخل يهود أوروبا آنذاك لمصلحة يهود دمشق، وكادت أن تحدث فتنة أخرى في حلب (١٨٦٣م) وحذرت الأمهات أولادهن من الخروج بمفردهم في وقت متأخر كي لا يأتيهم أبو العوافي (أبو العافية)^(١).

حادثة عام ١٨٤٠: (مقتل الأب توما الكبوشي وخادمه إبراهيم).

تعد حادثة دمشق التي وقعت عام ١٨٤٠م بمنزلة نقطة تحول مهمة في تاريخ اليهود في العصر الحديث، فقد وقعت هذه الحادثة في الفترة التي سعت فيها القوى العظمى إلى تكثيف وجودها في المنطقة، واستخدمت فيها كل الوسائل اليهودية والصهيونية للوقوف إلى جانب يهود الشرق، مما شكل نقطة تحول مهمة في تاريخ علاقات يهود الغرب بيهود الشرق^(٢)، فقد ضج بهذه الحادثة العالم أجمع، وخاصة المسيحي منه لما للراهب مكانة دينية واجتماعية وإنسانية، حيث أسهب الكتاب والصحفيون في الحديث عن هذا الموضوع.

ولد الأب توما الكبوشي الإيطالي في منطقة كالانجياتو، التابعة لسردينيا في إيطاليا عام ١٧٨٠م، ويذكر بأنه كان شديد التقوى والورع صالحاً، دخل رهبنة الكبوشية وله من العمر ثمانية عشر عاماً، وبعد تدرجه في مراتب الرهبنة أرسل إلى دمشق حيث بقي فيها حتى يوم ذبحه عام ١٨٤٠م، أي بعد أن قضى في عمل الخير وخدمة الناس ثلاثاً وثلاثين سنة، وقد اهتم الأب توما أثناء حياته بخدمة الناس ومعالجتهم دون تفريق بين المسلمين والمسيحيين واليهود، حتى اكتسب محبة واحترام الجميع في المدينة حتى إن أهالي دمشق كانوا يستدعونهم في أي وقت يحتاجونه فيه لمعالجة أبنائهم، أو تطعيمهم ضد الأمراض السارية، كما كان يقوم بإطعام الفقراء منهم^(٣) وفي مساء يوم الأربعاء الخامس عشر من شباط سنة ١٨٤٠م، دعي الأب توما إلى حارة اليهود لمعالجة أحد أولاده من مرض الجدري، فدعاه صديقه داوود هراري للدخول إلى منزله، ولبي الأب

^١ - غرابية: عبد الكريم، سوريا في القرن التاسع عشر، ص ١٢٥-١٢٦.

^٢ - آتينجر: اليهود في البلدان الإسلامية، ص ٢١٤.

^٣ - الزوبي: القتل عقيدة يهوه، ص ١٦٥.

الدعوة ودخل إلى المنزل فوجد فيه شقيق داوود واثنين من كبار اليهود في المدينة هما مايير ومراد فارحي حيث أدخله غرفة بعيدة عن الطريق العام، وعندما دخل هجموا عليه، ووضعوا منديلاً على فمه، وربطوا يديه ورجليه، ثم نقلوه إلى غرفة أبعد من الأولى عن الشارع، وأبقوه فيها حتى المساء وأحضروا وعاء وأواني زجاجية وسكيناً وكيساً من الخام القوي، وتمّ ذلك بحضور حاخام كنيسهم يعقوب أبو العافية و الحلاق سليمان هراري اليهودي، فطلبوا من سليمان أن يذبح الأب توما، إلا أنه شعر بالخوف وامتنع عن تنفيذ هذه الجريمة، فقام صديقه داوود هراري وأخذ السكين وقام بذبحه، ثم ارتجفت يده وتوقف عن إكمال الذبح، فجاء أخوه هارون وأكمل عنه عملية الذبح.

وحسب ما تذكر الروايات أنّ الحلاق سليمان كان ماسكاً بلحية الأب توما، والبقية يقومون بوضع الدم في زجاجة بيضاء خصصت لذلك، ليتمّ إرسالها فيما بعد إلى الحاخام باشي يعقوب العينتابي، وبقي كذلك حتى تمّ تصفية دمه عن آخره أي حوالي أربعين دقيقة، وبعد إنهاء عملية تصفية الدم حتى آخر قطرة قاموا بنزع ثيابه وأحرقوها ثمّ قاموا بتقطيع جسده إلى قطع صغيرة، ولم يكتفوا بذلك بل قاموا بطحن عظامه وألقوها في النهر المالح وهو أحد المصارف المجاورة لمنزل الحاخام موسى أبي العافية، معتقدين بأنهم قد دفنوا هذه الجريمة إلى الأبد^(١)، وبعد أن طال غياب الأب توما قلق عليه خادمه إبراهيم عمارة أو قمارة كما تسميه بعض المصادر، وبما أنه كان يعرف بأن الأب توما قد توجه إلى حارة اليهود، جاء إليها ليسأل عنه حيث شاهد داوود هراري فسأله عن صديقه الأب توما، فقال له :إنه في الداخل إن أردت رؤيته فتفضل، فدخل إبراهيم كما دخل معلمه بنية سليمة فانقض عليه الموجودون ووضعوا منديلاً في فمه، وربطوا يديه ورجليه وأمسكوه من ثيابه وأحضروا طشتاً نحاسياً، وأمسك أحدهم رأسه، وقام بذبحه، بينما أمسك الباقرن برجليه وجسده، لمنعه من الحركة، وقاموا بتصفية دمه كما فعلوا مع الأب توما واستغرق ذلك حوالي نصف ساعة، وعند ذبح الأب توما كان عدد القتلة ثمانية أشخاص من كبار اليهود هم (داوود وهارون هراري وإسحاق ويوسف هراري ويوسف لينادو والحاخام يعقوب أبو العافية والحاخام سالونيك وسليمان الحلاق) وزاد

^١ - نصر الله، يوسف حنا: الكنز المرصود في قواعد التلمود، دار القلم، دمشق، دار العلوم، بيروت، ط١، ١٩٨٧،

عددهم عند ذبح الخادم إبراهيم فكانوا إضافة إلى من سبق ذكرهم: مايير ومراد فارحي وهارون إسلامبولي وإسحاق بيجوتو وأصلان فارحي ويعقوب أبو العافية ويوسف مناحيم ومراد الفطحل وقد بلغ مجموعهم ستة عشر شخصاً.

ويقال بأن الأب توما الكبوشي كان مدعواً يوم الخميس على الغداء مع باقي الرهبان عند أحد الأطباء، وذهب الجميع إلى الدعوة عدا الأب توما، مما أثار قلق المدعويين لعدم تخلف الأب توما عن مواعيده قط، فذهبوا إلى الدير لتفقدته فلم يجده، فذهبوا إلى القنصلية الفرنسية لإخبار القنصل الفرنسي لكون الأب توما كان يحمل الجنسية الفرنسية (من تبعة دولة فرنسا) فبدأ القنصل الفرنسي التحقيق بالحادث، وأثناء التحقيقات أكد له معظم أهالي دمشق أن الأب توما دخل حارة اليهود مساء الأربعاء وتبعه خادمه ولم يخرج منها، عندها أمر القنصل أحد الحاضرين بدخول الدير ففتح الباب ودخل ليجد طعام الأب توما وخادمه على حاله لم يمساها فاستنتج القنصل أنهما كانا ينويان العودة إلى الدير إلا أن أماً ما قد حال دون عودتهما، عندئذ طلب القنصل الفرنسي من شريف باشا عامل دمشق لدى محمد علي باشا إجراء التحقيق بالأمر والبحث عن الأب توما وخادمه، فأمر شريف باشا بإجراء التحقيقات والذهاب إلى حارة اليهود وتفتيش منازلهم ومحلاتهم، إلا أنه لم يتم العثور على أي أثر حيث كان القتلة قد قاموا بإخفاء آثار الجريمة^(١)، غير أنه في أثناء ذلك حضر شخصان يونانيان يسمى أحدهما (ميخائيل كساب) والآخر (نماح كلام) وشهدا بأنهما قد مرا بحارة اليهود في يوم الأربعاء الذي غاب فيه الأب توما، وعند وصولهما إلى أول الحارة بالقرب من شارع (طالع القبة) شاهدا قبل غروب الشمس بربع ساعة خادم الأب توما قد دخل حارة اليهود مسرعاً، فسألاه إلى أين تذهب؟ فأجابهما بأنه يبحث عن سيده الذي دخل حارة اليهود ولم يرجع، وبعد سماع هذه الرواية تأكدت الشبهة في أن الأب توما وخادمه فقدوا في حارة اليهود، وبدأ التحقيق مع الحلاق اليهودي الذي اعترف بالجريمة^(٢)، وقد اعترف داوود وإسحاق هراري والحاخام يعقوب أبو العافية، بأنهم يستنزفون الدم البشري من أجل استخدامه في فطير عيد الفصح، ليوزع على

^١ - الزوبي: القتل عقيدة يهوه، ص ١٦٦ - ١٦٨.

^٢ - نصر الله: الكنز المرصود، ص ١١٧ - ١٢١.

الحاخامات والأتقياء من اليهود وذلك إتماماً لفروض طقوس الديانة اليهودية، حيث كان البعض منهم يرسلون دقيقاً إلى الحاخام يعقوب أبو العافية وهو يعجنه ويضع فيه الدم سراً دون أن يعلم أحد بالسر، ثم يرسل من الفطير إلى جميع الذين كانوا يرسلون له الدقيق في دمشق وبغداد، فاستدعي الحاخام موسى أبو العافية للتحقيق معه فطلب اعتناق الديانة الإسلامية خوفاً على نفسه من اليهود، وقد وافق الوالي على طلبه فاعترف موسى بذبح الأب توما وأقر بتفاصيل الجريمة، وعندما ذهب المحققون إلى مكان الجريمة وقاموا بمعاينة آثارها، وجدوا آثاراً من المادة الدماغية وبعض الدماء الممزوجة بالتراب نزفت من الجثة أثناء تقطيعها، وتم فتح المصرف الذي يستقبل النفايات على النهر المالح، فوجدت آثار دماء بشرية، وقطع من اللحم البشري، فاستخرجت عدة قطع من لحم الجثة ومن القلب والركبة والجمجمة وبعض العظام، وقطعاً من طاقية القسيس ووضعت جميعها في سلة ثم سلمت إلى قنصل فرنسا لإخضاعها لكشف طبي، وقد أثارت هذه الحادثة مخاوف يهود دمشق وسعوا إلى طي هذه القضية ببذل الغالي والرخيص لدفنها إلى الأبد ومنع ترجمة الكتب العبرية التي تظهر ما في نفوسهم من حقد وكراهية ضد بني البشر، وكما تظهر ما في كتبهم المقدسة من دعوة سوداء للقتل وسفك الدماء وإبادة البشر، كما سعوا للتوسط لدى السلطات العليا للإفراج عن مايير ومراد فارحي، واستبدال حكم الإعدام الصادر ضد المجرمين بحكم آخر أياً كان^(١).

واستطاع اليهود كسب فرنسا وبريطانيا إلى جانبهما للتدخل لدى محمد علي باشا والي مصر ليقف دون تنفيذ حكم الإعدام، فقام قنصل فرنسا في دمشق بالتدخل وطلب من الحاكم العام شريف باشا تحويل الحكم إلى إبراهيم باشا القائد العام للجيش المصرية في بلاد الشام للمصادقة على الحكم، ثم وصل إلى الاسكندرية محاميان يهوديان قام يهود أوروبا بإرسالهما لإنقاذ بني جنسهم من حبل المشنقة، وهما كريمو (الفرنسي الجنسية) وموسى مونتيوري (البريطاني الجنسية) وبعد وصولهما إلى مصر قاما برفع عريضة إلى الوالي محمد علي باشا مطالبين فيها مراجعة القضية وتخليص المتهمين من اليهود من حكم الإعدام، إلا أن محمد علي رفض هذا الالتماس وقرر منح

^١ - الزوي: القتل عقيدة يهوه، ص ١٧٢ - ١٧٣.

اليهود المتهمين عفواً مراعاةً للظروف الدولية الراهنة^(١)، ثم استبدل هذا الفرمان بفرمان يخلو من أية إشارة إلى تورط اليهود في هذه الجريمة حيث يقول فيه بشكل صريح وواضح "إني أخلي سبيل المحبوسين وأمر بإرجاع الهاربين إلى أوطانهم وأظن أن ذلك أفضل من إعادة النظر في القضية، لأن إعادة النظر يؤدي إلى استمرار الضغائن بين المسيحيين واليهود، وهذا أمر لا أريده... وسأخبر القناصل بإرادتي... وأرسل أوامري الليلة إلى شريف باشا... وإني أحب اليهود، لأنه شعب مطيع يحب العمل... وإني سأظهر لكم ما يفيد ميلي إليه بكل ممنونية"^(٢).

لقد خضع محمد علي باشا لضغوط سياسية ودولية هائلة، وخاصة من فرنسا صديقه وبريطانيا ذات النفوذ العالمي العظيم في ذلك الوقت، فضلاً عن إغرائه بالمال فقد تم دفع (٦٠) ألف كيس من الذهب و(٣٠٠) ألف ليرة ذهبية له، فكان هذا بالنسبة له أكثر فائدة من إعدام اليهود، وبعد عودة بلاد الشام للسيطرة العثمانية وخروج محمد علي باشا منها، أصدر السلطان العثماني مرسوماً بتاريخ (١٦/١١/١٨٤٠م) أعلن فيه براءة اليهود من التهمة المنسوبة إليهم، وحذر من التعدي على "الملة اليهودية" أو توجيه الافتراءات والاتهامات الباطلة ضد الرعايا اليهود، والجدير بالذكر هو سعي القوى العظمى للتدخل لصالح اليهود وتبرئتهم من هذه التهمة، حيث نشر خبر الحادثة في الصحف الصادرة باللغة الفرنسية في أزمير، وانتقل إلى الصحف الأوروبية، فهب المجتمع اليهودي في أوروبا لإدانة الحادثة وكان من بينهم مندوبوا عائلة روتشلد وأدولف كرميه وموسى مونتيغوري. وشكل اهتمام الغرب بيهود الشرق بعد هذه الحادثة نقطة تحول مهمة في تاريخ فكر يهود الشرق الذين تعرفوا منذ هذا الحين على الفكر الأوروبي الحديث، وعمل يهود الغرب على تقديم المساعدات الاقتصادية والسياسية لليهود الشرق والارتقاء بمستوى التعليم في مدارسهم وإنشاء المدارس الخيرية في أوساطهم^(٣).

^١ - عرابي: سفر التاريخ اليهودي، ص ٤٨٨.

^٢ - حنا نصرالله: الكنز المرصود...، ص ٢١٦ - ٢١٨.

^٣ - العجلاني: يهود دمشق الشام، ص ١٦٧ - ١٧٤.

تكمّن أهمية هذه الحادثة في النتائج التي أسفرت عنها فقد أدت إلى تقوية يهود أوروبا بيهود الشرق ورأت الشخصيات اليهودية المنفتحة أن يهود الشرق يعدون حقلاً خصباً يستطيعون أن ينشروا فيه كل ما يشاؤون من أفكار، وقام قادة الطوائف اليهودية بأوروبا بزيارة يهود الشرق وتسجيل انطباعاتهم عنهم وأعمالهم، وحرصوا في تقاريرهم على إبراز حقيقة أن يهود الشرق يعانون من تدهور الوضع الاقتصادي في بلدانهم وأنّ المسيحيين يحظون بمساعدة ضخمة من الهيئات الأوروبية^(١)، وقد أبرزت هذه الحادثة ما يلي:

١- النفوذ العالمي اليهودي في ذلك الوقت (وحتى الآن) والذي استطاع أن ينفذ اليهود العشرة من الموت رغم الأدلة البينة والاعترافات الكاملة، بنفس الوقت الذي كانت فيه الدعوات الصهيونية قد بدأت بالظهور والدعوة إلى عودة اليهود إلى "أرض الميعاد" وتهيئة الظروف الدولية لمساعدتهم في تحقيق عودتهم وإقامة دولتهم في فلسطين.

٢- الترابط القوي بين اليهود في جميع أركان الأرض، ووقوفهم إلى جانب بعضهم أثناء الأزمات والمساعدات المتبادلة بينهم، وكان كل ذلك مقدمة لنجاح الحركة الصهيونية في تهجير اليهود من البلاد العربية، واللافت هو قيام أعظم دولتين مسيحتين في أوروبا في ذلك الوقت وهما بريطانيا وفرنسا بالتدخل لإنقاذ اليهود المتهمين من حبل المشنقة رغم أن المجني عليه هو رجل دين مسيحي فرنسي، ومع هذا وقفت كل من فرنسا وبريطانيا معاً لإنقاذ مرتكبي الجريمة من حكم الإعدام شنقاً جزاءً على جريمتهم النكراء^(٢).

وقد أخذت جريمة مقتل البادري توما الكبوشي بعداً دولياً واضحاً وتدخلت سافراً من قبل الدول الأوروبية لصالح اليهود، وتضامناً بارزاً أثره بين يهود أوروبا ويهود البلاد العربية، وبالنظر إلى تفاصيل تلك الحادثة وطريقة القتل والمكانة الدينية والاجتماعية للأب توما، نجد أنه من الصعوبة بمكان التصديق بأنّ اليهود هدفوا من قتله الحصول على الدم البشري وإلا لكانوا استهدفوا أي شخص

^١ - عبده: اليهود السوريون، ص ٦٠.

^٢ - عرابي: سفر التاريخ اليهودي، ص ٤٩١-٤٩٢.

آخر غيره! كما أنَّ اشتراك كبار النفوذ الاقتصادي البارز من يهود دمشق وهم من كبار العائلات اليهودية في دمشق المتنفذة يثير الكثير من التساؤلات.

وتعود تهمة خلط الدم بالفطير إلى منتصف القرن الثاني عشر وذلك لأنَّ اليهود أخذوا يبرزون كقوة اقتصادية ومالية في أوروبا، ومن المعروف أنَّ التوراة تحظر على اليهودي أكل الدم وحتى في أثناء الموت يحظر عليهم ملامسة الجسد الميت لأنَّ الشريعة اليهودية تعتبر الدم نجساً ولا يجوز مسه، وإذا سلمنا بأنَّ تهمة الدم صحيحة، فلماذا لم تقع حوادث مشابهة في حلب مثلاً التي كانت تضم عدداً أكبر من يهود دمشق؟ ولماذا لم نسمع عن مثل هذه الحادثة في مصر والعراق أو حتى دول المغرب حيث عاش اليهود في هذه البلاد بنسبة أكبر، وتمتعوا بكافة حقوقهم الدينية وتغلغلوا في حياة البلاد؟ وحتى في فلسطين التي ضمت جالية يهودية كبيرة قياساً بباقي الدول العربية ولم تذكر المصادر التاريخية وقوع حوادث خطف للمسيحيين وقتلهم واستخدام دمهم في الفطير فيها؟؟!!

إنَّ هذه الحادثة عكست بشكل واضح الصراع والتنافس بين اليهود الذين تمتعوا بالحماية الانكليزية والكانتوليك الذين تمتعوا بالحماية الفرنسية، وقد أثبتت التحقيقات أن هذه التهمة كانت بتحريض من القنصل الفرنسي بدمشق، لذا فقد أصدر السلطان عبد المجيد فرماناً يصف فيه "تهمة الدم" بأنها غير صحيحة واعتبرها قذفاً في حق اليهود توجب إقامة الحد.

خامساً: مساكن اليهود في دمشق وحلب.

١ - الحارات والأزقة:

سمحت الدولة العثمانية لليهود بالإقامة والتجمع والسكن مع من يستطيعون أن يتفقوا معهم لغوياً وعقائدياً وفقاً لأعرافهم، كما سمحت للمهاجرين منهم بالسكن مع أهل طوائفهم ووسط تجمعاتهم، كما أتاحت لهم ممارسة كافة شعائهم الدينية ولم تتدخل في كنسهم وأماكن عبادتهم، بل تركت ذلك لآخائهم^(١).

وقد سكن اليهود في دمشق وحلب في أحياء خاصة بهم داخل أسوارها، حيث يقع الحي اليهودي في دمشق في الزاوية الجنوبية الشرقية منها، وكانت حارة اليهود مثلها مثل باقي حارات دمشق لها شيخها وامامها الذي هو صلة الوصل بينها وبين السلطة الحاكمة في المدينة، ففي العام ١٨٠٨م ذكر اسم خضر شمويل الذي كان شيخ حارة اليهود^(٢)، وذكرت الوثائق شيخ حارة اليهود في العام ١٨١٢م وهو فرح بن موسى من خلال عمليات البيع والشراء^(٣) وفي العام ١٨٤٢م عين يوسف بن أبراهام سعادة اليهودي شيخاً لحارة اليهود^(٤).

وأطلق على المكان الذي يسكنه اليهود اسم محلة أو حارة اليهود، وكانت المحلة أو الحارة تقسم بدورها إلى أزقة ودخلات، ومن تلك المحلات "محلة تحت القناطر بتلة الحرات تابع لمحلة الخراب" وكان لكل طائفة حي خاص بها فقد وجد حي لليهود السامرة بالقرب من برج الروس من الجهة الشمالية من دمشق، كما وجد درب في دمشق أطلق عليه اسم درب السامري، وكان يوجد فيه كنيس خاص بيهود السامرة حتى العام ١٨٣٢م حيث سكن محلهم المسيحيون الكاثوليك، كما وجدت حارة لليهود القرائين في محلة الزيتون قرب السور القديم من الجهة الشمالية، وكان لحارة اليهود كباقي حارات دمشق باب كبير يقفل عند الحاجة، ويحرسه أبناء الحي، وفيها طالع ماء خاص بها

^١ - ستانفورد: يهود الدولة العثمانية...، ص ١٥.

^٢ - عبده: اليهود السوريون...، ص ١٠.

^٣ - سجلات المحكمة الشرعية بدمشق، رقم ٢٧٤، ص ٣٨٨، وثيقة ٥٦٥، (ت ١٢٢٧هـ / ١٨١٢م).

^٤ - سجلات المحكمة الشرعية بدمشق رقم ٣٦٣، ص ١١٠، وثيقة ٢٤٣، (ت ١٢٥٧هـ / ١٨٤٢م).

لتوزيع المياه على مساكنها^(١)، وحرص اليهود على شراء بيوتهم ومحلاتهم في حاراتهم المذكورة أو ملاصقاً لها^(٢).

والجدير بالذكر: أنَّ أحياء اليهود في الشرق بشكل عام عكس الجيتو في أوروبا التي عاش اليهود فيها حياةً غامضةً ومتخفية، أدت إلى إثارة شكوك الأوروبيين حولهم، ونمت لديهم روح البغض والكرهية عند اليهود لغيرهم، فتحول الجيتو من سجن اختياري إلى سجن إجباري، أما في الشرق بشكل عام وفي دمشق وحلب بشكل خاص فقد كانت أحياء اليهود مفتوحة لهم ولغيرهم، رغم ميل اليهود إلى العزلة نتيجة لتشجيع تلمودهم على ذلك الذي كان يدفعهم إلى العزلة والتقارب الشديد فيما بينهم، والبعد عن الآخرين^(٣).

وأكد وصفي زكريا على تواجد اليهود في حارات خاصة بهم في دمشق بقوله: "وأغلب اليهود المتوطنون في دمشق هم من أعقاب اليهود الذين كانوا فيها منذ زمن بعيد، وهم من طائفة السفارديم ولهم عشر كُنُس" إلا أنه لم يذكر أسماء هذه الكُنُس أو حتى موقعها وقد أنشأت لهم جمعية "الاتحاد الاسرائيلي" (الايانيس) مدرسة خاصة بهم، وأنشأ لهم الثري اليهودي من أصل عراقي خضوري زلخة مدرسة تجهيزية كبيرة بلصق سور دمشق القديم بالقرب من باب كيسان، ويذكر أنَّ بيوت اليهود في حلب كثيرة وفي غاية الجمال ومزينة ومنها بيت لزبونا وفارحي، وإذا زار السائح بيوت اليهود يوم السبت يتمتع بمشاهدة سكانها اللطفاء وهم بأجمل ثيابهم وزينتهم^(٤).

وقد تركز اليهود في دمشق بشكل أساسي في محلة الخراب في حارة اليهود، وتركز قسم كبير منهم منذ القرن الثامن بشكل واضح في منطقة جوبر حيث كان يوجد كنيسهم الأثري، كما سكنوا في الغوطة بسبب عملهم بتجارة الأراضي والربا، حيث بلغ عدد يهود دمشق أوائل القرن التاسع عشر حتى العام ١٨٣٠ ما يقارب خمسة آلاف نسمة أما في النصف الثاني من هذا القرن فقد بلغ

^١ - نعيصة: يهود دمشق...، ص ١٢.

^٢ - زكريا، أحمد وصفي: دمشق في كتابات أحمد وصفي زكريا، دار قتيبة، دمشق، د.ط، د.ت، ص ٦٧-٦٩.

^٣ - شحاته ربه: اليهود في المغرب...، ص ٨٢.

^٤ - زكريا: دمشق في كتابات، ص ٦٧-٦٩.

عددهم ستة آلاف يهودياً، متوزعين في باب توما والصالحية وأراضي القينية والحمرية من باب سريجة وقرب الطريق السلطاني، وبيت سوى والزيداني وبيت سحم وأشرافية وادي بردى^(١).

ومن خلال الوثائق فقد توزع اليهود في مناطق مختلفة من أحياء دمشق وحلب مثل محلة الزط في دمشق؛ وفي سوق ساروجة والقيمرية، فقد اشترى سليمان طوطح من سكان محلة اليهود، من ظاهر عز الدين جميع الدار الكائنة ظاهر دمشق بمحلة سوق ساروجة بالشارع السلطاني تجاه حمام الخانجي^(٢)، كما اشترى فرح البوشي الموسوي من سكان محلة اليهود، من خالته زوجة والده (١٢ قيراطاً) من جميع البستان الكائن بأراضي الشاغور المعروف والمشهور ببستان القط بثمن مقداره (٢٠٠) ليرة عثمانية ذهبية^(٣)، وفي وثيقة أخرى نقرأ "اشترى موسى إيليا من طائفة اليهود، جميع الدار، أرضاً وبناءً باطن دمشق، محلة القيصرية، بزقاق آسية بثمن مقداره (٢٥٠٠٠) قرش مقبوضة^(٤)، وكثيرة هي الوثائق التي تؤكد تواجد اليهود في أماكن مختلفة من حارات دمشق من خلال عمليات البيع والشراء، وكان لهم أملاكهم وتواجدهم في قرية دمر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر فقد اشترى الخواجة عزرا بن يوسف هراري الموسوي وهو من رعايا دولة انكلترا جميع الدار بقرية دمر بأرض البيدر بمبلغ (١٠٠ ليرة ذهب مجيدي)^(٥)، كما اشترى إسحاق بن مايير بن إسحاق بن كوهين بن موسى من سكان محلة القيصرية بدمشق جميع الدار بزقاق الزنيقات بأول الزقاق الضيق رقم (١) التابع لمحلة القيصرية والتي يحدها من الجنوب دار الحاخام يوسف بن إبراهيم بن يوسف الرايق وشرقاً دار إبراهيم بن يوسف جاجاتي وشمالاً دار إبراهيم بن يوسف بن موسى فارحي وغرباً دار موسى بن شمعون موصيري بمبلغ قدره (١١٠) ليرة ذهب مجيدية^(٦)، وبذلك نجد

^١ - سركو، دمشق فترة السلطان، ص ٦٩، ٧٠. منطقة القينية والحمرية هي المنطقة المحيطة بجريدة الثورة ودوار كفرسوسة.

^٢ - سجلات المحكمة الشرعية دمشق رقم ٨٩٧، وثيقة ٥٣، (ت ١٣٠٦هـ/ ١٨٨٩م).

^٣ - سجلات المحكمة الشرعية دمشق رقم ١١٠٧، وثيقة ٢٠٥، (ت ١٣١٦هـ/ ١٨٩٩م).

^٤ - سجلات المحكمة الشرعية دمشق رقم ٩٧٢، وثيقة ١٥٨، (ت ١٣١١هـ/ ١٨٩٤م).

^٥ - سجلات المحكمة الشرعية دمشق رقم ٦٠٠، وثيقة ١٦٧، (ت ١٢٨٥هـ/ ١٨٦٩م).

^٦ - سجلات المحكمة الشرعية بدمشق رقم ٧٨٤، ص ١١٣، وثيقة ٩١، والسجل ٧٩٤، ص ٦٧، وثيقة ٧١،

(ت ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٦م).

أنهم سعوا إلى منازلهم بجانب بعضهم البعض وكان لهم بيوتهم في حي الشاغور، حيث نقرأ عن بيع بيت لليهود بزقاق الزط بحي الشاغور من قبل يحيى بن إسحاق سلمون الصيّاغ وأخته سارة ونزهة وقمر وراحيل ووالدتهم أستير، وقام بشرائه الشيخ خالد بن أحمد بن إسماعيل نصار^(١).

ورغم تواجد اليهود في أماكن مختلفة من أحياء دمشق إلا أنهم تركزوا بشكل رئيسي في حارتهم المذكورة بحي الأمين، والتي لا تزال معظم بيوتها قائمة إلى الآن فقد حرصوا على السكن والتجمع بجانب بعضهم البعض، حيث نقرأ الكثير من عمليات شراء واستئجار البيوت فيها فقد اشترى الشيخ نسيم بن الخواجة هارون عبادة جميع الدار بمحلة اليهود بحارة السقاليين بمبلغ (٣٠٠) ليرة ذهب مجيدي^(٢)، كما اشترى مراد بن حبوبا جميع الدار بمحلة اليهود التي يحدها من جهة الجنوب بستان القط شرق الالانيس في حارة اليهود^(٣)، وقام أبراهام بن هارون الحكيم الحلبي اليهودي باستئجار دار قرب جامع الأحمر بمحلة اليهود^(٤)، واشترى الخواجة إبراهيم بن الخواجة حزقيل بن الخواجة صالح ملتون من سكان محلة اليهود الوكيل عن والدته: الحرمة دينار بنت الحاخام عبدو بن الحاخام موسى حايم جميع الدار بمحلة اليهود بسوق الجمعة بزقاق الثلاث بثمان قدره ٤٠٠ ليرة ذهب فرنساوية^(٥).

أما أحياء اليهود في حلب فقد توزعت في أسوار المدينة بين حي بحسيتا والطريق التي تؤدي إلى قصر العدل، وبيوت اليهود قريبة من بعضها ومتجاورة، ويعيش بينهم بعض العائلات المسلمة، كما سكنوا في حي سوقة علي القريب من حي البندرة، حتى إنه سمّي بـ"سوقة اليهود" وسكنوا في أحياء غربي قلعة حلب، ووصلوا حتى موقع باب النصر الذي أطلق عليه اسم باب اليهود، واتجهوا إلى الغرب من الباب إلى ما يعرف اليوم ببندرة اليهود، وانتشر اليهود في محيط قلعة

^١ - سجلات المحكمة الشرعية بدمشق رقم ٨٥١، وثيقة ٢٠، (ت ١٣٠٤هـ / ١٨٨٦م).

^٢ - سجلات المحكمة الشرعية دمشق رقم ٦٥٩، ص ٢١، وثيقة ٢٠ (ت ١٢٩١هـ / ١٨٧٤م). والسجلات رقم ٨٤٤، و ٢٣، س ٨٥٤، و ١٣٦ (ت ١٣٠٤هـ / ١٨٨٧م).

^٣ - سجلات المحكمة الشرعية دمشق رقم ٢٧٤، ص ٣٧٨، وثيقة ٥٦٤ (ت ١٢٢٧هـ / ١٨١٢م).

^٤ - سجلات المحكمة الشرعية دمشق الحجة أ رقم ٥٣ (ت ١٢٢٨هـ / ١٨١٣م).

^٥ - سجلات المحكمة الشرعية دمشق رقم ٧٨٠، وثيقة ١٩٥ (ت ١٣٠٢هـ / ١٨٨٥م).

حلب كغيرهم من السكان وكان لهم معبد هناك بجانب خندق القلعة من جهته الغربية، أما اليهود الذين هاجروا من إسبانيا وإيطاليا إلى حلب فقد سكنوا في الخانات إلى جانب الجاليات الأجنبية، وسكن عدد قليل منهم في حي بحسيتا في بيوت كبيرة، وعندما بُني حي الجميلية ترك سكان الخانات أماكن سكنهم، كما ترك أغنياء الطائفة أحياء المدينة القديمة، وهاجروا إلى الأحياء الحديثة (الجميلية والاسماعيلية)^(١)، فعندما ضاقت إسبانيا وإيطاليا ذراعاً باليهود واضطروا للهجرة من البلاد الأوروبية استقبلت دمشق وحلب هؤلاء اليهود المهجرين، وكانت ملجأً آمناً لهم، واستوعبتهم في أحضانها ليثبت العرب والمسلمون تحضرهم ورفيقهم رغم أن هذه الإنسانية قوبلت من اليهود الصهاينة بالغدر والطعن عندما قاموا بتهجير السكان الأصليين من عرب ومسلمين من فلسطين فيما بعد.

ويؤكد قلعة جي نقلاً عن الأسدي على وجود حارة لليهود في حلب ممتدة من حي بحسيتا فالقلعة، فالبندرة، وبينهما يقع سوق الخميس الذي يشترون منه ما يحتاجونه فيطبخون الجمعة ثم يسبتون، وفي محلة اليهود عدة كُنُس منها كنيس مدراش عبود، وكنيس مدراش الحسيدين، وكنيس حاخام موشي دباح^(٢).

وأكدت سجلات المحكمة الشرعية بحلب على أن يهود حلب تركزوا بشكل رئيسي في أحياء معينة، ورغم توزعهم في أغلب أحياء حلب إلا أنهم وجدوا بشكل واضح في حي بحسيتا والبندرة من خلال عمليات بيع وشراء البيوت والدكاكين فنقرأ في الوثيقة التالية: باع الرجل عزرا بن رحمو بن موسى خفيف من أهالي محلة بحسيتا جميع الدار والدكاكين الثلاثة في المحلة المذكورة بيع فراغ بمبلغ قدره ١٢٥٠٠ قرش صاغ^(٣)، وقد وضعت المرأة استير بنت دانييل ولد روفائيل بيجوتو يدها على جميع الدار الكائنة في خان الجمرک العتيق الكائن بسوق العفص بحلب والمشملة على خمسة عشرة غرف، ومطبخ وثلاث مغارات، ومنافع وحقوق شرعية^(٤)، كما ذكرت الكثير من البيوت في

^١ - حريثاني، تاريخ اليهود في حلب، ص ١٠٠-١٠٦.

^٢ - قلعة جي، عبد الفتاح رواس: حلب القديمة والحديثة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٩٨٩م، ص ٣٢٤. وكذلك الأسدي: موسوعة أحياء حلب ...، ص ٣٧١.

^٣ - سجلات المحكمة الشرعية بحلب رقم ٥٥٧، ص ١٩، وثيقة ٢٧، (ت ١٣١٦-١٣٢٠هـ / ١٨٩٨-١٩٠٣م).

^٤ - سجلات المحكمة الشرعية بحلب رقم ٣٤٠، ص ٧١، وثيقة ١٠ (ت ١٣٠٢هـ / ١٨٨٤م).

أحياء متفرقة من حلب من خلال عمليات حصر الإرث فنقرأ عن دار كائنة بمحلة البندرة من خلال تعيين الحاخام إسحاق ولد الحاخام حلفور ولد الحاخام مردخاي وصياً شرعياً على الصغيرة نزه بنت يوسف ولد موسى شبتاي للنظر في أمورها حتى بلوغها سن الرشد^(١)، كما ورثت المرأة أستير بنت دانييل عن أبيها الدار الكائنة في خان القصابية بحلب وعدداً من المحلات^(٢).

كما سكن يهود حلب بمحلة المصابين، حيث باع الياهو ولد يوسف ولد مردخاي اليهودي جميع الدار الكائنة بمحلة المصابين بحلب والمشملة على بيت واحد ومطبخ ومغارة، وحوش سماوي وجذماء ومنافع وحقوق شرعية بثمن قدره (٣٠٠٠) قرش جديدة سلطانية^(٣)، كما اشترت المرأة ريتا بنت الخواجة إبراهيم ولد الخواجة إسحاق هراي من سكان محلة المصابين ثمانية أسهم من الدار المقدرة بأربعة وعشرين سهماً الكائنة بمحلة المصابين^(٤)، وقام كل من الأخوين ينطوب ويوسف أولاد نسيم بن يوسف من أهالي محلة بحسيتا بشراء غرفتين متلاصقتين بخان القصابية بمدينة حلب^(٥)، ووكل السيد عزره ولد بوخر هليل معاليقي من أهالي محلة بحسيتا بحلب الحاخام حلفون مره خاي من أهالي محلة البندرة بحلب ببيع جميع الدار الكائنة بزقاق ساسون بمحلة بحسيتا المقدرة بأربعة وعشرين سهماً^(٦)، وذكرت دار لليهود بمحلة جب أسد الله من خلال عملية حصر إرث^(٧).

ووجد اليهود بمحلة دباعة العتيق بحلب، فقد ورثت المرأة أستير وبناتها الثلاث مريم وراحيل وريتا بنات رفوص ولد داوود ولد أصلان جميع الدار المقدرة بأربعة وعشرين سهماً الكائنة بدباعة العتيق بحلب المشتملة على مساكن ومنافع وحقوق شرعية^(٨).

^١ - سجلات المحكمة الشرعية بحلب رقم ٣١٤، ص ١٥، وثيقة ٣٦، (ت ١٣٠٠هـ / ١٨٨٣م)

^٢ - سجلات المحكمة الشرعية بحلب رقم ٣٤٠، وثيقة ٩، (ت ١٣٠٢هـ / ١٨٨٤م).

^٣ - سجلات المحكمة الشرعية بحلب رقم ٢٥٧، وثيقة ٥٧، (ت ١٢٦٠هـ / ١٨٤٤م).

^٤ - سجلات المحكمة الشرعية بحلب رقم ٣٦٥، وثيقة ٩٣، (ت ١٣٠٤هـ / ١٨٨٧م)

^٥ - سجلات المحكمة الشرعية بحلب رقم ٣٦٥، وثيقة ٦٤، (ت ١٣٠٤هـ / ١٨٨٧م)

^٦ - سجلات المحكمة الشرعية بحلب رقم ٣٧٠، وثيقة ٦٠، (ت ١٣١١هـ / ١٨٩٣م)

^٧ - سجلات المحكمة الشرعية بحلب رقم ٢٦٨، وثيقة ٣٠١، (ت ١٢٧٠هـ / ١٨٥٤م)

^٨ - سجلات المحكمة الشرعية بحلب رقم ٤٩١، صحيفة ٤١، (ت ١٣٢٠هـ / ١٩٠٢م)

ويمكن القول إنّ اليهود في دمشق وحلب توزعوا في مختلف أحيائها، وهذا يؤكد تحضر المجتمع الدمشقي والحلي، وقبوله لكل الأديان، والسماح لاتباع الديانات الأخرى بالتملك ومشاركتهم بحياتهم الاجتماعية، وهذا أسلوب حضاري اتصف به أهل دمشق وحلب عبر العصور.

٢- بيوتهم وقصورهم:

بنى اليهود بيوتهم وقصورهم المختلفة في أحياء بدمشق وحلب وكان منها البيوت العادية ومنها البيوت الفخمة، لم يعثر في المصادر على توثيق لبيوت اليهود في دمشق وحلب وما تحويه، إلا أنه لا يوجد اختلاف كبير بين بيوت اليهود عن بيوت المسلمين والمسيحيين، وبشكل عام فقد تميزت البيوت الدمشقية في القرن التاسع عشر ولا سيما النصف الثاني منه بأنها مقسمة إلى قسمين: قسم للضيوف والمعيشة، وقسم للنمالة، وظهرت البيوت الكبيرة لليهود (القصور) ذات الطراز الدمشقي في الجزء الغربي من حارة اليهود، مثل بيت فارحي (قصر فارحي) في حارة اليهود بحي الأمين الذي لا زال قائماً إلى الآن، وقصر مراد فارحي أشبه بقرية صغيرة تتسع ل ٦٠-٧٠ شخصاً، ويحتوي على مكتبة غنية بالكتب العبرية وخاصة الدينية منها، ويوجد فيه نسخة من الكتاب المقدس تعود إلى ما قبل ٤٥٠ عاماً، وقد انعكست ثروة هذه العائلة في البيوت الفاخرة التي تركوها وما تحتويه من أثاث فاخر وجمال روعتها من الداخل، فقد احتوت بيوتهم الأحجار الكريمة والمرايا المذهبة ولوحات الآرابيسك ذات الأشكال الهندسية والنباتية المأخوذة من الفن الإسلامي وألوان الفسيفساء الرائعة والمناديل المطرزة لمسح الفم، والنكهة العالية للمشروبات التي تتسجم مع فخامة منازلهم^(١)

وقد تميز القرن التاسع عشر بتشديد العديد من البيوت الفخمة الجديدة من قبل أثرياء اليهود، حيث شهد هذا القرن نهضة عمرانية لبيوت اليهود ولاسيما في دمشق فكان من أهمها:

بيت يوسف أفندي عنبر في حي المتكنة؛ والذي لم يكن له مثيل في دمشق ولايزال قائماً إلى الآن، وأصبح يعرف بمكتب عنبر، وقد تحول إلى مدرسة ثانوية تخرج منها علماء سوريا، وقد

¹ - Thomas philipp, The Farhi Family, p. 40- 43.

أصبح تابعاً لمحافظة دمشق، وقد أنفق عليه أثناء بنائه أعلى مبلغ يصرف لبناء بيت في دمشق يقدر ب(٤٣ ألف) ليرة^(١) وقد ذكر القساطلي أنَّ "هذه الدار ليس لها نظير في أوروبا نفسها، لأنه فضلاً عن اتساعها العظيم، وانتظام هندستها وسعة بركها وكثرة مياهها، تحتوي من الرخام الملون المنقوش ما لا مثيل له حتى إنه قيل في هذه الدار هي "بعلبك في دمشق"^(٢).

حاول الخوجة يوسف عنبر بناء دار لم يبن مثلاً في دمشق والعالم، ويقال إنَّ الدولة العثمانية قامت بمصادرته لدين لها على الخوجة عنبر، وأكملت بناءه فجاءت آية من آيات البناء الدمشقي الأصيل حتى إنَّ الناس كانوا يزورونه لرؤية روعة هندسته وجماله^(٣).

وقد بدء ببناء هذه الدار سنة ١٨٦٧م وعمل بها العمال لسنوات عدة، وتوقف العمل فيها لنفاذ الميزانية، وآلت ملكية هذه الدار إلى البنك العثماني، وسمي "مكتب إعدادية ملكية" أي المدرسة العليا الملكية، فكان بذلك أقدم مدرسة في سوريا (ثانوية وإعدادية) وإلى الآن توجد لوحة رخامية أمام الباب الخارجي له حفر عليها: (مكتب إعدادية ملكية)، ووجدت في سجلات المحكمة الشرعية بدمشق وثيقة تتحدث عن شراء مكتب عنبر من قبل السلطات العثمانية، ولأهمية هذه الوثيقة سنوردها بأكملها. فنقرأ في نص الوثيقة ما يلي: اشترى صاحب العزة مصطفى كامل بيك بن عثمان بيك الأستانة لي ناظر الإصلاح خانة (السجن) بدمشق، وصاحب العزة: محمود بيك بن أحمد باشا بوظو: رئيس دائرة البلدية الأولى بدمشق. وصاحب العزة محمود بيك بن عمر آغا العابد: رئيس دائرة البلدية الثانية بدمشق، وصاحب العزة محمد كمال أفندي بن علي أفندي القدسي: رئيس البلدية الثالثة بدمشق. وصاحب العزة جبران أفندي بن الخوجة يوسف الحمصي: رئيس دائرة البلدية الرابعة بدمشق، من مال صندوق الإصلاح خانة وبلديات دمشق الأربع. -من المسيو: بنيامين بن دانييل بن بنيامين الكستريان، مدير البنك العثماني في بيروت الوكيل عن مدير البنك العثماني الرئيسي في

^١ - عبده: اليهود السوريون...، ص ١١.

^٢ - القساطلي: الروضة الغناء...، ص ٩٦، ٩٧. وكذلك سركو: دمشق فترة السلطان...، ص ٣٤٥.

^٣ - العلي، أكرم: خطط دمشق "دراسة تاريخية شاملة على مدى ألف عام من سنة ٤٠٠هـ حتى سنة ١٤٠٠هـ، دمشق، دار الطباع، ١، ١٩٨٩م، ص ٢٧٤-٢٧٦.

لندن: كلودفيس أوسكن. ماهو في تصرف مدير البنك العثماني بالطريق الشرعي المعتمد بموجب سند الطابو وذلك أولاً: جميع عمارة وبناء الدار باطن دمشق بمحلة مأذنة الشحم، قرب حمام عيسى القاري المعروفة قديماً بدار: رستم أفندي، قهوجي السلطان، والآن تعرف ب"دار عنبر" المشتملة عمارتها كاملة على براني وجواني، بكل منها ساحة سماوية ومساكن سفلية وعلوية وحقوق ومنافع شرعية، ثانياً: جميع الأتفاض المشتملة على أحجار متنوعة ورخام منوع، ثالثاً: جميع الدور الثلاث الملاصقة للدار المذكورة وهي: دار الوزان، ودار عساف أغا- ودار محمد أبو صالح الخضري، وفي كل دارٍ من هذه الدور الثلاث ساحة سماوية ومساكن ومنافع شرعية، بيعاً شرعياً قطعياً بثمن قدره ٢٥٠٠ ليرة ذهب إنكليزية، وقد حرر هذا العقد في (الطابو) بدمشق الشام^(١).

وصف بيت عنبر: يتألف قصر عنبر من أربعة أقسام، كل قسم فيه باحة سماوية "أرض ديار" وتتوسطه بركة ماء، وتحيط بالبركة الأشجار المثمرة والحمضيات والورود والأزهار والياسمين الدمشقي، ويحوي البناء على ما يجاوز الأربعين غرفة وقاعة موزعة على طابقين، وهذا القصر شبيه جداً بقصر العظم من حيث تقسيم بنائه فقد قسم القصر إلى أربعة أقسام: القسم الأول: جناح السلامك: وهو الجزء الغربي من الدار وخصص للضيوف، ويتألف من فسحة سماوية بوسطها بحرة، وعلى جانبيه الشمالي والشرقي غرف أرضية وقاعات تعلوها غرف علوية، أما القسم الثاني: جناح الحرملك: يتصل بجناح السلامك من جهة الغرب، ويتميز عنه بوجود إيوان في الجانب الجنوبي منه وعلى جانبيه قاعتان، مع وجود قاعة واسعة في الشمال، القسم الثالث: جناح الخدمك: يقع شرقي جناح الحرملك، ويتألف من فسحة صغيرة فيها بحرة صغيرة، وإيوان صغير في الجانب الجنوبي منه مع الحمام، إضافة إلى وجود العديد من الغرف التي كانت تستعمل كمطبخ في كلٍّ من الجوانب الشمالية والغربية والشرقية، وتميز هذا البناء بكونه يجمع بين الطرازين الأوروبي والعربي من خلال الزينة المفرطة فيه والنقوش العربية المتعددة الأنواع والأشكال، وقد وصفه أحد المؤرخين بقوله "يعتبر هذا القصر مثلاً للبيت الدمشقي الجميل ذي الشاعرية بباحاته الداخلية، وبألوانه التي تشيع البهجة والراحة في النفس" ويعبر بطرازه المعماري عن روح العصر وعن انفتاح دمشق على المؤثرات الفنية

^١ - سجلات المحكمة الشرعية بدمشق رقم ٧٧٢، ص ٥٨، وثيقة ٩٢ (ت ١٣٠١هـ / ١٨٨٤م).

الخارجية، وهو بالوقت نفسه نموذج من نماذج فن العمارة الدمشقية، ضمن قالب لا يتجاهل خصوصية دمشق المعمارية والاجتماعية^(١)، وقد افتتح المكتب رسمياً سنة ١٨٨٩م ليكون أول مدرسة عالية حديثة في دمشق، وكانت مدة الدراسة فيه سبع سنوات، يُمنح الطالب بعدها الشهادة الإعدادية التي تعادل الثانوية العامة اليوم، وكان في المكتب قسم نهاري مجاني، وآخر ليلي، يدفع فيه الطالب ثمن الطعام والإقامة، وكان أغلبية طلاب هذا القسم من أهالي المناطق المحيطة بدمشق، وكانت لغة التدريس فيه هي اللغة العثمانية منذ تأسيسه، وبعد الإطاحة بالسلطان عبد الحميد سُمح بجعل اللغة العربية لغة ثانية، وقد تخرج من هذا المكتب في السنوات التي فتح فيها أبوابه نخبة متميزة من الشباب العرب الذين أدوا دوراً كبيراً في الحياة السياسية والأدبية في سوريا ولبنان خلال الانتداب الفرنسي في عصر الاستقلال^(٢).

ومن البيوت التي اشتهرت في القرن التاسع عشر ومازال بعضها قائماً إلى اليوم: دار شمعايا أفندي في حي الأمين الذي كان واحداً من أثرياء دمشق، ويتميز دار شمعايا بالزخارف اليهودية والآثار الدينية الموجودة فيه. ودار الخواجة إسلامبولي، ودار الخواجة لزبونا في نفس الحي وهذه الدار تبين مدى التأثير الأوروبي من حيث الإسراف في استعمال الرخام الإيطالي، وقد أسست هذه البيوت بين عامي ١٨٦٥-١٨٧٢^(٣)، ووصفت لنا الوثائق إحدى الدور اليهودية الكبرى في دمشق من خلال عمليات البيع والشراء فقد اشترى الخواجة نسيم بن الخواجة هارون الموكل عن زوجته راحيل بنت الخواجة الياهو لينادو جميع الدار المقدرة ب (٢٤) قيراطاً بمحلة الخراب قرب حارة اليهود حيث تشتمل هذه الدار على ساحة سماوية فيها بركة ماء ملاصقة لدار الخواجة داوود هراري، ومساكن سفلية وعلوية ومنافع شرعية بمبلغ قدره (١٠٥٧ ليرة ذهب فرنساوية)^(٤).

^١ - العجلاني: يهود دمشق...، ص ١١١-١١٣.

^٢ - الحكيم، دعد: أوراق ومذكرات فخري البارودي ١٨٨٧-١٩٦٦، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٩، ص ٤٣-٤٥.

^٣ - الشهابي، قتيبة: دمشق تاريخ وصور، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨٦، ص ٣٤٠، ٣٣٩.

^٤ - سجلات المحكمة الشرعية بدمشق رقم ٦٤٥، ص ١٦٦، وثيقة ١١٥، (ت ١٢٩١هـ / ١٨٧٤م).

أما بيوت اليهود في حلب فيؤكد سورمايان مطران الأرمن السابق في حلب على أنها بسيطة جداً، ومبنية على الطراز الشرقي ومزينة بالفسيفساء، وأرضها مبلطة بالمرمر الملون، وهي مرتبة ونظيفة من الداخل^(١). ولم نعثر في سجلات حلب على وجود قصور لليهود حلب، إنما تركت الوثائق وصفاً لبعض هذه البيوت، فجميعها تبدو كبيرة ومؤلفة من طابقين وتحتوي على فسحة سماوية (أرض ديار)، وبحرة وغرف كثيرة، فضلاً عن مساحتها الموحدة، فغالبية البيوت الكبيرة مقرة بأربعة وعشرين سهماً، فنقرأ في إحدى الوثائق عن وصف لدار من خلال عملية بيع فقد باع شمويل ولد موسى قوسيه ولد إسحاق اليهودي جميع الدار المقدره بأربعة وعشرين قيراطاً الكائنة بمحلة بحسيتا بحلب، والمشملة بتمامها وكمالها على قاعة بداخلها بستان أو جنينة، وبأسفلها مغارتان وغرف كبيرة ومطبخ وحوش سماوي وجب ما (قد يكون بئر ماء) ومنافع وبركة وحقوق شرعية، والتي يحدها جنوباً دار مايير كباي بمبلغ قدره خمسة آلاف قرش سلطانية جديدة^(٢)، كما باع يعقوب ولد حلفور ولد ينطوب أكديش عينتابي اليهودي النصف المشاع كاملاً من جميع الدار الكائنة بزقاق الجاويش بمحلة بحسيتا بحلب، والتي تشتمل على باحة سماوية فسيحة ومنافع وحقوق شرعية بمبلغ قدره خمسة آلاف قرش مجيدي سلطاني^(٣). وذكرت إحدى الوثائق داراً بزقاق القلم بمحلة بحسيتا تشتمل على بيتين كبيرين بأسفلها قبو صغير ومطبخ وحوش سماوي وبئر ماء ومنافع شرعية^(٤).

كثيرة هي الوثائق التي تصف بيوت اليهود في حلب، ولكننا لم نعثر على قصر خاص بأحد أثرياء يهود حلب كما وجد لدى يهود دمشق قد يكون السبب أن أثرياء حلب وضيوفهم كانوا ينزلون في الخانات الكبيرة بحلب بعكس يهود دمشق والذين أرادوا بناء قصور لإظهار مقدرتهم المالية وربما لاستقبال ضيوف من مستوى رفيع.

^١ - سورمايان: تاريخ حلب...، ج ١، ص ٢١٨-٢٢٢.

^٢ - سجلات المحكمة الشرعية بحلب رقم ٢٦٩، وثيقة ٢٨٨، (ت ١٢٧٠-١٢٧١هـ / ١٨٥٤ - ١٨٥٥م).

^٣ - سجلات المحكمة الشرعية بحلب رقم ٣١٩، وثيقة ١٢٩، (ت ١٢٦١هـ / ١٨٤٥م).

^٤ - سجل مكرر وثيقة ١١١.

خاتمة الفصل الثاني:

يلاحظ مما تقدم مدى الانسجام والتناغم اللذين سادا في مجتمع مدينتي دمشق وحلب عاش اليهود فيهما في جو يسوده التسامح وعلاقات الود بين الجميع من (مسلمين - مسيحيين - يهود) مما أسهم في اندماج اليهود في هذين المجتمعين فاكثبوا الكثير من التقاليد الاجتماعية ولا سيما في أمور الزواج، وهذا ما ميز المجتمع اليهودي في دمشق وحلب عن باقي المناطق الأخرى، حيث إنه لم يكن مجتمعاً مغلقاً على نفسه كما هو شائع عن المجتمعات اليهودية، وإنما اختلطوا بسكان البلاد وسكنوا إلى جوارهم، وفي أحياء المسيحيين والمسلمين وتغلغلوا بأهالي دمشق وحلب وتكلموا لغتهم، ففي الوقت الذي تعرض فيه اليهود في البلدان الأوروبية للاضطهاد والنفي واضطروا للسكن في أحياء مغلقة مما أدى إلى عزلتهم عن المجتمع الأوروبي وعاش اليهود في دمشق وحلب بحرية تامة، وسكنوا في أحياء مختلفة فيها وأقاموا علاقات تجارية واسعة مستفيدين من الامتيازات التي منحت لهم، رغم المحاولات الأوروبية لخلق جو من التوتر داخل هذا المجتمع المتماسك كما تجلى ذلك في حادثة ١٨٤٠ والتي تمكنت من خلالها القوى الأوروبية من زيادة تدخلها في شؤون الأقليات الدينية.

الفصل الثالث

الحياة الدينية والثقافية لليهود وأثرها على الحياة الاقتصادية والاجتماعية في ولايتي دمشق وحلب في القرن التاسع عشر

مقدمة:

أولاً: مصادر التشريع اليهودي.

١. التوراة

٢. التلمود

ثانياً: المؤسسة الحاكمة.

ثالثاً: الأعياد والشعائر الدينية عند اليهود.

١. الأعياد

٢. الشعائر الدينية

رابعاً: الطوائف اليهودية في دمشق وحلب.

١. طائفة الريانيون

٢. طائفة القراؤون

٣. طائفة السامرة

٤. السفارديم.

٥. الاشكنازيم.

رابعاً: التعليم.

١. اللغة.

٢. المدارس.

سادساً: المعابد والكنس اليهودية في دمشق وحلب

١. تعريف المعبد ومهامه

٢. كنس اليهود في دمشق

٣. كنس اليهود في حلب

مقدمة:

عاش اليهود في المشرق العربي بما فيهم يهود دمشق وحلب على مدى ما يقرب من ألف عام تحت حكم الإسلام، وأطلق عليهم كما ذكرنا سابقاً "أهل الذمة" وفي ظل الدولة العثمانية عاش اليهود في جو من المعاملة الحسنة حسب نظام "الملة العثماني" حيث سمح لهم بممارسة شعائرهم الدينية كافة، مقابل الجزية التي كانوا يدفعونها للسلطات التي تولت مهمة حماية ممتلكاتهم^(١).

واليهود طوائف مختلفة في طقوسها ومعتقداتها، وجد منهم في دمشق خلال القرن التاسع عشر حسب العقيدة الدينية ثلاثة طوائف يختلف بعضها عن البعض ولكل منها حي خاص بها وكنيس خاص بها هي (الربانيين - القراؤون - السامرة) فضلاً عن طائفتي اليهود السفارديم والأشكنازيم^(٢) اللتين أدتا دوراً بارزاً في القرن التاسع عشر بعد تلاشي الطوائف المحلية في البلاد وكان لارتباطهما بالدول الأوروبية الساعية لاقتسام أملاك الدولة العثمانية بما فيها دمشق وحلب دورٌ في تنفيذ مخططاتها الاستعمارية^(٣)، وكان يمثل هذه الطوائف جميعها "الحاخام باشي" الذي كان بمثابة السلطة الدينية والدنيوية بالنسبة للطائفة اليهودية، وكانت مهمته تكمن في متابعة كل القضايا التي تتعلق باليهود وأحوالهم ومعاملاتهم^(٤).

اتسمت علاقات اليهود بالمجتمع الدمشقي والحلبّي بالاستقرار والود والتسامح وتبادل المنفعة الاقتصادية، فضلاً عن علاقات الجوار التي أدت إلى تأثر اليهود بعادات المجتمع الإسلامي، الأمر الذي أكدته وثائق سجلات المحكمة الشرعية بدمشق وحلب، وأدى كل ذلك إلى تضيق الفروق الاجتماعية باستثناء بعض الاضطرابات والتغيرات التي حدثت وكان لها دور في حدوث انشقاق بين

^١ - آتينجر: اليهود في البلدان الإسلامية، ص ٤٧.

^٢ - الربايع: إبراهيم: طائفة اليهود في القدس من بدايات الحكم العثماني إلى قبيل قيام الحركة الصهيونية (١٥١٦-١٨٩٧)، الجامعة الأردنية، العدد ٢، ٢٠٠٨، ص ٥-٦.

^٣ - نعيمة: يهود دمشق، ص ٢.

^٤ - الربايع: طائفة اليهود في القدس، ص ٧.

أبناء البلد المتعايش، فقد كان لاحتلال إبراهيم باشا بلاد الشام ومنحه أهل الذمة بما فيهم اليهود ميزات عدة، فضلاً عن رفعه القيود التي كانت مفروضة عليهم، في ظل التدخل الأجنبي المتزايد في شؤون البلاد، بحجة حماية الأقليات الدينية كل ذلك انعكس سلباً على طبيعة العلاقات بين الطوائف الدينية الثلاث (المسلمين - المسيحيين - اليهود) وتجلّى واضحاً في حادثة ١٨٤٠م، التي نتج عنها تحسن العلاقات بين يهود الشرق والغرب بعد فترة طويلة من الانقطاع، وأخذ يهود أوروبا الغربية بالتدخل لصالح يهود الشرق بحجة تخفيف الضغوط التي كانوا يتعرضون لها^(١).

وشهد النصف الثاني من القرن التاسع عشر تحولاً واضحاً في حياة الطائفة اليهودية في دمشق وحلب، من حيث إنشاء المدارس نتيجة للإرساليات التبشيرية التي نشطت في المشرق العربي والتي عملت على نشر حركة التنوير الأوروبية بين اليهود، وساهمت في ارتفاع نسبة المتعلمين بينهم، فضلاً عن حركة الهجرة اليهودية التي بدأت في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر بتأثير عدد من الأسباب السياسية والاقتصادية، وكان أبرزها افتتاح قناة السويس ١٨٦٩م، والتي أدت إلى تراجع الوضع الاقتصادي في سوريا مقابل الازدهار الاقتصادي في مصر، مما اضطر أصحاب الحرف من المتنفذين للهجرة إلى مصر بحثاً عن فرص أوفر للربح، كما كان للدعوات الصهيونية التي بدأت تنشط في نهايات القرن التاسع عشر دور في اقتلاع يهود البلاد العربية من بلادهم، حيث تمكنت الحركة الصهيونية من إفساد العلاقات الحسنة والتعايش السلمي الذي كان يتميز به المجتمع الدمشقي والحلبي في ظل العيش المشترك بين أصحاب الديانات السماوية الثلاث (الإسلامية - المسيحية - اليهودية).

^١ - آتينجر: اليهود في البلدان الإسلامية، ص ٧١ - ٧٤.

أولاً: التشريع اليهودي

١. التوراة:

اعتمدت الديانة اليهودية على مصدرين للتشريع، المصدر الأساسي وهو "التوراة" ويعرف بالعهد القديم أو العهد العتيق، لتمييزه عن العهد الجديد (الإنجيل)، أما المصدر الثاني فهو "التلمود" ومعناه التعاليم أو الشرح أو التفسير، ويشتمل على مجموعة الشرائع اليهودية وشروح وتعليقات على التوراة وضعها علماء اليهود الأحرار والحاخاميون، يتألف العهد القديم من الكتاب المقدس أو ما يسمى بالتوراة وبالعبودية "توره" أي "الهدى والإرشاد" مؤلف من ٣٩ سفرًا، ويقسم إلى خمسة أقسام، وقد أطلق على هذه الأسفار الخمسة الأولى اسم "كتب موسى الخمسة" السفر الأول: "سفر التكوين" لأنه يبحث في الخليقة وبدء العالم والشعب المختار بنوع خاص، السفر الثاني: "سفر الخروج" لأنه يبحث في خروج بني إسرائيل من مصر والوحي على جبل سيناء، وقد دونت أحكام الشريعة ومن ضمنها الوصايا العشر^(١) في الإصحاح العشرين من هذا السفر، السفر الثالث: "سفر اللاويين" يحتوي هذا السفر على طقوس الكهنة، بينما تضمن السفر الرابع "سفر العدد" إحصاءات الشعب اليهودي، يعد السفر الخامس "التثنية" تنمة لشريعة موسى، وعدت الديانة اليهودية ديانة كهنوتية، لأن الكهنة

١- الوصايا العشر:

- ١- أنا الرب إلهك الذي أخرجك من العبودية.
 - ٢- لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة شيء مما في السماء ولا مما في الأرض ولا مما في المياه.
 - ٣- لا تتطوق باسم الرب إلهك باطلاً لأن الرب لا يبرر من يحلف باسمه باطلاً
 - ٤- اذكر يوم السبت لتقدس
 - ٥- أكرم أباك وأمك كي تطول أيامك على الأرض.
 - ٦- لا تقتل
 - ٧- لا تزني
 - ٨- لا تسرق
 - ٩- لا تشهد شهادة زور
 - ١٠- لا تشته بيت قريبك ولا امرأته ولا أمته ولا عبده ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً مما لقريبك.
- انظر: الكتاب المقدس: سفر الخروج، الفصل ١٩.

كانوا يقومون بتفسير التوراة ذاتها، وهم الذين ينفذون الشريعة، وبوجهون الشعب اليهودي في ممارسة شعائرتهم الدينية، وكانت وظيفة الكهنة وراثية، وحصرت في نسل هارون، وتعد التوراة أو أسفار العهد القديم من أهم المصادر الفكرية عند اليهود إلى جانب التلمود وبروتوكولات حكماء صهيون^(١)، فالبحث في تاريخ التوراة ولغتها ومكان ظهورها وزمانه هام جداً لأنه يتعلق بتاريخ اليهود القديم، فالتوراة اعتبرت بني إسرائيل الموضوع الذي تركز عليه جميع الحوادث الواردة فيها، وقد اعتبرتهم موجودين في كل زمان ومكان، حتى في الأدوار الأولى التي سبقت ظهورهم إلى عالم الوجود، وقد دون الكهنة التوراة باللغة الآرامية (المعروفة بآرامية التوراة) وتم كتابتها بعد ابراهيم الخليل بألف وثلاثمائة عام، وترجمت التوراة إلى كل لغات العالم القديم والحديث^(٢)

وقد عدت التوراة أكثر أجزاء العهد القديم قداسة، لأنها الكتاب الذي أنزله الله عز وجل على سيدنا موسى عليه السلام، ويعبر العهد القديم عن تطور الفكر الإسرائيلي واللغة العبرية لقرون ماضية، وقد جمعت أسفار العهد القديم ودونت عبر مراحل طويلة، منذ نهاية فترة الهيكل الأول حتى القرن الثاني ق.م^(٣)

فالتوراة هي الكتاب السماوي الذي أنزل على النبي موسى في ألواح تسلمها في جبل طور، إلا أن أحبار اليهود وكهنتهم منذ القديم قاموا بتحريفه تبعاً لمصالحهم واهتماماتهم ومطامعهم المادية والتوراة كلمة عبرية تعني الناموس، ويقال إن كلمة التوراة من الثورات التي رافقت حياة بني إسرائيل قديماً، وقبل أن تصبح التوراة مجموعة من الأسفار كانت تقليداً شعبياً وسيراً وأناشيد ترتل عفواً من الذاكرة التي كانت الوسيلة الوحيدة لتداول الأفكار، وكانت هذه التراتيل تتناول حياة الشعوب^(٤)

^١ - سوسة: أحمد، العرب واليهود في التاريخ "حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الأثرية" العربي للإعلان والتوزيع والنشر، ط ٢، (د.ت)، ص ١٤٧-١٤٨.

^٢ - عرابي: سفر التاريخ اليهودي، ص ٣٢١.

^٣ - ابيش، أحمد: التلمود كتاب اليهود المقدس "تاريخه وتعاليمه ومقتطفات من نصوصه"، تقديم د. سهيل زكار، دار قتيبة، (د.ت) ص ١٢-١٤.

^٤ - الزوي، ممدوح: القتل عقيدة يهوه وأتباعه، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط ١، ٢٠٠٠، ص ١٣-٢٠.

٢- التلمود:

هو مجموعة الشرائع اليهودية التي نقلها أحبار اليهود شرحاً وتفسيراً للتوراة، ويقسم التلمود إلى قسمين: هما (المشنا) وهي النص أو المتن و(الجمارا) وهي التفسير أو الشرح، والتلمود هو الاسم الجامع للمشنا والجمارا معاً، ويدعي اليهود أن تعاليم التلمود شفوية ألقاها سيدنا موسى عليه السلام على شعبه، وهو تلقاها عندما كان على الجبل، ثم تداولها هارون واليعازر ويشوع وسلموها للأنبياء، ثم جمعها الحاخام يهوذا ودونها، والجدير بالذكر وجود تلمودين يقدسهما اليهود الأول يعرف بالتلمود الأورشليمي (الفلسطيني) وقد كتب بين القرنين الثالث والخامس للميلاد، وكان موجوداً في فلسطين سنة (٣٢٠ ق.م)، والثاني التلمود البابلي وقد كتب في القرن الخامس للميلاد، ولكل من هذين التلمودين طابعهما الخاص ولغة التلمودين مختلفتان تمثلان لهجتين آراميتين هما الآرامية الغربية والآرامية الشرقية، والتلمود هو تكملة لأحكام الديانة اليهودية التي استغرق وضعها أكثر من ألف عام، ومما يؤخذ على التلمود تأكيده على مبدأ التفوق العنصري اليهودي على بقية شعوب الأرض وجعل الناس عبيداً لليهود على اعتبار أنهم "شعب الله المختار" وأن الله اصطفاهم دون سواهم من شعوب الأرض، كما تظهر فيه بوضوح انعزالية الشعب اليهودي وأحقية في جميع خيرات الأرض التي وهبها له إلهه الخاص دون الآخرين من الناس^(١)

وتقوم أسس التلمود على ستة أبواب:

- الأول: يتناول أمور الفلاحة والبذور.
- الباب الثاني: يبحث في الأعياد الدينية والصوم وأحكامه.
- الباب الثالث: فيتناول أحكام الزواج والطلاق والنذور. - الباب الرابع: يتناول عبادة الأوثان وعلاقة الأوثان باليهود.

^١ - سوسة: العرب واليهود في التاريخ، ص ١٧٣-١٧٦.

تمتد عنصرية التلمود إلى التعاملات اليومية مع الناس، فبيح الزور والكذب والنفاق، ويعتبر التلمود من ينكر شيئاً من تعاليمه كافراً ويجب بغضه واحتقاره، ويحرم التلمود التعامل مع غير اليهود، ومن هذه الأفكار العنصرية استنقت الصهيونية بشكل عام وإسرائيل بشكل خاص عنصريتها وممارساتها البغيضة. انظر: الزوبي، القتل عقيد يهوه، "العنصرية في التلمود ص ٥٣-٦٢.

- الباب الخامس: يتناول قوانين وأحكام الصلاة.

- الباب السادس: يتناول حكم الطهارة والنجاسة في المفهوم اليهودي.

حاول اليهود عدم إطلاع غيرهم على نصوص التلمود، وقاموا بإخفائه لمدة (١٤) قرناً، منذ أن وضعه الحاخامات اليهود، إلى أن أمرت الحكومة الفرنسية في باريس عام ١٢٤٣م بإحراقه علناً بسبب ما جاء فيه من عبارات الطعن والإهانة ضد غيرهم وضد المسيحية بوجه خاص، وتم حرقه عدة مرات في عصور وبلدان مختلفة، ولذا فإنَّ العثور على نسخة كاملة من التلمود صعبة للغاية^(١)

وقد تضمنت أسفار العهد القديم والتلمود تنظيمات كاملاً للأمور الاقتصادية والاجتماعية من حيث العبادات والأعياد والمعاملات والسياسة والاقتصاد والأسرة والقضاء والتربية والأخلاق وواجبات الفرد نحو نفسه وأسرته، كل هذه المسائل تمَّ وضع حدود وقواعد لها في التوراة والتلمود، وقد عرضت أسفار التوراة تاريخ العالم من يوم نشأته إلى قبيل بعثة المسيح، فتناولت بتفصيل قصة خلق السماوات والأرض وخلق آدم وحواء، وتاريخهما في الجنة، وبعد هبوطهما، وما حدث لنسليهما بعد ذلك^(٢).

ويظهر أثر تعاليم الديانة اليهودية في توجيه حياة اليهود في المجالين الاقتصادي والاجتماعي من خلال النصوص الواردة في العهد القديم والتي تؤكد على المعاملة الحسنة للفقراء من أبناء دينهم "إذا افتقر إسرائيلي عندك وقصرت يده عن العيش فأعنه وليعش معك كغريب ولا تأخذ منه رباً ولا ربحاً"^(٣)

وحددت التوراة واجبات اليهودي تجاه أخيه وزوجته وأهله وبينت أحكام الطلاق وغيرها "إذا تزوج رجل بامرأة ولم تعد تجد حظوة عنده لعيب أنكره عليها، فعليه أن يكتب لها كتاب طلاق ويسلمه إلى يدها"^(٤)

^١ - أبو جبل: يهود اليمن، ص ١١٨-١١٩.

^٢ - وافي، علي عبد الواحد: اليهودية واليهود بحث في ديانة اليهود وتاريخهم ونظامهم الاجتماعي والاقتصادي، دار النهضة، مصر، (د.ت) ص ٦٧.

^٣ - الكتاب المقدس، سفر اللاويين، ٣٥-٤٣.

^٤ - الكتاب المقدس، سفر العدد ٢٤-٢٥.

ثانياً: المؤسسة الحاخامية:

اعتمدت المؤسسة الحاخامية اليهودية على ضرورة وجود حاخام يدير شؤون كل طائفة في المكان الذي تتواجد فيه، وحرصوا على أن يتم اختياره من العارفين والمتقنين بالشريعة اليهودية حتى يتمكن من توجيه أمور الطائفة وفقاً لمبادئ شريعتهم، كما يجب أن يكون متقناً للغتين العربية والعبرية^(١)، فالحاخامات هم من يقومون بإدارة وتوجيه الطائفة اليهودية تبعاً لقواعد التلمود، ولم يكن الحاخام رجل دين فحسب، بل يجب أن يكون في الوقت نفسه عارفاً بكل مسائل الطائفة سواء المدنية أو التجارية، وهو أيضاً معلم ورجل دين ومشروع وواضع للقوانين، كما كان مسؤولاً عن تنظيم احتفالات مراسم الزواج، وكان الحاخام يقوم بمراقبة جميع الأمور التعليمية والاجتماعية المتعلقة بالطائفة اليهودية المسؤول عنها، وينفق عليها من واردات صندوق الطائفة^(٢)، ولأهمية هذا المنصب فقد أصدرت السلطات العثمانية عام ١٨٦٥م، النظام الخاص بالطائفة اليهودية التي تعيش ضمن أراضي السلطنة العثمانية، بما فيها ولايتا دمشق وحلب، حيث أعطى هذا النظام الطائفة اليهودية شخصية مستقلة، وخصها بامتيازات قانونية ومالية، وسمح لليهود بحرية اختيار رؤسائهم الروحانيين وفرض الضرائب، وحل الخلافات فيما بينهم وفقاً للشريعة اليهودية، واشترط هذا النظام تمثيل الحاخام باشي كافة الطوائف اليهودية، وتنفيذه تعليمات وأوامر السلطة العليا، كما اشترط هذا النظام على الحاخام أن يكون من أتباع الدولة العلية أباً عن جد ولم يسبق له أن ارتكب أي فعل سيء، وأن يكون صحيح الجسم يتراوح عمره بين الثلاثين والسبعين من العمر، وبعد موافقة الباب العالي على تسمية الحاخام يقسم الحاخام بحضور القائم مقام والمجلس الروحاني والجسماني على أن يخدم الدولة العثمانية والطائفة الموسوية ويطبق نظام الحاخام خانة، واعتبر الحاخام مركز قوة من الدرجة الأولى في حياة الطائفة اليهودية، لكونه يتمتع بصفة قانونية رسمية^(٣)

^١ - لاندوا: تاريخ يهود مصر، ص ١٨٣-١٩٨.

^٢ - أوغلو: اليهود في الدولة العثمانية، ص ٢٣٦-٢٣٩.

^٣ - العجلاني: يهود دمشق الشام، ص ٤٤-٤٧.

أولت الشريعة اليهودية اهتماماً كبيراً للحاخامات، ورفعت من مكانتهم، وأحاطتهم بالقداسة والعصمة، وكان بدمشق وحلب حاخام يدير شؤون الطائفة، وكانت تعاليم وتوجيهات الحاخامات للطائفة على شكل رسائل^(١)، ويؤكد مطران الأرمن الأسبق سورمايان على مكانة الحاخام في ولاية حلب والاحترام الكبير الذي يحظى به لدى أبناء الطائفة اليهودية بقوله: "الحاخام في حلب هو رئيس كهنة اليهود ويسميه اليهود المحليين حاخام، بينما يستخدم اليهود الفرنسيون كلمة "الربي" أو "الرابي" وللحاخام سلطات سياسية ودينية وقراراته موضع احترام كبير، ويتميز الحاخام عن اليهود الآخرين بطبوشه، ولون غطاء رأسه وأكمام ثيابه الطويلة. والحاخامات بشكل عام رجال دين مثقفون ويحظون باحترام كبير من قبل أبناء طائفتهم، ويقرأ الحاخامات التوراة من النسخة الأصلية ويشرحون آياته بناءً على تفسيرات الحاخامات الأقدمين، وأحياناً يقدمون شرحاً أو تفسيراً جديداً، ويقوم الحاخامات بوظيفة التدريس في المدارس اليهودية، وتعليم أطفال اليهود مبادئ القراءة والكتابة، كما يؤدي شيوخ المسلمين مهنة التدريس في الكتاتيب"^(٢). وذكر اسم أحد حاخامات اليهود وهو خضر شموئيل^(٣).

وبرز عدد من حاخامات اليهود في العصر الحديث في دمشق مثل (خضر شحادة كباريتي وإبراهيم أبو حمرا الذي هاجر إلى إسرائيل فخلفه يوسف جاجاتي، أما أشهر حاخامات اليهود في دمشق في القرن التاسع عشر:

- جوزيف دايفيد أبو العافية (١٨٠٩ - ١٨١٦م).

- يعقوب عينتابي (١٨١٦ - ١٨٣٣م).

- يعقوب بيري (١٨٣٣ - ١٨٤٨ م).

- أروان بغدادي (١٨٤٨ - ١٨٦٦م).

^١ - العجلاني: يهود دمشق الشام، ص ٢٨١.

^٢ - سورمايان: تاريخ حلب، ج ٢، ص ٣٢٦.

^٣ - سورمايان: تاريخ حلب، ج ٢، ص ٣٢٦.

- حاييم قمحي (١٨٦٨ - ١٨٧٢م).

- مركادو كلحي (١٨٧٢ - ١٨٧٦م).

- إيزاك أبو العافية (١٨٧٦ - ١٨٨٨م). وهو الحاخام الذي أعلن إسلامه على خلفية جريمة دمشق التي حصلت ١٨٤٠م / ٢/٥، وكان له الدور في التخطيط والتنفيذ لها، وكان الزعيم الروحي للربانيين وكان يعرف بدمشق باسم موسى أبو العافية ويقال أنه أسلم إثر حادثة ١٨٤٠م، وأطلق على نفسه اسم محمد المسلماني وخلع الرداء الأسود ولبس بدلاً عنه جبة بيضاء^(١)

وذكرت وثائق سجلات المحكمة الشرعية بحلب أسماء عدد من حاخامات حلب في القرن التاسع عشر من خلال عمليات البيع والشراء والوصايا وغيرها، فتذكر إحدى الوثائق اسم الحاخام عبادي هراي الموسوي من أهالي محلة البندرة ومن تبعية الدولة العثمانية^(٢)، وفي وثيقة أخرى ذكر اسم الحاخام موسى ولد يوسف سويد اليهودي^(٣)، والحاخام موسى ولد يوسف ولد الحاخام موسى سويد اليهودي، وبنفس الوثيقة نقرأ اسم الحاخام إلياهو ولد الحاخام موسى سويد^(٤).

ولشدة حرص الطائفة اليهودية على حفظ حقوق الأيتام وخاصة الصغار فقد كان لا يتم تعيين وصي شرعي عليهم إلا بحضور "الحاخام باشي" فقد توجه الحاخام إبراهيم أفندي "حاخام باشي" بحلب والحاخام إسحاق ولد حلفور ولد الحاخام مردخاي من الطائفة الموسوية ومن تبعية الدولة العثمانية لتنصيب الخوجة عزرا دويك وصياً شرعياً على الصغيرة نزه بنت يوسف ولد موسى شبتاي من تبعة الدولة العثمانية لينظر في أمورها ويسعى في مصالحها^(٥).

^١ - العجلاني: يهود دمشق الشام، ص ٢٨١ - ٢٨٣.

^٢ - سجلات المحكمة الشرعية بحلب: رقم ٣٦٥، وثيقة ١١٧، (ت ١٣١٠هـ / ١٨٩٣م)

^٣ - سجلات المحكمة الشرعية بحلب: رقم ٢٦٧، وثيقة ٢٨٨، (ت ١٢٧٠هـ / ١٨٥٤م)

^٤ - سجلات المحكمة الشرعية بحلب: رقم ٢٤٤، وثيقة ١١١، (ت ١٢٦٠هـ / ١٨٤٤م)

^٥ - سجلات المحكمة الشرعية بحلب: رقم ٣٢٦، وثيقة ٧٢، (ت ١٣٠٠هـ / ١٨٨٣م)

يلاحظ أنَّ حاخامات اليهود أدوا دوراً واضحاً في حياة الطائفة اليهودية في المجالين الاقتصادي والاجتماعي، فهم الذين كانوا يؤدون مراسم الزواج والطلاق، وهم يقومون بحل الخلافات بين أبناء الطائفة اليهودية، فضلاً عن أنهم كانوا يمارسون مهنة التعليم، ومحاسبة المخطئين وغيرها من المهام التي تصب في خدمة أبناء دينهم.

أولاً: الأعياد والشعائر الدينية عند اليهود:

إنَّ الطائفة اليهودية في دمشق و حلب كأى طائفة أو أقلية، تتمسك بتقاليدها وعاداتها، وتميزها الديني بشكل خاص خوفاً من الذوبان في مجتمع الأكثرية أو الانتقال إلى الأديان الأخرى^(١) وكان من بين العادات التي تمسك بها اليهود وحرصوا على المحافظة عليها استمرار احتفالاتهم وأداء طقوسهم في أعيادهم أيامهم المقدسة ومناسباتهم الدينية، ولاسيما أداء طقوسهم في يوم السبت الذي كانت له قدسية خاصة لدى اليهود بشكل عام والعيد اليهودي عبارة عن سلسلة من الأيام يحتفل بها اليهود كمناسبة دينية أو دنيوية لحدث مهم في التاريخ اليهودي، ويطلق على العيد اليهودي بالعبرية "يوم طوب" أي "اليوم الجيد أو الصالح" أو "تاغنيت" أي "الاحتفال".

والجدير بالذكر أنَّ معظم الأعياد اليهودية ذات طابع ديني، وهي كثيرة، منها ما تمَّ ذكره في التوراة حسب زعمهم، وبعضها أسس من قبل الحاخامات في الفترة القريبة من التاريخ اليهودي القديم^(٢) **ويعدَّ يوم السبت:** من أبرز أيام اليهود المقدسة، وهو العطلة الأسبوعية، وتعطل فيه الحياة العامة عندهم، إذ يمتنعون خلاله عن ممارسة الأعمال ويُعد عطلة أسبوعية تحرم خلالها ممارسة الأعمال الخاصة والرسمية، ويعود السبب في تحريم العمل فيه إلى أنَّ اليهود يؤمنون بفكرة هي " أنَّ الرب خلق الكون في ستة أيام واستراح في اليوم السابع أي السبت بعد أن انتهى من عمله، وبناءً عليه فإنه يحرم على بني إسرائيل ممارسة أي عمل في يوم السبت"^(٣)

١- حريتانى: تاريخ اليهود ...، ص ١٣١.

٢- العجلاني: يهود دمشق...، ص ٢٧٣.

٣- الشامي، عباس علي: يهود اليمن قبل الصهينة و بعدها، سلسلة كتاب المسيرة اليمانية، ط ٢، ١٩٨٨، ص ١٥١.

وقد أكدت التوراة على تحريم العمل يوم السبت وتقديسه، فقد جاء في الإصحاح الثاني من التوراة " وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل، فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل، وبارك الله اليوم السابع وقده، لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمله " (١) كما عدَّ اليهود منع سيدنا موسى عليه السلام لهم من ترك مكانهم الذي يجلسون فيه للبحث عن طعامهم في يوم السبت هو الأساس الذي بنوا عليه تحريم عملهم في هذا اليوم، لكن التلمود أعطى الإذن لهم بالتجول داخل المدينة وذلك حرصاً على حماية ممتلكاتهم الشخصية في هذا اليوم، فقد سمح لهم بإشعال المصابيح في المواقف غير الطبيعية كحالات الوفاة وال ميلاد والحرائق (٢)

أما طقوس اليهود في يوم السبت فكان قيامهم بالتنظيف قبل ظهر يوم الجمعة، وتحضير الأكل المخصص ليوم السبت، ثمَّ تذهب النساء اليهوديات إلى الحمام بعد الظهر و يرتدين الملابس النظيفة هناك، ويعدن في الوقت المناسب لإشعال المصابيح قبل بدء يوم السبت، وعلى الرجال العودة من أعمالهم يوم الجمعة أبكر من الوقت المعتاد لكي يرتدوا ثيابهم النظيفة أو تنظيف أنفسهم أو القيام بأعمال ضرورية (٣)، وفي صباح يوم السبت يقومون بأداء الصلوات، وفي فترة الظهر يؤدون الصلوات في الكنيس، وفي المساء يقومون بزيارة المرضى الذين لم يتمكنوا من الذهاب لأداء الصلوات (٤)

ويعد يوم السبت من أهم الأيام في حياة اليهود، حيث كانوا يظهرن فيه أقصى درجات الاهتمام للمحافظة على قدسية هذا اليوم. فقد جاء في سفر الخروج "وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب الهك، لا تصنع عملاً ما أنت وابنك وعبدك وامتك وبهيمنتك لأن في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها، واستراح في اليوم السابع، لذلك بارك الرب يوم السبت وقده"، ووصل حرصهم على أداء طقوس وقواعد يوم السبت قيام الحاخامات والموظفون لدى هؤلاء الحاخامات ومن يظهرن غير دينية زائدة بجولات تفتيشية في الشوارع والأزقة وإغلاق محلات اليهود من أجل تنفيذ

١- الكتاب المقدس، سفر الإصحاح الثاني، الفصل ٢، ٣.

٢- اوغلو: اليهود في الدولة العثمانية...، ص ٢٢١.

٣- حريتانى: تاريخ اليهود...، ص ١٣٢.

٤- راسل: تاريخ حلب الطبيعي...، ص ٢٥٥.

قواعد ذلك اليوم، وبسبب يوم السبت كان السكون والهدوء يعم في الأسواق لعدم تواجد اليهود بها، وكان اليهود في هذا اليوم يتجنبون البكاء أو الألم حتى لو كان عندهم عزاء^(١).

وقد ذكر تحريم اليهود للعمل في يوم السبت وتقديسهم له في القرآن الكريم بقوله تعالى "واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت إذ تأتيتهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً ويوم لا يسبثون لا تأتيتهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون"^(٢)

وقسمت أعياد اليهود إلى أعياد شرعية وأعياد محدثة والأعياد الشرعية خمسة هي:

١- عيد رأس السنة: يطلق عليه بالعبرية اسم "روش هاشانا" وبصادف بداية السنة العبرية وهو عيد التوبة والصوم والتكفير، وكان يعرف بعيد الله، ويحتفل به في أواخر أيلول وأوائل تشرين الأول، وفي هذا العيد يقوم اليهود بالنفخ في البوق المصنوع من قرن كبش ليذكر بظهور الله على جبل سيناء ويدعوا إلى التوبة ليحصلوا على الغفران عن الماضي والعون للمستقبل والدعاء لله أن يعطيهم في السنة الجديدة الصحة والنجاح^(٣)

١- أوغلو: تاريخ اليهود في الدولة العثمانية...، ص ٢٢١-٢٢٢.

يعد يوم السبت من الركائز الأساسية التي بنيت عليها العقيدة اليهودية، ففي يوم السبت المبادئ الرئيسية للفكر الإسرائيلي ويتجلى ذلك في عناصر ثلاثة: ١- تذكرة لعملية الخلق. ٢- تذكرة للخروج من أرض مصر. ٣- وحدة وقداسة الشعب الاسرائيلي، ويوم السبت في العقيدة اليهودية ليس يوماً اجتماعياً أو يوماً للراحة فقط لكنه يوماً مقدساً أيضاً، فالسبت يرمز إلى العلاقة بين الإله وشعب إسرائيل وذلك دلالة على العهد الأبدي بينهما كما ذكره سفر الخروج ١٦، ٣١-١٧ "ليحفظ بنو إسرائيل السبت ويحتفلوا به في كل أجيالهم عهداً أبدياً، هو بيني وبين إسرائيل علامة عهد إلى الأبد...."

٢- القرآن الكريم، سورة الأعراف، الآية ١٦٣.

٣- نعيصة: يهود دمشق...، ص ٣٩.

جاء في المشناة^(١) هذا اليوم هو اليوم الذي بدأ الله فيه خلق العالم، وفيه تعقد جلسات ليلية لأداء صلوات التوبة يومياً في الساعات التي تسبق الفجر، وتختتم بقراءة البركة الكهنوتية الرسمية وينفخ في البوق، ويعلن فيه نهاية الندم والإفطار بعد الصوم^(٢)، وهذا اليوم بالنسبة لليهود هو اليوم الذي غفر الرب فيه للإسرائيليين الذين نشروا الشرّ بعبادة العجل المسبوك، وفيه يتم إدانة الشخص، ثم إصدار الحكم عليه مبرماً في يوم الغفران^(٣)

٢- عيد الغفران:

يأتي هذا العيد بمناسبة استجابة الله تعالى فيه لاسترحام موسى بالعفو عن اليهود لعبادتهم العجل الذهبي كما يدعون^(٤)، ويُعدُّ هذا العيد من الأعياد المقدسة عند اليهود، لذا فقد أطلقوا عليه تسمية "سبت الأسبات" وهو اليوم الذي يطهر فيه اليهودي نفسه من كل ذنب، والصلوات التي تقام في هذا العيد هي أكثر الصلوات اليومية لليهود، وتصل إلى خمس صلوات^(٥)، وتسمى هذه الصلوات بصلوات المغفرة، حيث يقومون فيه بالاعتراف الجهرى بخطاياهم بعد كل صلاة، هذا الاعتراف يفرض عليهم التعويض عن ارتكابهم الخطأ والمعصية والمصالحة ومسامحة الإهانات^(٦)

^١ - المشناة: خلاصة الشريعة الشفهية، وهي مجموعة قوانين اليهود السياسية والحقوقية والمدنية والدينية، وهي عبارة عن الكلمة المكتوبة للشريعة الموسوية وتفسير لها والجمارا تفسير للمشناة. مكاريوس، شاهين: تاريخ الإسرائيليين، مصر، ٢٠٠٦م، ص ٩٢، ٩٣.

^٢ - ايبش، أحمد،: كتاب اليهود المقدس "تاريخه وتعاليمه ومقتطفات من نصوصه"، دمشق، دار قتيبة، ٢٠٠٦، ص ٣٦٩، ٣٧١.

^٣ - شحاته: اليهود في بلاد المغرب...، ص ١١٦. تعود جذور هذا العيد حسب اعتقاد اليهود إلى ما ورد في الكتاب المقدس "للاويين الإصحاح ٢٣: ٢٥-٢٣" أنه اليوم الذي فُدي فيه الذبيح إسحاق عليه السلام، حسب معتقدهم الخاطئ، لأنَّ الذبيح هو إسماعيل لا إسحاق، وهو مناسبة مقدسة يحتفل بها بنفخات قوية للشوفار..

^٤ - العجلاني: يهود دمشق...، ص ٢٧٣.

^٥ - المسيري: موسوعة اليهود واليهودية...، ج ٥، ص ٣٩٥.

^٦ - عبده: اليهود السوريون...، ص ٩٠، ٩١.

ويختتم الاحتفال في اليوم التالي بصلاة تسمى "صلاة النعيلاه" التي تعلن أنَّ السماوات قد أغلقت أبوابها ثمَّ ينفخ في البوق الشوفار^(١)

٣- عيد المظال (العُرش):

هذا العيد من أقدم الأعياد اليهودية، ويأتي بعد يوم الغفران بخمسة أيام^(٢)، وهو مستوحى من وضع الفلاحين اليهود، فهو عيد زراعي يحتفل فيه بتخزين المحاصيل الزراعية، وتمنح السكينة تحت المظال الصبغة الدينية لتذكر الإسرائيليين بسكانهم تحت المظال يوم كانوا في صحراء سيناء، وفي هذا العيد يقوم اليهود بحمل أغصان ذات أوراق وأقنان خضر، وسعف^(٣)

وفي دمشق وحلب كانت النسوة المسلمات يزرن أحياء اليهود ليتفرجن على المظلات التي كانت تبني بأشكال عدّة وفي مواقع مختلفة، حسب ظروف كل منزل، على شرفة الطابق العلوي وفي أغلب الأحيان في باحة البيت أو على السطح عند عدم وجود إمكانية أخرى، أما العائلات الفقيرة فقد كانت تقوم ببناء مظلة خاصة بهم من القصب وأوراق الأشجار، وكان يتم جلب القصب من بساتين حلب وأوراق الأشجار من أنطاكية، حيث كانت تباع بكميات كبيرة في حي بحسيتا، وأغصان شجرة الليمون وسعف النخيل من اللاذقية وطرابلس لاستخدامها أثناء الطقوس الدينية في الكُنس، ويقوم الحاخام بتوزيعها، ومما يتميز به هذا العيد قيام اليهود باستضافة أشخاص من جميع الملل تحت المظلات ويتناولون طعامهم، ويقومون بإرسال الحلويات إلى أصدقائهم^(٤)

يسمي يهود حلب على هذا العيد بـ "قبة العهد"، ويبدأ من اليوم الخامس عشر من تشرين من السنة العبرية (أيلول وتشرين الأول) في الشهر السابع من السنة المقدسة ويستمر سبعة أيام^(٥)

١- المسيري: موسوعة اليهود واليهودية...، ج ٥، ص ٤٠٣.

٢- العجلاني: يهود دمشق...، ص ٢٧٤.

٣- عبده: اليهود السوريون...، ص ٩٠.

٤- سورمايان: تاريخ حلب...، ص ٣٢٨، ٣٢٧.

٥- راسل: تاريخ حلب...، ص ٢٥٢.

جاء ذكر هذا العيد في أسفار التوراة " أما في اليوم الخامس عشر من الشهر السابع ففيه تجمعون غلة الأرض، تعيدون عيداً للرب سبعة أيام، في اليوم الأول عطلة وتأخذون لأنفسكم فيه أشجار بهجة، وسعف النخل، وأغصان أشجار، وصفصاف الوادي، وتفرحون أمام الرب إلهكم سبعة أيام تعيدونه في مظال تسكنون سبعة أيام، كل الوطنيين يسكنون في المظال، لكي تعلم أجيالكم أنني في مظال أسكنت بني اسرائيل لما أخرجتم من أرض مصر، أنا الرب إلهكم"^(١)

٤- عيد الفصح أو عيد الفطير:

هو العيد الذي يضحي فيه اليهود بحمل أو شاة أو جدي من الماعز، وسمي بعيد العبور نسبة إلى عبور موسى البحر^(٢)، ويطلق عليه عيد الفصح وعيد الفطير وعيد الخلاص، ويصادف غالباً في شهر نيسان وهو بمناسبة ذكرى نجاة بني إسرائيل من العبودية في مصر في القرن الثالث عشر ق.م ويستمر هذا العيد ثمانية أيام، تقرأ فيه قصة هروب بني إسرائيل ويأكلون فيه خبزاً غير مخمر، على اعتبار أن بني اسرائيل عندما هربوا أكلوه، لعدم وجود الوقت الكافي لديهم لتخميره واستمر اليهود يأكلونه إلى اليوم في هذا العيد، وقد احتفل يهود دمشق بهذا العيد عام ٢٠٠٨م في كنيس الافرنج في حارة اليهود، وذلك في يوم الأحد (٢٠-٤-٢٠٠٨م) بإقامة الصلوات فيها^(٣)

ويتطلب الإعداد لعيد الفطير جهداً كبيراً، ويعتبر وجود فطير في المنزل أمراً خطيراً عند اليهود الشرقيين، إذ يتم تفتيش ونبش كل بقعة وزاوية من البيت، وتنظيفه بعناية فائقة، وتشبه طقوس هذا العيد طقوس يوم السبت إلا أنهم يشعلون النار ويطبخون الطعام ولا يخرج الرجال إلى الأسواق^(٤) وأكدت التوراة في أسفارها على تأدية طقوس هذا العيد وتقديم القرابين فقد جاء في سفر العدد في الشهر الأول في اليوم الرابع عشر من الشهر فصح للرب، وفي اليوم الخامس عشر من هذا الشهر

^١ - الكتاب المقدس: سفر اللاويين، الاصحاح الثالث والعشرون، الآيات من ٣٩-٤٤. كذلك راجع سفر التثنية،

الاصحاح الحادي والثلاثون، الآية ١١.

^٢ - السعدي: الأعياد والطقوس...، ص ٢٥.

^٣ - العجلاني: يهود دمشق...، ص ٢٧٦.

^٤ - راسل: تاريخ حلب ...، ص ٢٥١.

عيد سبعة أيام يؤكل فطير"^(١)، وجاء في سفر الخروج "ويكون متى أدخلك الرب أرض الكنعانيين كما حلف لك ولآبائك، وأعطاك إياها إنك تقدم للرب كل فاتح رحم، وكل بكر من نتاج البهائم التي تكون لك، الذكور للرب، ولكن كل بكر تقديه بشاة، وإن لم تقده فتكسر عنقه وكل بكر إنسان من أولادك تقديه"^(٢)

ارتبط هذا العيد بمأساة عام ١٨٤٠م، التي حدثت في دمشق وكان ضحيتها الأب توما الكبوشي^(٣)، ينتهي عيد الفصح بقيام رب العائلة بالجلوس على كنبه، ويحكي لأفراد أسرته قصة الخروج، ويجب على كل يهودي أن يستمع للقصة، ويخوض التجربة وكأنها تجربة شخصية ثم يتبادل أفراد الأسرة التهنئة بهذا العيد بقولهم "نلتقي العام القادم في أورشليم"، وهي التهنة التي حولتها الصهيونية من مفهوم ديني معنوي إلى مفهوم سياسي.

^١ - الكتاب المقدس، سفر العدد، الإصحاح الثامن والعشرون، الآية ١٦-١٨.

^٢ - الكتاب المقدس، سفر الخروج، الإصحاح الثالث عشر، الآية ١١-١٣. كذلك الآيات ١-٧.

^٣ - الراهب توما الكبوشي: راهب عاش في دمشق ثلاثة وثلاثين عاماً (١٨٠٧-١٨٤٠) له المام بالصيدلة والطب وكان يعالج المرضى في دمشق مجاناً سواء أكانوا من المسلمين أو المسيحيين أو اليهود وكان ماهراً بفن التطعيم ضد الجدري، وكان موضع ثقة واحترام ومحبة الجميع ويوم الجريمة كان في حي اليهود لتطعيم ولد يهودي أصيب بالجدري. انظر: نصر الله، الكنز المرصود، ص ٢٩-٣٠.

٢- عيد الأسابيع:

يطلق عليه بالعبرية (حاج شبعوت) ومدة هذا العيد يومان السادس والسابع من حزيران ومناسبة هذا العيد نزول التوراة والوصايا العشر على موسى فوق جبل سيناء، وهو عيد زواج الله بالشعب لذلك فهم يزينون المعابد بالزهور والنباتات، وقيمون حفل زفاف للتوراة تماماً كأنها عروس^(١)

أما الأعياد المستحدثة هما اثنان وكان يحتفل بهما في دمشق وحلب:

١- عيد المسخروت:

يعد هذا العيد الأشهر بين أعياد اليهود بالنسبة لأهل دمشق وكانوا يحتفلون به كل سنة، ويرجع إلى فترة تفسير التوراة، ويطلق عليه عند اليهود اسم "بوريم" ويكون في بداية الربيع في ١٢ آذار، وفيه يحتفل بذكرى خلاص اليهود الذين كانوا مهددين بخطر الإبادة في الإمبراطورية الفارسية ويتميز هذا العيد بطابعه المرح، وفيه تعطل الدراسة، وتعم الاحتفالات ومن أبرز مظاهره أن الأطفال وبعض الكبار يلبسون الزي التكري، ويشارك الكثيرون في حفلات تنكرية مرحة، ويقومون بإشعال الأنوار التي تضاء بواسطة آلات خاصة، ويتناول اليهود فيه المشروبات المسكرة، ويقومون بإعداد الحلويات الخاصة بهذا العيد^(٢)، وكان عيد البوريم أو النصب يدعى أيضاً يوم مسخروت، إشارة إلى الباروكة التي كان يرتديها الشخص في هذا العيد، وسمى العرب هذا العيد "عيد الشجرة" أو "عيد المساهر" ويحتفل اليهود بهذا العيد بأن يقرأ أحدهم سفر أستير من إحدى اللفائف الخمس وينصت الجميع له، ويصاحب هذا العيد الكثير من الصخب، إذا كان اليهود عند ذكر هامان من سفر أستير يدقون بالعصى التي في أيديهم وكأنهم يضربون هامان وينكلون به، ويقدم اليهود في هذا العيد الهدايا إلى الأصدقاء والمحتاجين وكانوا يقومون بارتداء الأمتعة، ويسرفون في الشراب، وتقام الولائم

١- السعدي: الأعياد والمناسبات...، ص ١٦-١٩.

٢- العجلاني: يهود دمشق...، ص ٢٧٥.

وتتلى أدعية خاصة^(١)، يسبق هذا العيد صيام، ويعتبر اليهود عيد البوريم ككرنفال يقضونه في مرح^(٢).

٢- عيد الحانوكه: يعني الاسم "حنكة" أو "الحانوكه" أو "الحانوكاه" التنظيف لأنهم نظفوا فيه الهيكل من تماثيل آلهة البطالمة^(٣)، ولا يعترف اليهود القراؤون بهذا العيد^(٤)، كما يطلق عليه اسم عيد الأنوار بسبب تحقيق معجزة أن قارورة من زيت طاهر كانت كافية لإنارة الشمعدان في أيام العيد الثمانية، ويحتفل بهذا العيد بإعداد الطعام والأفراح واللهو، ويعد "حانوكه" مناسبة للأطفال للعب والتسلية^(٥)

وصمم لهذا العيد شمعدان خاص من تسعة فروع، وتؤكد هذه المناسبة انفصال اليهود ورفضهم للاندماج والتفاعل مع الحضارات الأخرى^(٦)

١- المسيري: الموسوعة...، ج ٥، ص ٤٠٧، ٤٠٦.

٢- حريتان: تاريخ اليهود في حلب، ص ١٣٩.

٣- ظاظا، حسن: الفكر الديني اليهودي "أطواره ومذاهبه"، دار القلم، دمشق، ١٩٨٧، ص ١٧١.

٤- المقريري، تقي الدين أحمد بن علي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٨٣، ج ٢، ص ٤٧٣.

٥- زعفراني، حاييم: ألف سنة من حياة اليهود في المغرب، معهد الدراسات والبحوث العربية، القاهرة، د.ت، ص ٢٥٨، ٢٥٧.

٦- السعدي: الأعياد والمناسبات...، ص ١٤، ١٣.

٢ - الشعائر الدينية اليهودية:

١ - الصوم:

كلمة صوم بالعبرية "تسوم" حيث يصوم اليهود أيام متفرقة من السنة^(١)، ولا تقل مواسم الصوم السنوية عند اليهود أهمية عن أعيادهم التي يتمسكون بها وهي كثيرة وتجري في مناسبات عديدة، فيصوم اليهود بعد رأس السنة مباشرة لمدة ٢٤ ساعة كاملة، وفي حالات نادرة جداً تغفى النساء الحوامل والأشخاص المرضى، وهناك يوم يصوم فيه اليهود بين كانون الأول وكانون الثاني بمناسبة رجوعهم من الأسر، وقبل عيد البوريم يصوم اليهود لمدة يوم واحد في الثالث عشر من آذار وهو الصوم الوحيد الذي ذكر في أسفار موسى الخمسة^(٢)، وهناك أيام صوم عديدة ترتبط بأحزان اليهود، فيصوم اليهود بمناسبة إحياء ذكرى الدمار الذي أصاب المدينة المقدسة، ويصومون في اليوم التاسع من آب بمناسبة هدم الهيكل والمعبد (تشعابي آب)، فكان الصائمون يرتدون الخيش ويضعون الرماد على رؤوسهم تعبيراً عن الحزن، وأكثر أنواع الصوم الطوعي إثارة للاهتمام هو الصوم لمدة ستة أيام كاملة، يتمتع خلالها الصائم عن تناول جميع أنواع الغذاء وعن شرب الماء، ويعاني الصائمون نتيجة لامتناعهم عن شرب الماء أشد المعاناة، وفيه يقلعون عن التدخين وخلال اليومين الأولين من هذا الصوم، يذهب الرجال منهم إلى ممارسة أعمالهم وعقد صفقاتهم، إلا أنهم يعتكفون في بيوتهم بعد ذلك، ويقضون أوقاتهم في قراءة التوراة أو الصلاة، ويعانون من العطش بشكل رئيسي، وفي عشية اليوم السادس وعند انتهاء الصوم، يبللون رمقهم ببضع ملاعق من زيت اللوز ثم يعودون إلى تناول الطعام شيئاً فشيئاً، وتمضي فترة طويلة قبل أن يستعيدوا شهيتهم السابقة^(٣)

١ - المسيري: موسوعة المفاهيم والفرق، ص ٣٤٢.

٢ - حريثاني: تاريخ اليهود في حلب، ص ١٤٠.

٣ - راسل: تاريخ حلب الطبيعي، ص ٢٥٤.

٢- الصلاة:

الصلاة في بداية ظهور التوراة كانت عبارة عن تقديم القرابين للآلهة، كما كانت غير محدودة ولا إجبارية، حيث كانوا يُصلون حسب الأحوال والاحتياجات الشخصية العامة، ولكن بعد عملية التهجير إلى بابل مباشرة أُلغيت التقدمة والقرابين، إذ بدأت العبادة الروحية بالصلاة والصلاة عند اليهود تنقسم إلى قسمين فردية وجماعية، الفردية تصلى حسب الاحتياج والظرف الخاص بها، أما الصلاة الجماعية فهي التي تؤدي في أماكن مخصصة ومواعيد محددة^(١)، وتُعد الصلاة واجبة على اليهودي الذكر، لأنها بديل للقرآن الذي كان يقدم للإله أيام الهيكل، وعدد الصلوات الواجبة عليه هي ثلاث صلوات كل يوم.

أ- صلاة الصبح "شحاريت" وفترة إقامة هذه الصلاة من الفجر حتى ثلث النهار.

ب- صلاة نصف النهار "منحه" وهي صلاة قربان من نقطة الزوال حتى الغروب.

ج- صلاة المساء "معاريف" وتكون فترتها من غروب الشمس إلى طلوع القمر.

ومن الإجراءات التي كان يجب على اليهودي أداؤها قبل البدء بالصلاة غسل يديه ثم لبس شال الصلاة، ووضع قبعة البرملكا وتسبق الصلاة تلاوة الأدعية، ثم قراءة أسفار موسى الخمسة في أيام السبت، وتتكون الصلاة من أ- الشّماع أي شهادة التوحيد اليهود ب- الثمانية عشر دعاء "شمونه عشرية" أو العميداه ج- دعاء القاديش.

هذا وتضاف صلاة تسمى موساق "في يوم السبت وأيام الأعياد"^(٢)، أما المرأة اليهودية فعليها الصلاة في زوايا خاصة بالسيدات، ولا يحق لها أن تختلط بالرجال أثناء الصلاة، وقد أعدّ في كنيس الجميلية بابان: واحد لخروج الرجال، والآخر لخروج النسوة، وكانت أهم أركان العبادة عند اليهود: تابوت العهد، وهياكل كهنته، وقد تطورت هذه الأركان إلى أن وصلت إلى الشعائر التالية وهي

^١ - درويش: أسرار اليهود المتنصرين، ص ٦٧.

^٢ - المسيري: موسوعة المفاهيم والفرق، ج ٥، ص ٣٤٢.

الأساسية في الدين اليهودي: التطهير، والختان، والذبائح، والصلوات، والصوم والمحرمات^(١). وهناك ثماني عشرة تبريكة يتلوها اليهودي ثلاث مرات يومياً، ويقول المصلي بعد كل طلب تبريكة مناسبة للمعنى، والطهارة عند اليهود واجبة على كل من أراد تأدية فروض العبادة من ذبائح و صلاة، وحسب التوراة فالطهارة الحقيقة هي التي تعطي الإنسان الاطمئنان، هي في تقوى الله ونظافة اليد والمعاملة، ويرجع السبب في طلب الله الطهارة من بني إسرائيل، لقداسة الشعب المختار المكرس له، والهدف من ذلك صيانة الإيمان بالإله الواحد، واختبار أمانة الإسرائيليين له^(٢).

ويمكن الاستنتاج مما سبق أنَّ معظم أعياد اليهود ارتبطت بأحداث تاريخية مروا فيها، وربطوها دينياً أو بتعاليم التوراة أو التلمود، وذلك لإضفاء الصبغة الدينية عليها وإعطائها طابع القداسة، وحرصوا على التزام جميع أبناء دينهم بأداء طقوس هذه الأعياد، كما يلاحظ تشابه كبير في أداء الطقوس الدينية بين اليهود والمسلمين وحرصاً واضحاً من رجال الدين اليهودي على أداء الصلوات وصيام الأيام المفروضة عليهم من قبل جميع اليهود.

^١ - حريثاني: تاريخ اليهود في حلب، ص ٤٠-٤٢.

^٢ - عبده: اليهود السوريون...، ص ٨٨، ٨٩.

الصلاة لدى اليهود عبارة عن تباريك يتلونها في الكنس جماعة وهي :

- ١- مبارك أنت الهنا إله آبائنا...، السماء والأرض درعنا وأبائنا وأجدادنا...، ٢- أنت قدوس واسمك مخيف وليس إله سواك..، ٣- أعطنا أن نعرفك، ونعي شريعتك... ٤- أعدنا إليك. فنعود، وجدد أيامنا كما في الماضي..
- ٥- اغفر لنا أبانا، لأننا أخطأنا إليك. ٦- انظر إلى حزننا وناصر قضيتنا. ٧- اشفنا من جرح قلبنا، وأبعد عنا الألم والتهدد... ٨- بارك هذه السنة حتى تكون جيدة في كل نوع من الانتاج. قُرب سنة تحريرنا، وأشبع العالم من كنوز رحمتك... ٩- انفخ في بوق تحريرنا، وارفع علماً تجمع حوله شنتنا... ١٠- لا يكن أمل للكفرة، واقلع مملكة الكبرياء.
- ١١ - ارحمنا يا إلهنا، صب مراحمك على إسرائيل شعبك، وأورشليم مدينتك، على مقر مجدك، وعلى مملكة بيت داوود
- ١٢- اسمع يا إلهنا تضرعنا، وارحمنا لأنك رحيم... ١٣ - تلطف الهنا واسكن في صهيون، وليخدم عبيدك في اورشليم... ١٤ نشكر لك إلهنا وإله آبائنا وأجدادنا مراحمك نحونا ونحو آبائنا... ١٥ - أعد قضائنا كما في البدء وكذلك مستشارينا، واملك علينا أنت وحدك... ١٦ - ثبت السلام في إسرائيل شعبك، وفي مدينتك وميراثك، وباركنا جميعاً كواحد... ١٧ - لتكن مراحمك حارة على محبي العدل وابق مع الذين يرضونك.
- ١٨- إنك تحط المرتفعين وتحكم على الظالمين. إنك حي مدى الأجيال، تقيم الموتى وترسل الندى حافظاً الحياة ومحبي الأموات، وفي لحظة تثبت لنا الخلاص.

ثالثاً: الطوائف اليهودية في دمشق وحلب.

انقسم اليهود إلى عدة فرق وطوائف حسب العقيدة الدينية، وكل طائفة تضلل الأخرى وكان الخلاف الأكبر الذي أدى إلى انقسام اليهود إلى طوائف مختلفة ظهور التلمود وتعاليمه فقد رفضت فرق اتباعه ولم تعترف بكتاب سوى التوراة، وأما فرقة السامرة فقد كانت منذ البداية منفصلة عن باقي الطوائف اليهودية حيث اختلفت معهم في كثير من الأمور مما جعلهم يرفضون عدّها من اليهود.

١ - طائفة الريانيون:

وهي أكبر الفرق اليهودية^(١) وتعد طائفة الريانيين من أشهر الطوائف اليهودية، وأكثرها عدداً في التاريخ القديم والحديث على حد سواء، واسم هذه الطائفة مشتق من الريان، وهو الحبر، وهو أيضاً الحاخام، والكتاب الذي تؤمن به هذه الطائفة هو التلمود، حيث قام أحبارهم بتأليف أسفار التلمود، وأطلق على الريانيين معلمو الشريعة وذلك لكونهم الوحيدين العارفين بأصولها، ويؤمن اليهود الريانيون بما جاء في التوراة المكونة من تسعة وثلاثين سفر^(٢)، وبقيت طائفة الريانيين في دمشق رغم تلاشي السامرة واختفاء طائفة اليهود القرائين، ويقال للواحد منهم رّي، ويعرفون "بالناموسيين" و "الريانيم" و "الكتبة" ويدعى الواحد منهم "بالحبر" أو "الرّي"، وكانوا يقيمون في حي اليهود في الزاوية الجنوبية الشرقية لدمشق داخل السور، وبصعب تحديد عددهم إلا أنه وحسب الإحصاءات التي أجريت في دمشق في عهد إبراهيم باشا سنة ١٨٤٠م قدر عددهم في دمشق بنحو (٢٥٠٠) يهودي^(٣)، إذاً تتميز هذه الفرقة من ناحية العقيدة بأمرين:

١- أنها تعترف بجميع أسفار العهد القديم والأحاديث الشفوية المنسوبة إلى موسى وأسفار التلمود.

^١ - ادريس، محمد جلاء: التأثير الإسلامي في الفكر الديني عند طائفة اليهود القرائين، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، ٨ع، ٢٠٠٣، ص ٢٣.

^٢ - شحاته: اليهود في بلاد المغرب الأقصى، ص ٨٣-٨٦.

^٣ - العلي: يهود الشام في العصر العثماني، ص ١١.

٢- أنها تؤمن بالبعث، فتعتقد أنَّ الصالحين من الأموات سيشترون في ملك المسيح المنتظر الذي يزعمون أنه سيأتي لينقذ الناس ويدخلهم في ديانة موسى^(١)

٢- اليهود القراؤون:

يطلق عليهم اسم العنانيين، وتعد هذه الفرقة من أحدث الفرق اليهودية من الناحية التاريخية، فقد أنشأها عنان بن داود أحد علماء اليهود في بغداد في أواخر القرن الثامن بعد الميلاد في عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور ويقوم مذهبها على التمسك بما جاء في العهد القديم وحده، وعدم الاعتراف بأحكام التلمود وتعاليم الرابانيين والحاخامات واسم "القرائين" نسبة إلى "مقرا" بمعنى الكتاب أو المكتوب، وهي الكلمة التي كانت تطلق على أسفار العهد القديم وحدها.

وقد ألغى عنان جميع التشريعات التي قررها الرابانيون والتي استندوا في تقريرها إلى أسفار التلمود، وأدخل على كثير من تشريعاتهم التي استمدها من فهمهم لنصوص العهد القديم تعديلات استمدها هو من اجتهاده الخاص ومن فهمه لنصوص العهد القديم^(٢)

وتعد فرقة القرائين الثانية من حيث العدد في دمشق، حتى إنهم كانوا يفوقون من حيث عددهم طائفة الرابانيين قبل القرن التاسع عشر، ثم أخذوا بالهجرة حتى لم يبقَ من آثارهم في دمشق في النصف الثاني من القرن التاسع عشر إلا مقبرتهم عند باب كيسان، وكان لهم وقف مشهور في منطقة الإحدى عشرية خارج باب شرقي كما كان لهم كنيس كبير في حي الزيتون حيث كانوا يقيمون إلى الشرق من حي اليهود، وتميز اليهود القرائين عن الرابانيين بعدة أمور كان من أهمها تقديس يوم السبت، وعدم القيام بأي عمل فيه، والإيمان بالتوراة وحدها، وعدم الإيمان بالتلمود وغيره من كتب

^١ - العجلاني: يهود دمشق الشام، ص ٥٧-٥٨.

^٢ - للمزيد حول فرقة القرائين أحيل القارئ إلى كتاب تاريخ اليهود القرائين منذ ظهورهم وحتى الوقت الحاضر، حسن، جعفر هادي: العارف للمطبوعات، بيروت، ٢٠١٤م، ط ٢.

الأخبار، كما أنهم اعتبروا بغداد مركزهم الرئيسي، ثم انتقلوا إلى القدس واتخذوا النجمة السداسية شعاراً لهم^(١)

ويذكر أنه مع بداية القرن التاسع عشر هاجر عدد من طائفة يهود القرائين في دمشق إلى مصر لما تمتعوا به من حرية اقتصادية في عهد محمد علي، وكان من بينهم بعض قادة الطائفة، حيث يذكر "كلود بك" كبير الأطباء في حكومة محمد علي، أنه وجد نحو ١٢٠٠ قرائي من أصل سبعة آلاف يهودي في مصر، وجد أغلبهم في القاهرة وكان غالبيتهم أصحاب مهن يعملون في صياغة الذهب والفضة^(٢).

٣- يهود السامرة:

هم أتباع السامري الذي صنع العجل وأضل اليهود، ويعتقدون أنهم من بني إسرائيل من بني يوسف بن يعقوب، وقيل إنهم من أهل المشرق قدموا إلى الشام وتهودوا، وانقسموا بعد وفاة سليمان عليه السلام، والسامرة لا يؤمنون بالتلمود، ولا يقدسون بيت المقدس، ولا يدخلونها ثم جعلوه محرماً، ويؤمنون بالتوراة التي نزلت على موسى فقط، وبالأسفار الخمسة الأولى وهي (التكوين - الخروج - اللاويين - العدد - التثنية)، ويتحدثون لغة غير لغة اليهود، ولهم عبادات تختلف عن بقية الفرق اليهودية، وهم فرقتان، أكثرهم سكن نابلس، وأطلق عليهم في العصر العثماني اسم "السمر"، وكان لهم حي في دمشق في طرف قرية جوبر قرب جسر تورا على طريق دوما، ولهم أيضاً حارة بالقرب من برج الروس، كما كان لهم كنيس خاص بهم في حارة العنابة، والمكان المقدس لديهم هو جبل جزريم في نابلس، وذلك لاعتقادهم بأنه المكان الذي ضحى فيه سيدنا إبراهيم بإسحاق، وبأن هذا هو المكان الذي أقام عليه الملك سليمان الهيكل المقدس الأول، ويعتقد السامرة بأنهم من نسل الأسباط الإسرائيلية

^١ - العلي: يهود الشام، ص ١٧-١٨.

^٢ - فارح وكرجاج، فيليب ويوسف: المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي العربي والتركي، ترجمة بشير السباعي، سينا للنشر، ط ١، القاهرة، ١٩٩٤، ص ٢٩.

العشر المفقودة^(١)، وهم يتكلمون اللغة العربية في حياتهم اليومية، في حين يستخدمون نوعاً من اللغة العبرية القديمة في طقوسهم الدينية^(٢)، وحسب زعمهم فإنّ تسميتهم بالسامرة نسبة لعاصمتهم مملكة إسرائيل القديمة، وهم يمثلون أصغر فئة أو طائفة دينية في العالم، فأعدادهم لا تزيد عن ٢٤٠ شخصاً، ويشككون بالكتب السماوية بل حتى يرفضونها، والسامريون ليسوا صهاينة بحكم معتقدتهم الديني، لأنهم لا يعترفون بقدسية جبل صهيون، ولا يؤمنون بنبوة داود وسليمان عليهما السلام، كما أنهم ينفون انتسابهم إلى إسرائيل أو حتى الإيمان بإله إسرائيل، إذاً فيهود السامرة حسب معتقداتهم هذه يعانون من عزلة سياسية واجتماعية، فقد رفضت بقية الطوائف اليهودية الاختلاط بهم أو الزواج منهم، حتى إنّ البعض عدّهم طائفة خارجة عن الديانة اليهودية^(٣)

^١ - ينسب السامريون أنفسهم إلى سبط يوسف، وينسب كهنتهم إلى سبط لاوي، ويعزو السامريون سبب انشقاقهم عن سائر قبائل إسرائيل إلى خلاف ديني نشأ بينهم وبين هذه القبائل، وطعن اليهود في أصلهم واعتبروهم وثنيين، وعندما دخل العرب فلسطين أخذ السامريون يدينون بالإسلام فقل عددهم إلى أن أصبحوا طائفة قليلة جداً، وهم يتكلمون اللغة العربية النابلسية العامية وقليل منهم يعرف العبرانية، ويعتبر السامريون أنفسهم محافظين ولا يزالون يحافظون على أدق شعائر العبادات والشرعية دون تأويل أو تحريف، ويزعمون أنّ التوراة التي في أيديهم هي أصدق وأقدم تورا، وهم يزعمون أنّ تورا اليهود قد فقدت مراراً وحرقت كثيراً، وأنّ التوراة التي بين أيدي اليهود ملفقة واختلّفت مع اليهود حول القبلة، فالسامريون يعتبرون جبل جرزيم الجبل المقدس الذي أمر إبراهيم الخليل عليه السلام بذبح ولده عليه، كما يختلفون مع اليهود في مواعيد الأعياد وشعائرها وفروعها، كما أنهم يحرمون نكاح امرأة الأخ الشقيق وبنت الأخ وزوج الأخت وامرأة العم وامرأة الخال، واليهود يحللونها، وهم متشددون في أداء شعائرتهم الدينية لا سيما يوم السبت، ويزعمون أنهم يطبقون أوامر التوراة حرفياً، وشروط العقيدة الأصلية عند السامريين خمسة وهي الاعتقاد بوحدانية الله، ونبوة موسى، وأنّ التوراة كتاب منزل، وأنّ جبل جرزيم هو مقدس، وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها، ولا يجوز أن يختلط الرجال بالنساء في الصلاة، ويتلون التوراة في الصلاة باللسان العبري القديم، ويجوز تلاوتها باللغة السامرية، ونساءهم محبات، ويجوز الزواج ثانية إذا كانت المرأة عاقراً أو مريضة، ولا يختلفون من حيث المواريث مع باقي الموسويين.

انظر: كرد علي: خطط الشام، ج٦، ص ٢١٣-٢١٩.

^٢ - العجلاني: يهود دمشق الشام، ص ٥٤-٥٧.

^٣ - عامر: يهود الدونمة والماسونية، ص ٧٢-٧٣.

ويذكر أن هذه الفرقة قد انقرضت من دمشق منذ العام ١٥٨٤م، ولم يعد لهم في دمشق أي وجود تاريخي^(١)، وهذه الفرق الثلاث (الريانيون - القراؤون - السامرة) انقرضوا من دمشق وحلب ولم يعد لهم ذكر بعد النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وأغلب اليهود الذين بقوا في هاتين الولايتين وأدوا دوراً بارزاً في حياة اليهود الاقتصادية والاجتماعية هم من يهود السفارديم الذي استقر قسم كبير منهم في دمشق، بينما استقر القسم الأكبر من يهود الأشكناز في حلب.

٤- يهود السفارديم:

المقصود بهم يهود حوض البحر الأبيض المتوسط والمشرق، الذين طردوا من إسبانيا إثر محاكم التفتيش الإسبانية ١٤٩٢م، وسكنوا دمشق وكانوا يتكلمون لغة "اللادينو" وهي مزيج من اللغتين اللاتينية والعبرية، ثم أصبحت العربية لغة مشتركة بينهم وبين اليهود المحليين، ويذكر أن أكثر يهود دمشق الذين بقوا في القرن التاسع عشر هم من السفارديم^(٢)، وقد اكتسب يهود السفارديم الصفات الجسدية التي كان يتصف بها سكان البلاد العربية من حيث البشرة واستدارة الوجه وطول الخصر^(٣)

٥- يهود الاشكنازيم:

أطلقت لفظة أشكنازيم على يهود ألمانيا وبولندا وروسيا، أي اليهود الذين استقروا في أوروبا الشرقية، ويشكل يهود الأشكناز غالبية يهود العالم أي بنسبة ٨٠ - ٨٥% وقد أطلقت هذه الكلمة أو المصطلح كإشارة إلى الشعب والبلد الموجودين على حدود أرمينيا في أعالي الفرات، وفي العصور الوسطى أصبحت الكلمة تشير إلى الأراضي التي يسكنها الجنس الجرمانى، ثم خصت اليهود الذين سكنوا ألمانيا فقط، رغم أن البعض منهم استقر في شمال فرنسا وشرقها وفي النمسا وروسيا.

^١ - العلي: يهود الشام، ص ١٨ - ٢١.

^٢ - العجلاني: يهود دمشق الشام، ص

^٣ - عامر: يهود الدونمة والماسونية، ص ٦٨.

كما هاجر معظمهم إلى شرق أوروبا في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، ولم يكن معظم يهود الأشكناز يتحدثون العبرية، بل كانوا يتحدثون اللغة "اليديشية" ولكن بحروف عبرية.

وركزت الحركة الصهيونية جهودها على هجرة يهود الأشكناز، حيث بلغ عدد اليهود الأشكناز الذين هاجروا إلى فلسطين سنة ١٩٣٠م قرابة ٧٧% من مجموع المستوطنين اليهود^(١)، وذكرت وثائق حلب وجود يهود أشكناز فيها، وقد تعاملوا مع السكان المحليين ومع جميع الطوائف وكانوا يبادلونهم عمليات البيع والشراء وغيرها من مظاهر الحياة الاقتصادية والاجتماعية، فمن خلال دعاوى الدين ذكر اسم الخواجه ميخائيل ولد أبراهام الأشكنازي اليهودي^(٢)، وفي وثيقة أخرى باع شمويل ولد موسى ولد إسحاق اليهودي لحاخا حيم ولد داويد الأشكنازي اليهودي نصف داره المقدرة بأربعة وعشرين قيراطا^(٣)

^١ - عامر: يهود الدونمة والماسونية، ص ٦٩ - ٧٠.

^٢ - سجلات المحكمة الشرعية بحلب: رقم ٢٦٨، وثيقة ٢٠٠، (ت ١٢٧٠هـ / ١٨٥٤م)

^٣ - سجلات المحكمة الشرعية بحلب: رقم ٢٦٧، وثيقة ٢٨٨، (ت ١٢٩٠هـ / ١٨٧٤م)

رابعاً: التعليم عند اليهود:

أولاً: اللغة العبرية:

اللغة "العبرية" هي لغة الطائفة اليهودية منذ ظهورهم، يستعملونها في أداء فروض صلواتهم اليومية وشعائهم الدينية، وهي شبيهة جداً باللغة الآرامية، وعدد حروفها ٢٢ حرفاً مجموعة في " أبجد هوز حطي كلمن سعفن قرشت" وكان للغة العبرية الفضل الأكبر في حفظ حياة اليهود وجمع شملهم في البلدان المختلفة والمحافظة على كيانه^(١)، إلا أنها كانت مهملة في جميع البلاد العربية، إذ كان اليهود في معظم الأحيان لا يستعملون هذه اللغة إلا في صلواتهم. وكان إهمال اليهود للعبرية نتيجة للسبي البابلي لهم (٥٣٩ ق.م) وأصبحت الآرامية هي اللغة التي يستعملونها في حياتهم اليومية ، حتى إنّ اللغة القديمة التي كتبت بها التوراة قد تأثرت بعد السبي البابلي باللغات الآرامية واليونانية والفارسية، وبقيت اللغة العبرية في جميع البلدان التي تفرق فيها اليهود بما فيهم يهود دمشق وحلب على حالها مهملة إلى أن اختلط اليهود بالمسلمين، وتعلموا اللغة العربية، وتحدثوا بها ولم تكن لهم أية معرفة باللغة العبرية أو باللغات الأوروبية في الوقت الذي حافظت فيه الديانة اليهودية في سوريا على تقاليد^(٢)

وبقيت اللغة العبرية مهملة حتى تمّ إحيائها من جديد في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين وهي عبارة عن خليط مؤلف من ثلاثة لغات رئيسية هي اللغة العربية ولغة اللادينو وهي الإسبانية العامية التي كان يتحدث بها يهود إسبانيا (السفارديم) وهم العرب الإسبان، ولغة البيديش المستمدة من اللهجة الألمانية. وكانت أهم مرحلة أدت إلى إحياء ونشر اللغة العبرية هي إقامة دولة

^١ - كرد علي: خطط الشام، ج٦، ص٢١٢-٢١٣.

^٢ - الخالدي، خالد يونس: اليهود في الدولة العربية في الأندلس (٩٢-٨٩٧هـ / ٧١١-١٤٩٢م). فلسطين، غزة، ٢٠١١م، ص٣٩٦-٣٩٧.

الكيان الإسرائيلي على أرض فلسطين، فتحوّلت العبرية من لغة مقدسة قاصرة على الكتب الدينية والصلوات اليهودية إلى لغة حية^(١).

ثانياً: المدارس اليهودية في دمشق وحلب:

مرّ التعليم لدى اليهود بمرحلتين: الأولى تبدأ منذ القديم وتنتهي مع منتصف القرن الثامن عشر، والثانية تبدأ في أواخر القرن الثامن عشر وتنتهي منتصف القرن العشرين، وفي المرحلة الأولى كان التعليم يشمل شيئاً من الحساب ومبادئ القراءة والكتابة، أما في المرحلة الثانية فقد ارتقى التعليم نتيجة لعدة عوامل أهمها: استقرار يهود أوروبا الغربية في دمشق وحلب وعلاقاتهم الخارجية، ثمّ مجيء البعثات التبشيرية وفتح المدارس الحديثة التي استقبلت جميع الطلاب من "الملل الثلاث" ولكن رغم ذلك فقد كان لليهود مدارسهم الخاصة، لأنّ الشخصيات اليهودية المستتيرة بادرت بإنشاء مدارس الأليانس^(٢)، لما كانت تشعر به من قلق بالغ بسبب التحاق الأطفال اليهود بالمدارس التبشيرية المسيحية والحكومية.

وكان التعليم عند اليهود مقيداً بالقواعد الدينية، وكان العديد من أبناء الطائفة اليهودية يتابعون دراستهم في مدارس أبرشية (مسيحية) أو في المدارس الحكومية، وكانت هذه المدارس تركز على مبادئ

^١ - المسيري: موسوعة اليهود واليهودية، ج ٣، ص ٤٤٧ - ٤٥٠.

^٢ - الأليانس: هي يونيفرسل الأليانس إسرائيلية (التحالف الإسرائيلي العالمي). Alliance Israelite Universelle. هي منظمة يهودية فرنسية توطينية تأسست عام ١٨٦٠م في باريس بهدف الدفاع عن الحريات المدنية والدينية للجماعات اليهودية وتنمية المجتمعات اليهودية المختلفة عن طريق التعليم والتدريب المهني وإغاثة اليهود في الأزمات. ولعبت المنظمة دوراً مهماً في خدمة المصالح الاستعمارية الفرنسية، من خلال نشر الثقافة الفرنسية. وكان لعائلة روتشيلد الغنية اليهودية المعروفة في أوروبا وخاصة في فرنسا وأنكلترا دور مهم وبارز في هذا الاتجاه، حيث عملوا على تحويل سياسات الأليانس والتأثير عليها وربطها بالمصالح الاستعمارية الفرنسية آنذ، كما عمل أدولف كريمية رجل الدولة الفرنسي اليهودي الذي ترأس الأليانس في الفترة (١٨٦٣-١٨٨٠م) على توثيق التعاون بين المنظمة وبين الخارجية الفرنسية والسلطات الفرنسية في مستعمراتها، ولعبت هذه المدارس دوراً مهماً في نشر الثقافة الفرنسية بين أعضاء الجماعات اليهودية في العالم العربي والإسلامي، وخصوصاً في دول المغرب العربي وسوريا ولبنان. انظر: العجلاني: يهود دمشق الشام، ص ٢٠٩-٢١٠.

الإيمان ولا يتجاوز تعليمهم مزامير داوود، فقد سيطرت على مواد الدراسة فيها الموضوعات الدينية المتعلقة بشروحات الكتاب المقدس^(١)، كما كانت الكُنُس مكاناً للدراسة حيث كانت تعقد فيها حلقات العلم، حيث سبق وأكدنا أنَّ الكُنُس كانت مكاناً للعبادة والدراسة^(٢)، وشهد النصف الثاني من القرن التاسع عشر تأسيس العديد من المدارس اليهودية في دمشق وحلب كمدرسة الإليانس، ومدرسة ابن ميمون، ويذكر أنَّ الثري العراقي اليهودي خضوري زلخة أنشأ لهم مدرسة بدمشق بالقرب من مقبرة باب كيسان^(٣) إلا أنَّ أكثر المدارس اليهودية التي انتشرت في البلاد العربية بما فيها دمشق وحلب، وكان لها دور كبير في تطوير نظام التعليم اليهودي، وتخريج عدد من المثقفين اليهود كانت "مدارس التحالف الإسرائيلي العالمي".

- مدارس الأليانس:

تأسست في الخمسينيات والستينيات من القرن التاسع عشر العديد من المدارس اليهودية الحديثة داخل الدولة العثمانية، وكانت هذه المدارس تحظى بمساعدة مالية من قبل الشخصيات اليهودية الثرية بأوروبا التي قامت بإرسال المدراء إلى هذه المدارس، ومع هذا لم يتطور التعليم اليهودي في الدولة إلا بعد أن قامت هيئة الأليانس بتأسيس العديد من المدارس في أقطار الدولة، حيث رأت هذه الهيئة التي تأسست في باريس عام ١٨٦٠م ضرورة نشر أفكار حركة التنوير الأوروبية في أوساط يهود الشرق، والعمل على تقديم المساعدة لليهود هذه البلدان^(٤).

فكان أن أقيمت في دمشق عام ١٨٦٥م أول مدرسة تابعة للأليانس، كما أقيمت في حلب مدرسة أخرى عام ١٨٦٩م، حيث كان الوضع الثقافي والتعليمي متدنياً وذلك لأنَّ اليهود اهتموا بالتجارة والأنشطة الصناعية فأهملوا الجانب التعليمي، وقد ذكر أفراهام المالح الذي كان مدير إحدى

^١ - مزامير داوود: أي الأناشيد التي كان يترنم بها اليهود مع النفخ في القصب، وفي التوراة سفر خاص بالمزامير سفر المزامير يتضمن "١٥٠" صلاة وتسبيحة إعتاد اليهود تلاوتها في عبادتهم. انظر: الكتاب المقدس، سفر المزامير.

^٢ - حريثاني: تاريخ اليهود في حلب، ص ١٢٣-١٣٠.

^٣ - العجلاني: يهود دمشق الشام، ص ٢٠٩.

^٤ - قاسمية: يهود البلاد العربية، ص ١٥٥-١٥٧.

المدارس اليهودية في دمشق عن وضع التعليم في دمشق بقوله: " بالرغم من أنَّ مدينتنا لا تبعد كثيراً عن حيفا إلا أنَّ يهود حيفا أكثر تقدماً من الناحية الثقافية من يهود دمشق" وقامت مدرسة الأليانس بافتتاح مدرسة للبنين عام ١٨٨٠م ومدرسة أخرى للبنات عام ١٨٨٣م، كما افتتحت مدرسة في دمشق عام ١٩١٠م التحق بها المئات من تلاميذ اليهود، وكان لهذه المدارس أثرٌ كبيرٌ في تخريج العديد من الصحفيين والمؤرخين والمحامين والأطباء اليهود، الذين كان لهم الدور البارز في تغيير أوضاع المجتمع اليهودي وتحويله من مجتمع تقليدي يتحكم فيه الحاخامات وأثرياء اليهود إلى مجتمع حديث ومتطور بعض الشيء، حيث تمكنت هذه المدارس من تغيير أساليب حياة وتفكير يهود الدولة، رغم أنَّ هذه المدارس لم تحرص على تشجيع طلابها من اليهود على تبني أفكار الحركة الصهيونية، أو على التمسك بقيم الديانة اليهودية إلا أنَّ معظم قادة الحركة الصهيونية كانوا من خريجي مدارس الأليانس، لذا فإنَّ مدارس الأليانس أسهمت في تعريف يهود الشرق بالثقافة الغربية، وأدت إلى ابتعادهم عن التقاليد والعادات الشرقية اليهودية^(١).

وبشكل عام فإنَّ المدارس اليهودية وضعت مواد الدراسة بناءً على توجيهات من الحاخامية في الأستانة، التي كانت المسؤولة عن يهود الدولة، ومن أبرز هذه المواد الرسم والنحت والحساب والعلوم واللغات (العبرية والانكليزية والفرنسية) وقد ركز اليهود في هذه المدارس على مادتي الرسم والنحت، كما درسوا الجغرافيا والتاريخ اليهودي، فقد تعهدت المنظمة اليهودية (الأليانس) في العالم بتقديم المساعدة لليهود أينما وجدوا، وقد مثل هذه المنظمة قبل تأسيسها أغنياء اليهود الذين أجمعوا على تقديم الدعم المادي والمعنوي والسياسي لليهود الشرق، وقد افتتحت الأليانس مدرسة رشدية بدمشق سنة ١٨٨٣م للذكور فقط، وعهدت لليهودي (موسوفرنكي) من أصل فرنسي بإدارة المدرسة وقد بلغ عدد طلابها تسعين طالباً. حيث كانت مدرسة الأليانس تدرس بجدية وضع مدارسها في الشرق، وكان يتم مراقبتها أينما كانت لأنه حسب قول وايزمان^(٢) "لولا التعليم لما توصلنا إلى الإمساك بمقدرات العالم

^١ - آتينجر: اليهود في البلدان الاسلامية، ص ٢٤١-٢٤٤.

^٢ - وايزمان: إسرائيلي صهيوني لعب دوراً كبيراً في استصدار وعد بلفور، وكان رئيس المنظمة الصهيونية العالمية في مؤتمر باريس ١٩١٩.

الفكرية، فعمدنا إلى ربط الاقتصاد بالفكر وأصبحنا نفرض رأينا على العالم" وشملت البعثات التبشيرية التي جاءت إلى الشرق اليهود حيث تم تأسيس مدرسة انكليزية يهودية في دمشق خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر، بلغ عدد طلابها (٢٥) طالباً درّس فيها ثلاثة معلمين ومدير وآذن وكان يتم تدريس اللغات الثلاث فيها العبرية والعربية والتركية، فضلاً عن مواد أساسية أخرى أبرزها الحساب والرسم، ومن الصعب جداً دراسة تاريخ اليهود التعليمي بالتفصيل الدقيق، لأنّ اليهود تظاهروا بأنهم يهتمون بالتجارة رغم أنهم وحسب تأكيد جميع دارسي تاريخ اليهود على أنهم أكثر شعوب الأرض تعلماً، وسعوا إلى التخصص باختصاصات شبه نادرة، وتمكنوا في العقد الأخير من القرن التاسع عشر من تحقيق تقدم تكنولوجي واضح، ثمّ عملوا على تولي مركز الريادة السياسية، وتمكنوا من تحقيق أحلامهم وأهدافهم على حساب الغرب والشرق^(١) ودرّس في المدارس المسيحية في دمشق (٤٠) طالباً يهودياً، وحتى بعد أن تمّ افتتاح مدرسة الأليانس في سوريا بقي الكثير من الطلبة اليهود يدرسون في المدارس المسيحية الموجودة في المدينة^(٢).

أما في حلب فقد قامت جمعية "الاتحاد الإسرائيلي" بتأسيس ثلاث مدارس في حي الجميلية يدرس فيها أساتذة قديرون، وتؤمن نفقاتها عن طريق مراكز هذه الجمعية في أوروبا وأمريكا^(٣).

كما قامت بتأسيس مدرسة في حي الإسماعيلية انتسب إليها أبناء اليهود الأغنياء والفقراء ومتوسطي الحال، وتدرس فيها العربية والعبرية إلى جانب الفرنسية، وقد تخرج منها كثيرون من الشباب اليهود في حلب، وحصلوا على الشهادة الثانوية الفرنسية، وعملوا في التجارة وتوظفوا في المصارف المحلية أو الأجنبية، وبقي اليهود الذين تلقوا تعليمهم في هذه المدارس وفي مدارس المؤسسات المسيحية متمسكين بتعاليم الديانة اليهودية، رغم أنّ هذه المدارس ساهمت في نشر الفكر الحديث في أوساط اليهود، وتمكنت هذه المدارس الأجنبية من التأثير في الوعي الثقافي لليهود حلب،

^١ - طوبال، سحر: مدارس غير المسلمين في بلاد الشام، رسالة ماجستير غير منشورة، دمشق، ... ص ٩١ -

^٢ -Cohen, Under crescent and Cross: The Jews in the Middle Ages, p. 139.

^٣ - سورمايان: تاريخ حلب ، ص ٣٢٢.

وأدت إلى ظهور جيل جديد من اليهود يعرف شيئاً عن تعاليم الديانة اليهودية، عملوا بعد تخرجهم بالتدريس في المدارس اليهودية وفي المدارس الرسمية واختصوا بتدريس العلوم واللغتين العبرية والفرنسية في مدارسهم^(١).

دور الأليانس في الهجرة اليهودية:

أدت مدارس الأليانس دوراً مهماً في الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وكانت عاملاً مساعداً على قيام "الكيان الاسرائيلي" من حيث الثقافة والتعليم، فقد كرست هذه المدارس ثقافة الإنغلاق عن الآخرين والتمايز عن بقية الأمم، وهذه المدارس بإمكاناتها القوية والمتعددة شجعت عقول تلامذتها بواجب التضامن مع اليهود أينما كانوا، وأقنعتهم بأن كل ما يهم يهود العالم يهم بني ملتهم في البلدان المنتشرين فيها، وقد أدت هذه الثقافة في نهاية المطاف باليهود القاطنين في البلاد العربية إلى الاعتقاد بأنه لا مكان لهم داخل المجتمع العربي، لأنه مجتمع يحدد هويته وفق اعتبارات دينية وثقافية (إسلامية وعربية).

فقد كان معظم معلمي المدارس اليهودية ومدرسيها الذين يدرّسون اللغة العبرية إن لم نقل جميعهم كانوا من دعاة الصهيونية ومن المتحمسين لإقامة الكيان الصهيوني، ممن يحرصون على غرس المفاهيم الواردة في التلمود في نفوس التلاميذ، وهي أساس المنطلقات الفكرية والسياسية للحركة الصهيونية العالمية، كما وردت في بروتوكولات المؤتمر الصهيوني العالمي عام ١٨٩٧ والمؤتمرات اللاحقة لهذا المؤتمر.

أغلقت معظم مدارس الأليانس بعد إعلان قيام "الكيان الإسرائيلي" عام ١٩٤٨م، حيث تمّ إغلاق هذه المدارس في أكثر البلدان العربية أو تقلصت خدماتها وقلّ طلابها بسبب الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وبسبب عدم ارتياح الحكومات التي جاءت بعد الاستعمار لهذه المدارس التي أدت دوراً

^١ - حريثاني: تاريخ اليهود في حلب، ص ١٢٨ - ١٢٩.

في الاستعمار وفي تشجيع الهجرة إلى فلسطين كما في سوريا والعراق ومصر، ففي فلسطين أصبحت مدارس الأليانس خاضعة للنظام التعليمي الإسرائيلي وأصبحت لغة التدريس فيها العبرية^(١).

وفي سوريا أغلقت مدارس الأليانس وحُوِّلت إلى مدارس تابعة للمؤسسة العامة للاجئين الفلسطينيين التي رعت مصالح الفلسطينيين هناك، ففي دمشق نظراً إلى حجم مدرسة الأليانس الكبير، تحولت إلى مجمع للمدارس، قسم داخلي يسمى «معهد الشهيد سعيد العاص» يعنى بالطلاب الأيتام إذ يتلقون رعاية اجتماعية وعلمية في المدرسة، وقسم تشرف عليه الأونروا يسمى «مدرسة فلسطين» للتعليم الأساسي، وقسم ثالث للرعاية الاجتماعية والصحية تشرف عليه الأونروا، وتحولت فيما بعد إلى روضة زهرة فلسطين تابعة لوكالة الغوث الفلسطينية^(٢).

وفي مصر ألحقت هذه المدارس بالأوقاف اليهودية وبعضها صار يتبع هيئة الآثار اليهودية، ومازالت أربع مدارس مفتوحة إلى اليوم واحدة في القاهرة وواحدة في الفيوم واثنان في الإسكندرية يتعلم فيها ما بقي من أبناء اليهود.

وفي العراق أغلقت هذه المدارس، وخاصة بعد هجرة اليهود إذ لم يبق إلا خمسون يهودياً مع بداية الاحتلال الأمريكي وربما لم يبق أحد منهم الآن^(٣).

يمكننا القول بشكل عام: إنَّ الدول الاستعمارية الأوروبية سعت إلى زيادة نفوذها في العالم العربي والاسلامي عن طريق فرض الحماية على ما كان يعرف بأهل الذمة بحجة اعطائها حقوقاً وميزات لم تكن متاحة لها كان شكلاً من أشكال الاستعمار الاستيطاني فوجدت في تأسيس الأليانس ذات الاتجاه الصهيوني الدور الكبير في تنفيذ مخططاتها داخل البلاد العربية.

^١ - الزبيدي، وليد: خمس محطات يهودية "يهود العراق تاريخهم وماذا تبقى منهم" مكتبة جزيرة الورد، بغداد، ٢٠١٥. ص ٥٢

^٢ - العجلاني: يهود دمشق الشام، ص ٢١٢-٢١٣.

^٣ - الزبيدي: خمس محطات يهودية، ص ٥٣، ٥٤.

سادساً: المعابد والكُنىس اليهودية في دمشق وحلب:

أ- تعريف المعبد ومهامه:

المعبد في اللغة العربية هو مكان الاجتماع للعبادة، ويقال له بالعبرية "بيت كنيست" أي بيت الاجتماع لكن الكنيس اليهودي لم يكن في يوم من الأيام مكان عبادة فحسب بل كان مدرسة ومركزاً اجتماعياً، إنَّ تاريخ بناء المعابد اليهودية يعود إلى فترة التهجير البابلي، وبعد هدم الهيكل أصبح المعبد المركز القومي والاجتماعي لليهود، حيث تقام فيه الصلوات يومياً، وتُقرأ التوراة في المعبد كل يوم سبت، وفي يومي الاثنين والخميس من كل أسبوع، وأهم مكان في الكنيس هو تابوت العهد الذي يحوي على الأسفار الخمسة للتوراة حيث يتم تلاوة جزء معين من التوراة كل أسبوع على مدار السنة وتتخذ الصلوات شكلاً احتفالياً في أيام السبت وأيام الأعياد المقدسة^(١)

انطلاقاً من حرص اليهود على المحافظة على تقاليدهم وطقوسهم الدينية، فقد كان أول عمل يقومون بفعله عند دخولهم مدينة جديدة بعد بناء حي خاص بهم وذلك تجنباً للاختلاط بأهل البلاد، وحرصاً منهم على توثيق الروابط الدينية والعنصرية بينهم، فكان أول ما يفكر به اليهودي بعد بناء الحي هو بناء الكنيس تؤكد المصادر التاريخية أنَّ لكل غني يهودي كنيساً خاصاً به، وكل أب هو بمنزلة الحاخام في بيته^(٢)

لقد أعطى اليهود أهمية كبيرة للعبادة لدرجة قيامهم بتعيين موظفين مختصين لمراقبة من يحافظ على الالتزام بأداء القواعد الدينية من عدمه^(٣).

يحتوي الكنيس اليهودي على منصة صغيرة لها أربع أرجل تنقل إلى وسط الغرفة لقراءة التوراة، وفي كل كنيس توجد لوحة كتب عليها اسم الله بالعبرية، وفي وسطها شمعدان ذو سبعة أذرع

^١ - العجلاني: يهود دمشق ...، ص ٢١٨.

^٢ - عرابي، رجا: سفر التاريخ اليهودي، الأوائل للنشر، دمشق، ط ٢، ٢٠٠٦م، ص ٢٥٥.

^٣ - اوغلو: اليهود في الدولة العثمانية...، ص ٢٢٣.

نسبة لأيام الأسبوع كما كان يتوجب عليهم خلع الأحذية قبل دخول الكنيس، وعندما يدخل اليهودي للكنيس ينحني أمام خزانة نصوص التوراة ويمرر يده أمام فمه مقبلاً إياها، وتفتح كنيس اليهود دائماً ولا تخلوا في وقت من بعض كبار السن الذين يجلسون فيها ويتلون الصلوات، ولم يسمح للمرأة بدخول الكنيس حفاظاً على طهارته كما يمنع التدخين في الكنيس^(١)

ويؤكد القساطلي على كثرة عدد الكُنُس اليهودية في دمشق وحلب بقوله: "أما كُنُس اليهود في دمشق وحلب فهي كثيرة جداً حتى يكاد يوجد في بيت كل غني حجرة كبيرة مفرزة للعبادة العمومية، وأما الكنائس العامة في دمشق فعددها عشرة وأشهرها كنيس سوق الجمعة"^(٢)

الجدير بالذكر أنه رغم كثرة عدد الكُنُس اليهودية في دمشق وحلب إلا أنَّ المصادر والمراجع لا تذكرها جميعها ربما لعدم أهميتها التاريخية فاقترنت على ذكر الكُنُس ذات المكانة التاريخية والدينية، ولم تذكر المصادر أو حتى الوثائق ما يدل على بناء كنيس في القرن التاسع عشر سوى أعمال ترميم وتجديد لبعض الكُنُس منها كنيس جوبر الذي كان قائماً حتى نهايات القرن العشرين، وتعرض للخراب والتدمير نتيجة ما تعيشه سوريا من أحداث منذ العام ٢٠١١م، والتي أدت إلى تخريب كنيس جوبر وزوال بعض آثاره.

^١ - أبو جبل: يهود اليمن...، ص ١٤ - ١٢٢.

^٢ - القساطلي: الروضة الغناء....، ص ١٠٤.

٢- كُنُس اليهود في دمشق:

اشتهرت دمشق على مر العصور التاريخية بوجود عدد من الكُنُس اليهودية، منها كنيس الجمعة وكنيس الافرنج وكنيس جوبر، فضلاً عن عددٍ لا يحصى من الكُنُس الموجودة في البيوت ولاسيما بيوت الأغنياء منهم كبيت شمعايا وبيت لزبونا ومدرسة الاتحاد ومدرسة بن ميمون. ومن الكُنُس التي لا تزال باقية إلى الآن.

- كنيس الافرنج:

يقع هذا الكنيس في حارة اليهود بحي الأمين، ولم تذكر المصادر التاريخية سنة بناء هذا الكنيس، رغم أنه الكنيس الوحيد الذي لا يزال إلى الآن قائماً، وهذا الكنيس لا يفتح إلا يوم السبت والأعياد لقلة عدد اليهود، ولا يزال محافظاً على بنائه وفرشه وأدواته الدينية بشكل جيد، ويؤدي اليهود في الكنيس طقوسهم الدينية ويقومون بالدعاء داخله بعد وضع الغطاء الأبيض على رؤوسهم، والقبعة اليهودية المشهورين بها، والشال على كتفهم والذي يسمونه الطيلسان^(١)

- كنيس جوبر:

هو أقدم كنيس يهودي في العالم، ويقع في شارع المدرسة وسط بلدة جوبر وفيه أقدم تورا في العالم وكذلك فيه مقام للنبي الياهو "ايليا أو الياس" وقد رويت روايات عدة حول سبب بناء هذا الكنيس^(٢) والرواية الأشهر هي أنَّ النبي الياس (الياهو) عند هروبه من اضطهاد ايزابيل^(٣) لجأ إلى

^١ - العجلاني: يهود دمشق...، ص ٢٢٢. الطيلسان: كلمة أعجمية معربة وهو ثوب يلبس على الكتف وهو الشال الذي يضعه اليهودي على كتفه وخاصة أثناء قيامهم بواجباتهم الدينية، وهو رمز من الرموز الدينية يلبسه الرجال للصلاة.

^٢ - زيتون، جوزيف: أقدم كنيس يهودي في العالم، ١٧/١/٢٠١٧. بحث منشور على الانترنت.

^٣ - زوجة أخاب أحد ملوك المملكة الشمالية (٨٧١-٨٥٢) وابنة ملك صور وصيدا. انظر: المسيري، موسوعة اليهود واليهودية، ج ٤، ص ٣٠٣.

ذلك المكان في ٤٣ للخلقة وبُشر الإشاع بن سافاط نبياً على يد الياهو نبياً على يد الياهو النبي، لهذا أقام اليهود كنيسهم في ذلك المكان حيث كانوا يحتفظون فيه بثلاثة قناديل مضاءة، ويقومون فيه صلواتهم، ويعتبر كنيس جوبر من أجمل كنس اليهود وأكثرها بذخاً فهو مبنى كبير من الحجر، سقفه عال وجدرانه مغطاة بالخشب الغامق، تمّ فرشها بأجمل الأثاث ووضعت في أرجائه الرموز الدينية اليهودية، في المدخل الشمالي للكنيس توجد لوحة رخامية حديثة كتب عليها باللغات الثلاث العبرية والعربية والإنكليزية عام بناء الكنيس (٤٣) للخلقة، وفي منتصف الكنيس سدة عالية وفي الزاوية الجنوبية الغربية توجد مغارة يقولون إنّ النبي الياس اختبأ فيها عند هروبه من اضطهاد ايزابيل ينزل منها في سبع درجات منحوتة في الصخر، وفي الجدار الجنوبي من الكنيس توجد خزانة عليها قفل وبداخلها نسخة نادرة من التوراة ومحفوطة بطريقة جميلة جداً، وإلى الشرق توجد غرفة استقبال فيها لوحة تمثل سيدنا سليمان وهو يحكم بين امرأتين، وفي الكنيس صفيين من الأعمدة يرتفع فوقها سقف من الخشب ويزين الجدران لوحات عديدة، وقد ورد ذكر هذا الكنيس في التلمود البابلي منذ أكثر من ألفي عام، ما يميز كنيس جوبر كثرة الأعمدة فيه فإلى اليمين ستة أعمدة وسبعة أعمدة إلى اليسار، وبعد هذا الكنيس أقدم كنس دمشق على الإطلاق، وحتى القرن التاسع عشر اعتاد اليهود في دمشق وخاصة القاطنين في جوبر على زيارة هذا الكنيس في يوم السبت مشياً على الأقدام، حيث يقومون فيه الصلوات وله عندهم مكانة كبيرة، وقد ذكر في سفر الملوك الثالث الفصل التاسع عشر الآيات (١٥-١٦)^(١)

تمّ تجديد وترميم للكنيس في القرن التاسع عشر مرات عدة، ففي العام ١٨٠٣م عين نشة بن أرزي اليهودي ناظراً على وقف كنيس جوبر وأذن له بقبض وصرف وإيجار واستئجار وترميم وصيانة الكنيس، وفي فترة توليته جرت محاولة من قبل أمين بن بابا علي الزيات ومصطفى بن عبيد مطر

^١ - محجوب، بشير: جوبر تاريخها وحاضرها، دمشق، ١٩٩٩م. ص ٨٨-١١٢ .

وهما من أهالي قرية جوبر بوضع يدهما على جميع قطعة الأرض الكائنة بأراضي قرية جوبر وهي أراضي جارية في وقف الكنيس، وذلك بحجة جريانها في مشد مسكتهما^(١)

وفي العام ١٨٤٠ كان يشرف على الكنيس الحاخام يعقوب عينتابي الذي كان ربي الديانة اليهودية في الشام، ولم يكن عارفاً للكتابة العربية ومن حاخاماتهم المشهورين في عهد ابراهيم باشا المصري موسى أبو العافية الذي أسلم إثر حادثة مقتل البادري توما الكبوشي في حي اليهود^(٢) في النصف الثاني من القرن التاسع عشر تم تعيين ناظر جديد علة وقف كنيس جوبر وهو المعلم بيلخور بن المعلم الحاخام سليمان اليهودي، وكانت صلاحياته واسعة وسعى هذا الناظر للاهتمام أكثر بأمور الكنيس فاشترى بمال الوقف ولمصلحة الوقف من مصطفى بن درويش من أهالي قرية جوبر جميع بركة الماء التي أولها من بستان الفرمانى وآخرها جنيئة الكنيس بقرية جوبر، وهذه البركة تستمد ماءها من نهر تورا بثمن قدره ألفين قرش^(٣).

يلاحظ مدى الدور الهام لناظر الكنيس في الاهتمام بتحسين أمور الكنيس وترميمه، ويتبين مدى أهمية كنيس جوبر التاريخي بالنسبة لليهود دمشق.

- كنيس الزيتون:

^١ - مشد المسكة: هو حق العمل في الأرض لمن يستأجرها ويُصلحها أو يزرعها، وهذا الحق شرعي، وهو يباع ويورث ولا قيمة لأي أرض تسترى، إذا لم يشتر معها حق مشد المسكة، أي حق استلام الأرض فعلاً من الذي يضع يده عليها ولكن ثبت بطلان حجتهم لأنهما قد أخذوا الإذن من أصلان بن يوسف الدباح اليهودي المتولي على الكنيسة المذكورة أجروهما الأرض لمدة تسع سنين كاملة، على سبيل الحكر الاصطلاحي، فذكر المدعي أنض المؤجر المذكور ليس هو متولي وقف الكنيسة، فطلب منه إبراز سند توليته الوقف، فقال إنه لا سند له بذلك. فطلب القاضي من المدعي عليهما إثبات أن المؤجر المذكور هو متولي الوقف، فلم يثبتا وعجزا عن ذلك العجز الشرعي. سجلات المحكمة الشرعية بدمشق رقم ٢٥٠، ص ٣٦٢، ٣٦٤، وثيقة ٦٦١، ٦٦٥. (ت ١٢١٧هـ / ١٨٠٣م).

^٢ - نعيصة: يهود دمشق، ص ١٣.

^٣ - سجلات شرعية دمشق رقم ٥٦١، وثيقة ٨٦، (ت ١٢٨٠هـ / ١٨٦٤م).

هو كنيس كبير خاص باليهود القرائين، في حي الزيتون حيث كانوا يقيمون، إلى الشرق من حي اليهود^(١) وبقي هذه الكنيس حتى دخول ابراهيم باشا المصري إلى دمشق ١٨٣٢م، حيث قام الروم الكاثوليك بشراء موضع الكنيس وما حوله من الدور والأبنية، وأقاموا في مكانها كنيستهم الكبرى المعروفة باسم سيدة النياح، وانقرضت بعد ذلك فرقة القرائين في دمشق^(٢). ولا تصف لنا المصادر أي شيء بخصوص هذا الكنيس.

٣- كنس اليهود في حلب:

لليهود في حلب كُنُس عدة، وكقدم وأهمية كنيس جوبر في دمشق يوجد في حلب كنيس قديم لليهود يقع في بلدة تادف التي تبعد عن حلب حوالي ميلين وفيها قبر عزرا الكاتب الذي كان يكتب التوراة وله قدسية عند اليهود ونسجت حول الكنيس الكثير من الأساطير التي تضيف عليها طابع القداسة^(٣) يحتوي كنيس تادف على كتابة عبرية تمت ترجمتها وتعني "هنا جلس عزرا الكاتب يكتب التوراة" كان هذا الكنيس عبارة عن مدرسة ومعبداً يرتاده يهود حلب، ويطلق على هذا الكنيس تسميات مختلفة، فيسميه العامة اليوم "كنيسة اليهود" أما سكان الحي القدامى فيعرفونه باسم "كنيس سلويرة"^(٤) وفي بحسيتا كنيسان لليهود تعرف بالمدراش أي بيت الدين، وأول هذه الكنس:

- الكنيسة الصفراء:

وهي عبارة عن عمارة مستطيلة من الغرب إلى الشرق مسقوفة كلها، وفيها فتحة سماوية ومرفوعة على عضادات منها عمودان مزدوجان مع بعضهما. قواعدها العليا تدل بشكل واضح على مدى الإبداع في فن العمارة، في كل ثلث من جهاتها توجد حجرة لها باب جميل مرخم بالحجارة

^١ - العليبي: يهود الشام...، ص ١٧.

^٢ - العجلاني: يهود دمشق...، ص ٢٣٠.

^٣ - Josef W. Meri , The Cult Of Saints Among, Muslims And Jews In Medieval Syria. New York, 2002, p. 24.

^٤ - فؤاد هلال، تاريخ وتنظيمات العيش المشترك في سوريا "حلب انموذجاً" محاضرة أُلقيت في حلب بتاريخ

٢٤/١٢/٢٠٠٨م http://www.maaber.org/issue_june09/lookout4.htm

المهندمة الصفر، حفظ فيها نسخة من التوراة القديمة المكتوبة في درج على رق يقال إنها أقدم توراة في العالم إلى جانب التوراة المحفوظة في كنيس جوبر^(١) وفي الثلث الأخير الشرقي منها حجرة فيها مقام للخضر عليه السلام، يشعلون فيه القناديل وينذرون له الزيت، وفي الجهة الغربية بضعة شبابيك مطلة على بستان جارٍ في أوقاف الكنيس ويوجد بابان كبيران في الجهة الشمالية أحدهما من غربي هذه الجهة والآخر من شرقيها وهما حديثان، أما الجدار الذي يقع في شرقي هذه الجهة قديم جداً يبدو أنه من بقايا جدرانها التي بنيت أول مرة وكذلك الأعمدة المرفوع عليها سقفها، وفي الجهة الشرقية منها غرف تعرف بالمدراس "بيت الدين" لها مدخل مستقل بها، وفي وسط الكنيس شبه سدة أعدت لوقوف رئيس الدين يطلق عليها اسم "تبه" أي الأرض المرتفعة، أما في الجهة الجنوبية شبه محراب صغير مرتفع ولهذه الكنيس أوقاف كثيرة من البساتين والدور السكنية^(٢).

- كنيس بحسيتا الكبير:

إنَّ عدد الكنيس اليهودية يدل على وجود طائفة يهودية كبيرة في حلب متوزعة في المدن والبلدات القريبة من حلب، وقد وصف لنا مطران الأرمن السابق كنيس حلب الكبير في حي بحسيتا، بقوله: "في يوم الأربعاء ١٨ نيسان دخلت إلى حي بحسيتا، وبعد عبور أزقة ضيقة وقفت أمام الباب الحديدي الكبير للكنيس الذي يتألف من طابقين. الطابق السفلي من الكنيس مخصص للفقراء والعلوي للأغنياء يصعد إليه عبر درجات من مرمر وفتحت أمامنا قاعة مضيئة ومذبح يسبح بالضوء ومزدان بالنجوم، وكانت وصايا النبي موسى معلقة على أحد الجدران في صفحتين بكتابات مذهبية، المصلى الأصلي لكنيس بحسيتا مقبب ويقف على ٨ أعمدة، تصل مساحته إلى ١٥ × ٢١٢ م^٢، وله منبران خشبيان والبناء قديم، والمنبر عبارة عن باب مغلق دون أية زخارف، ويمنع على أي شخص الدخول عبره عدا رئيس الحاخامات بسبب حفظ التوراة هنالك، ينقسم الكنيس إلى ثلاثة أجنحة: الأوسط غير

^١ - هربت هذه المخطوطات إلى خارج البلاد، ونشر قسم منها في الكيان الصهيوني، ويدعي اليهود أنَّ هذه الكنيس من آثار أيوب بن سيرويا قائد جيش داوود عليه السلام، يقولون إنه بناها حينما ضرب داوود الآراميين بحلب، وفيها عبارات بالقلم الأشوري.

^٢ - الغزي: نهر الذهب...، ج ٢، ص ١٦٥، ١٦٤.

مغطى بالكامل وهو مخصص للشعائر الدينية وصلوات فصل الصيف، ولا يوجد في الكنيس أي مدفن ويوجد تحت الكنيس مصلى منقور تحت الأرض مكرس للنبي اشعيا وهو من المزارات المهمة لدى اليهود ويوجد بعض الأعمدة والتيجان على القسم العلوي من جدار هذا المزار وهي بقايا لمعبد يعود إلى الفترة الرومانية^(١).

كما قام اليهود في حلب ببناء كنيس لهم في حي الجميلية في نهايات القرن التاسع عشر ويؤكد الغزي بأن نفقات بناء هذه الكنيس كان يتم جمعها من الطائفة الموسوية. وللموسويين في محلة الجميلية خمسة منازل اتخذت كنائس وقتياً يقيمون فيها شعائرهم الدينية^(٢).

^١ - سورمايان: تاريخ حلب...، ص ٣٢٤.

^٢ - الغزي: نهر الذهب...، ج ٢، ص ٢٤٧.

نتائج الفصل الثالث:

أثرت تعاليم الديانة اليهودية في حياة أبنائها وشملت تعاليمها مختلف جوانب حياتهم الاقتصادية والاجتماعية. وانقسم يهود دمشق وحلب إلى عدة طوائف وفرق دينية لكل طائفة تعاليمها الخاصة تبعاً لفهمها لنصوص التوراة والتلمود، ولكل منها حي خاص بها وكنيس خاص بها.

وكان للبعثات التبشيرية دورٌ كبيرٌ في زيادة عدد المدارس اليهودية، وانفتاح اليهود أكثر على الثقافة والفكر الغربي الأوروبي، إلا أنه ورغم نشاط هذه المدارس الواضح في الربع الأخير من القرن التاسع عشر إلا أننا لم نلاحظ أي إنتاج فكري أو أدبي خاص بالطائفة اليهودية.

الخاتمة

خلال فترة الحكم العثماني تمتع يهود دمشق وحلب بحياة طبيعية وهادئة قبل دخول القوات المصرية، وتبين ذلك بشكل واضح من خلال وثائق البيع والشراء، لكن هذه الحياة الهادئة تعرضت للاضطرابات في نهاية الحكم المصري لبلاد الشام إثر حادثة ١٨٤٠م، التي كان لها أثر واضح في تغيير العلاقات ولاسيما مع الطائفة المسيحية، وسعى اليهود خلال القرن التاسع عشر للحصول على مزيد من الحرية والمساواة وقد زاد الحكم المصري من حرية اليهود وأدى التدخل الأجنبي وقوانين الحماية إلى زيادة نفوذ اليهود بشكل واضح، وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج التي يمكن اجمالها في النقاط التالية:

١- انعكست الحرية التي تمتع بها اليهود في سائر ولايات الدولة العثمانية على طبيعة الأنشطة الاقتصادية التي مارسوها، حيث مارسوا مختلف أنواع المهن وسعوا إلى توسيع علاقاتهم التجارية خارج البلاد، وما ميز يهود دمشق وحلب عن باقي اليهود في الدول الأخرى لا سيما العربية اندماجهم بشكل ملحوظ مع الطوائف الأخرى في هاتين الولايتين، فقد وجدت محلاتهم ضمن أسواق وبيجار محلات المسلمين والمسيحيين فضلاً عن وجود علاقات تجارية بينهم ولوحظ مدى اتفاق أصحاب الحرف الواحدة من الطوائف كافة.

٢- دلت العلاقات التجارية المتبادلة بين المسلمين واليهود على نوع من التقارب بينهما حيث غلبت المصلحة الاقتصادية على الاثنية الدينية أو "القومية" أحياناً، وأسهمت الامتيازات الأجنبية في حماية الأقليات الدينية وزيادة مكاسبها الاقتصادية، وقد انعكس ذلك على نشاط حركة التجارة الخارجية لصالح اليهود الأجانب بشكل أكبر من يهود الداخل، وإعفائهم من بعض الضرائب المفروضة عليهم، ومع تراجع القوة الاقتصادية للدولة العثمانية منذ منتصف القرن التاسع عشر ارتفعت الأسعار وتراجعت القيمة الشرائية للعملة العثمانية، وانتشرت ظاهرة الدين وكان أغلب المدينين من الصرافين اليهود، مما أدى إلى سيطرتهم بشكل أكبر على اقتصاد البلاد نتيجة لاستغلالهم للضائقة المالية التي تعاني منها باقي فئات المجتمع، ووضعوا أيديهم أثناء عجز الفلاحين الفقراء عن سداد الدين على أراضيهم وأموالهم.

٣- إن تزايد تأثير القوى الأوروبية العظمى في الشرق بشكل عام كان في صالح اليهود في المشرق العربي بشكل عام ومنهم يهود دمشق وحلب، حيث أسهمت هذه القوى في تحسين أوضاع اليهود الاقتصادية والسياسية، ولا شك أن تطور أنشطة اليهود الاقتصادية أدى إلى تحسين أوضاعهم الاجتماعية وظروفهم المعيشية.

٤- شكلت حارة اليهود في دمشق وحلب المكان الأكثر أماناً بالنسبة لهم، وكان التسامح وعلاقات الود تسود الجميع (مسلمين- يهود - مسيحيين) ورغم حرص اليهود على الاحتفاظ بشخصيتهم الاجتماعية والذاتية، فقد اختلطت التقاليد اليهودية بالعادات الشرقية داخل بيوت الحارة، كما اختلطت تلك التقاليد والعادات بالثقافات الأوروبية المختلفة التي بدأت مؤثراتها تظهر منذ منتصف القرن التاسع عشر.

٥- أكسب اندماج اليهود بالمجتمع الدمشقي والحلي الكثير من التقاليد الاجتماعية فعلى سبيل المثال تقاليد الزواج ومراسمه من أهم المعالم والظواهر التي تتباين بشأنها الحضارات تبايناً عظيماً، لكن اليهود في الحارة اليهودية تأثروا إلى حد كبير بعادات وتقاليد الزواج في دمشق وحلب وأخذوا منها الكثير مثل كتابة عقد الزواج وإقامة الولائم للمدعوين، كما رأينا سابقاً.

٦- تميز المجتمع اليهودي في دمشق وحلب أنه لم يكن مجتمعاً مغلقاً على نفسه، كما هو شائع عن المجتمعات اليهودية وإنما كانوا في اختلاط دائم مع سكان البلاد في حياتهم اليومية، نتيجة لسكنهم بجانب بعضهم البعض، فضلاً عن العلاقات التجارية المنفتحة مما ساعد على تضيق الفروق الاجتماعية بين اليهود والمسلمين.

٧- تغلغل اليهود بأهالي دمشق وحلب، وتكلموا لغتهم وأخذوا الكثير من عاداتهم، وتسموا بأسمائهم في الوقت نفسه حافظوا على لغتهم وتقاليدهم وعقائدهم التي كانوا يستخدمونها بشكل خاص في يوم السبت.

٨- أخذت العلاقات بين المسلمين والمسيحيين واليهود بالتغيير بعد دخول القوات المصرية بلاد الشام وتجلت بشكل واضح بعد حادثة ١٨٤٠م، والتي استطاعت القوى الأوروبية المتآمرة مع الصهيونية

التي اتضحت بعد هذه الحادثة التأثير على علاقات اليهود بمجتمعهم، وإثارة نقمة المسلمين والمسيحيين ضدهم وذلك لإجبارهم على الهجرة وترك أوطانهم.

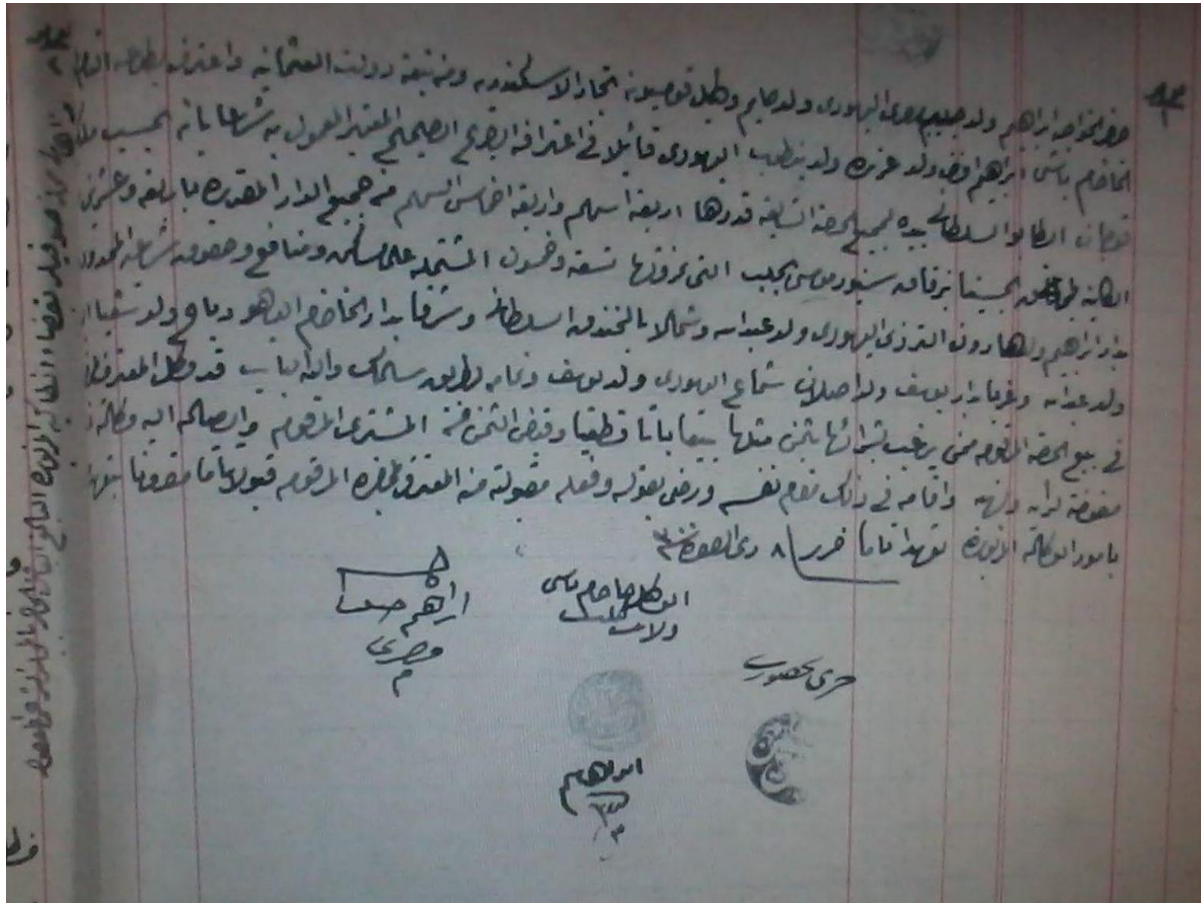
٩- كان للدين لدى اليهود أثر واضح في جميع مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية، وكان لتعاليم التوراة والتلمود الدور الأكبر في توجيه حياة أبناء الطائفة اليهودية.

١٠- وجدت طوائف يهودية متعددة حيث كان لكل طائفة حي خاص بها وكنيس خاص بها واختلفت هذه الطوائف فيما بينها على اتباع قواعد التوراة والتلمود، وأخذت هذه الطوائف سواء (الريانيين- القرائين- السامرة) بالتلاشي تدريجياً مع بداية القرن التاسع عشر، وبرز بشكل واضح وجود طائفتي يهود السفارديم والاشكنازيم التي كان لهما دوراً مهماً في الاندماج مع سكان البلاد وهم الذين اتفقوا مع الحركة الصهيونية لتنفيذ مخططاتها داخل البلاد العربية التي وجدوا فيها.

١١- أسهم اهتمام يهود دمشق وحلب بالتعليم خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر في ارتفاع نسبة المتعلمين بينهم، وأدت البعثات التبشيرية دور كبير في زيادة عدد المدارس اليهودية وانفتاح اليهود أكثر على الثقافة والفكر الغربي الأوروبي، إلا أنه ورغم نشاط هذه المدارس الواضح في الربع الأخير من القرن التاسع عشر إلا أننا لم نلاحظ أي انتاج فكري أو أدبي خاص بالطائفة اليهودية.

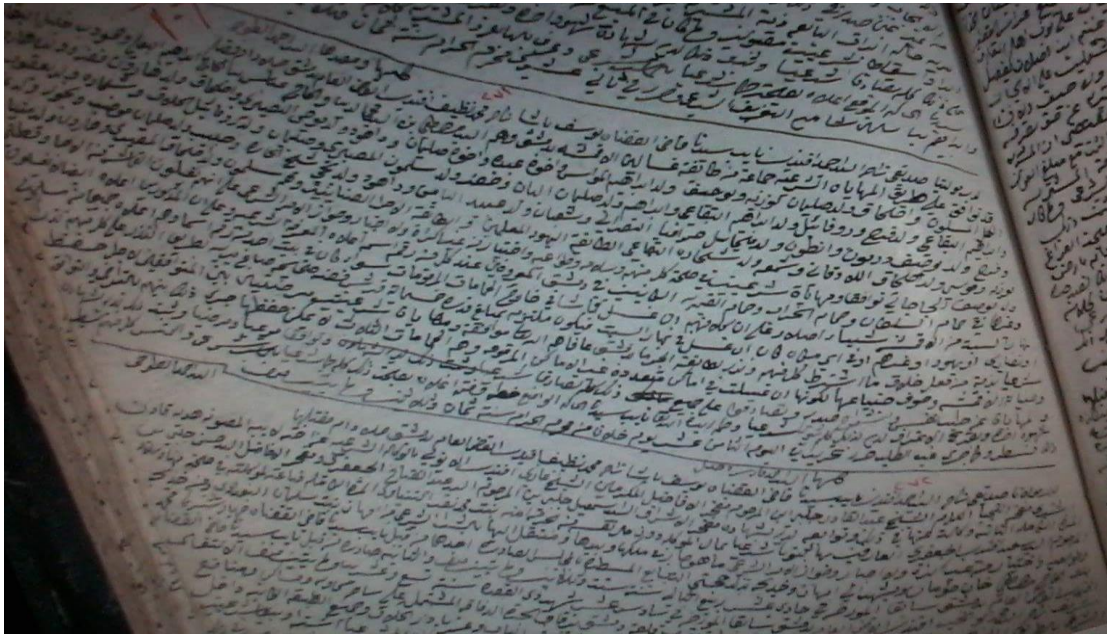
الملاحق

ملحق رقم (١)



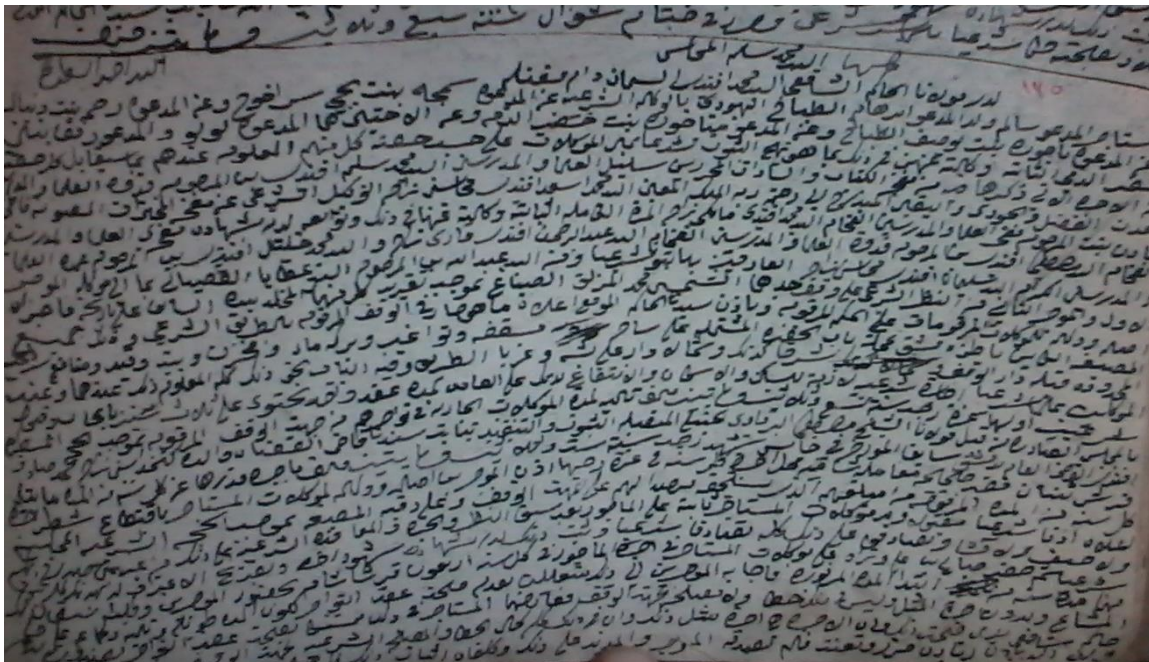
وثيقة توضح العلاقات التجارية بين يهود حلب وتجار الاسكندرية

ملحق رقم (٣)



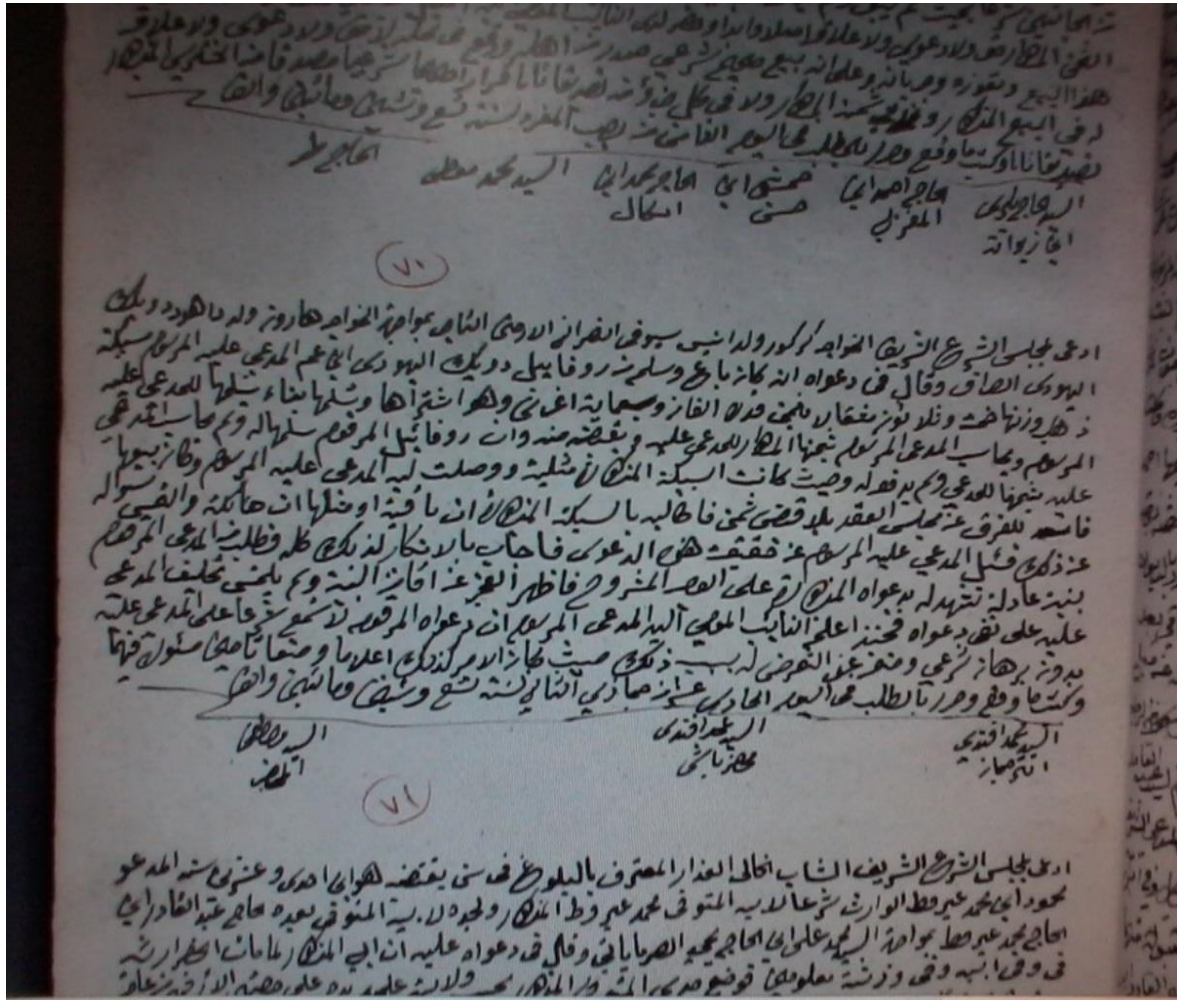
وثيقة تؤكد على اتفاق حدث بين غسالي القماش من الطوائف الثلاث بدمشق

ملحق رقم (٤)



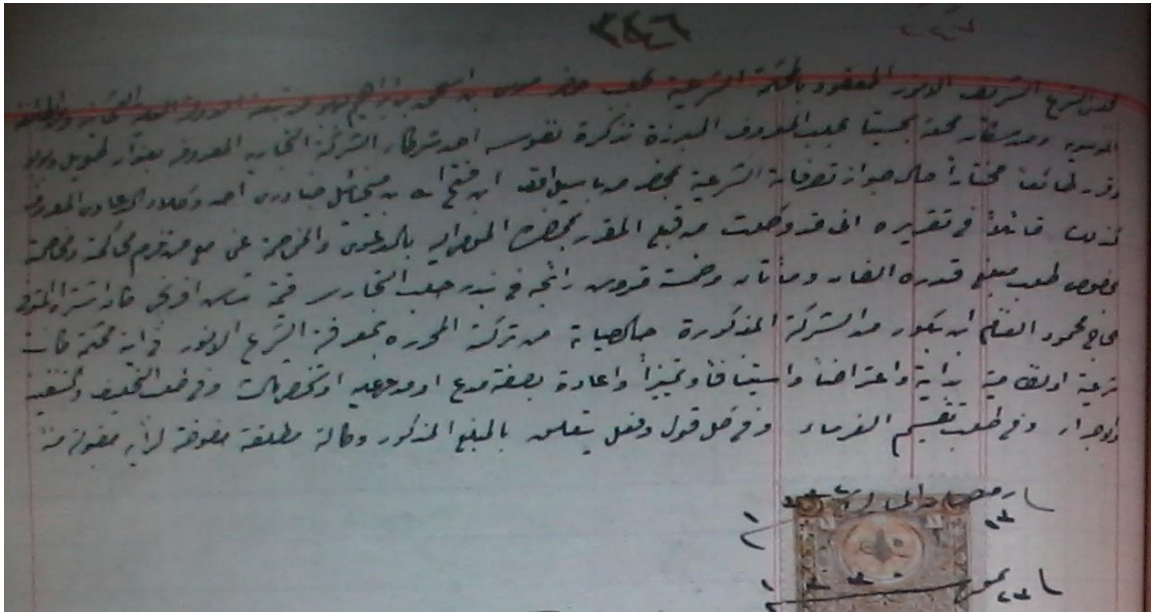
وثيقة استتجار اليهود مصبغة بدمشق .

ملحق رقم (٥)



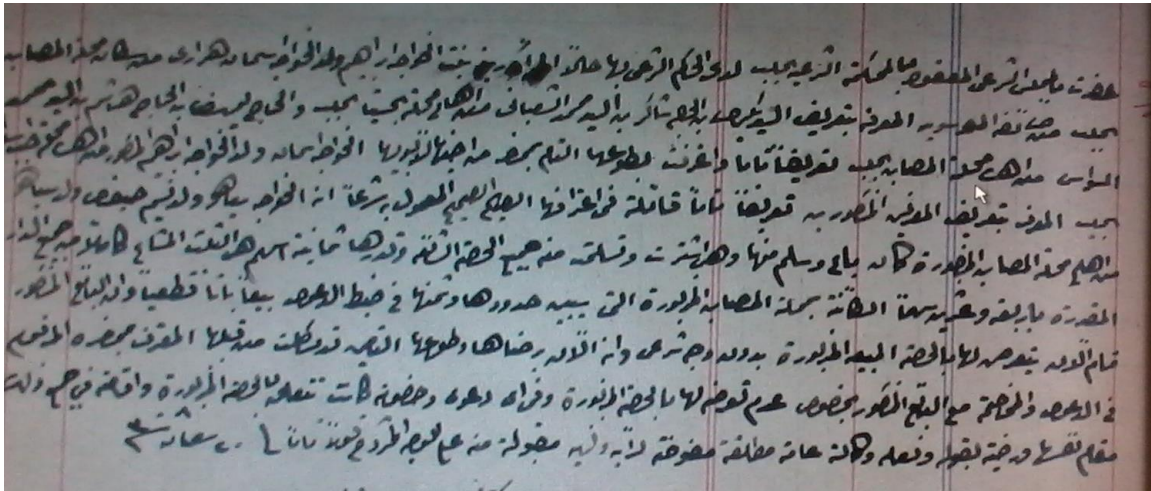
وثيقة تتحدث عن بيع تاجر مسيحي سبيكة ذهب لصراف يهودي

ملحق رقم (٦)



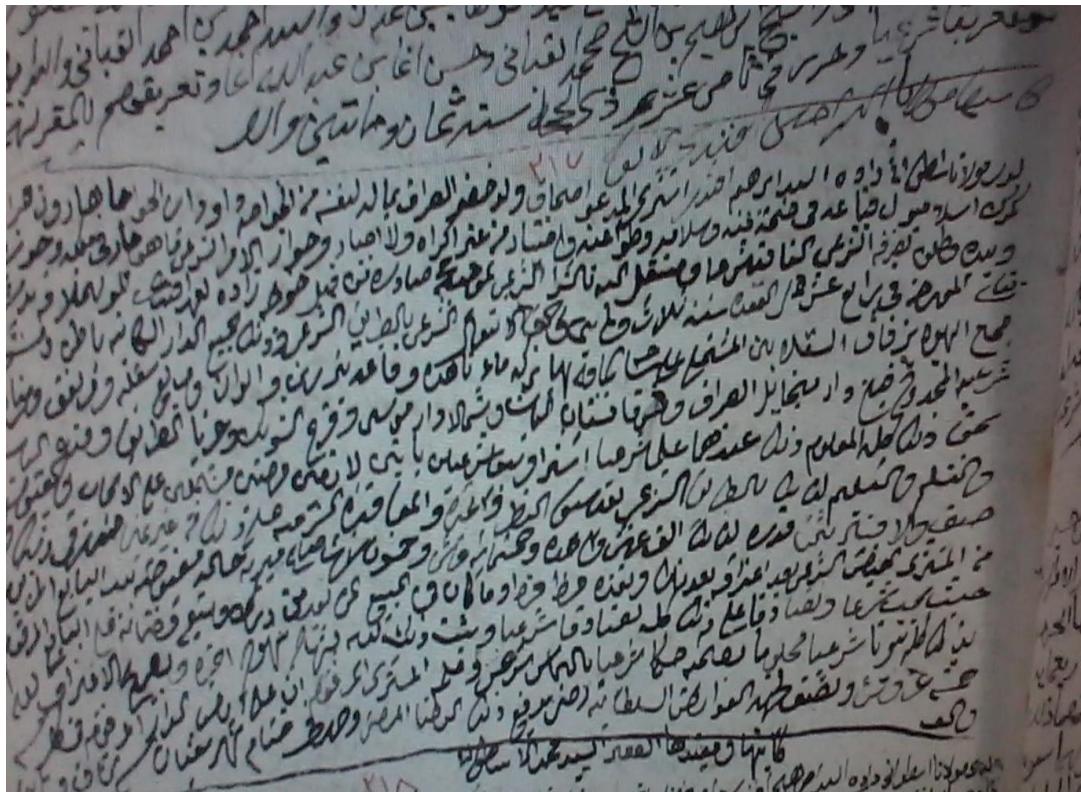
شركة تجارية لليهود في حلب تتاجر بالشاش الأوروبي

ملحق رقم (٧)



وثيقة تتحدث عن بيع دار لليهود بمحلة بحسيتا

ملحق رقم (٨)



وثيقة بيع دار لليهود بحى الأمين بدمشق.

ملحق رقم (٩)



لوحة رخامية في كنيس جوبر تشير إلى ضريح النبي ايليا

ملحق رقم (١٠)



كنيس جوير من الداخل.

وثيقة تتحدث عن مقتل البادري توما الكبوشي.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

- الكتاب المقدس "العهد القديم"

أولاً: الوثائق غير المنشورة:

١- سجلات المحاكم الشرعية بدمشق:

- ١- سجل رقم ٥٠، (ت ١٢٣٦هـ - ١٨٤٩م).
- ٢- سجل رقم ٨ مشوش، (ت ١١٧٠هـ / ١٧٥٧م).
- ٣- سجل رقم ٧٥٩، (ت ١٣٠١هـ / ١٨٨٤م).
- ٤- سجل رقم ٧٥٩، (ت ١٣٠١هـ / ١٨٨٤م).
- ٥- سجل رقم ٦٩، (ت ١٢٩٥هـ / ١٨٧٨م).
- ٦- سجل رقم ٧٠٨، (ت ١٢٩٧هـ / ١٨٨٠م).
- ٧- سجل رقم ٥٩٢، (ت ١٢٨٥هـ / ١٨٦٨م).
- ٨- سجل رقم ٣٠١، (ت ١٢٤٢هـ / ١٨٢٦م).
- ٩- سجل رقم ٣٥٨، (ت ١٢٥٧هـ / ١٨٤١م).
- ١٠- سجل رقم ٣٠٠، (ت ١٢٣٨هـ / ١٨٢٢م).
- ١١- سجل رقم ١١٣، (ت ١٢١٢هـ / ١٧٩٧م).
- ١٢- سجل رقم ٣٠٠، (ت ١٢٣٧هـ / ١٨٢٢م).
- ١٣- سجل رقم ٨١٣، (ت ١٣٠٣هـ / ١٨٨٦م).
- ١٤- سجل رقم ١١٠٧، (ت ١٣١١هـ / ١٨٩٤م).
- ١٥- سجل رقم ٧٣٥، (ت ١٢٩٨هـ / ١٨٨١م).
- ١٦- سجل رقم ٨٣٣، (ت ١٣٠٤هـ / ١٨٨٧م).

١٨- سجل رقم ٧٣٥، (ت ١٢٩٨هـ / ١٨٨١م).

١٩- سجل رقم ٩، (ت ١٢٨٤هـ / ١٨٦٧م).

٢٠- سجل رقم ٥٣ مشوش، (ت ١١٨٢هـ / ١٧٦٨م).

٢١- سجل رقم ٣٧٣، (ت ١٢٥٩هـ / ١٨٤٣م).

٢٢- سجل رقم ٣٠ مشوش، (ت ١٢٥٠هـ / ١٨٣٨م).

٢٣- سجل رقم ٨٤٦، (ت ١٣١١هـ / ١٨٩٣م)

٢٤- سجل رقم ٨١١، (ت ١٣٠٣هـ / ١٨٨٦م).

٢٥- سجل رقم ٤٩، (ت ١١٣٥هـ / ١٧٢٢م).

٢٦- سجل رقم ١٤٥، (ت ١١٧١هـ / ١٧٥٧م).

٢٧- سجل رقم ٣٧٩، (ت ١٢٦٠هـ / ١٨٤٤م)

٢٨- سجل رقم ٨٩٣، (ت ١٣٠٦هـ / ١٨٨٩م).

٢٩- سجل رقم ٨٣، (ت ١٣٢٧هـ / ١٩١٠م).

٣٠- سجل رقم ٢، (ت ١٣٠٢هـ / ١٨٨٣م)

٣١- سجل رقم ٦٣٥، (ت ١٢٨٩هـ / ١٨٧٣م).

٣٢- سجل رقم ٩٠١، (ت ١٣٠٦هـ / ١٨٨٩م)

٣٣- سجل رقم ٨٥١، (ت ١٣٠٤هـ / ١٨٨٦م).

٣٤- سجل رقم ٣٧٢، (ت ١٢٥٨هـ / ١٨٤٢م)

٣٥- سجل رقم ٣٢٨، (ت ١٢٤٩هـ / ١٨٣٣م)

٣٦- سجل رقم ٣٢٧، (ت ١٢٤٩هـ / ١٨٣٣م)

٣٧- سجل رقم ٧٨٠، (ت ١٣٠٢هـ / ١٨٨٥م)

٣٨- سجل رقم ٨٩٣، (ت ١٣١١هـ / ١٨٩٤م).

- ٣٩- سجل رقم ٤٨ مشوش، (ت ١٢٢٣هـ/ ١٨٠٨م).
- ٤٠- سجل رقم ٨١٤، (ت ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٦م).
- ٤١- سجل رقم ٣٣٦، (ت ١٢٥١هـ/ ١٨٣٥م).
- ٤٢- سجل رقم ٩٤٥، (ت ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م).
- ٤٣- سجل رقم ٩٧٣، (ت ١٣١١هـ/ ١٨٩٣م).
- ٤٤- سجل رقم ٣٢٧، (ت ١٢٤٩هـ/ ١٨٣٣م).
- ٤٥- سجل رقم ٧٧٢، (ت ١٣٠١هـ/ ١٨٨٤م).
- ٤٦- سجل رقم ٨٥٤، (ت ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٧م).
- ٤٧- سجل رقم ٨٩٣، (ت ١٣٠٧هـ/ ١٨٩٠م).
- ٤٨- سجل رقم ١٠٦٣، (ت ١٣١٤هـ/ ١٨٩٧م).
- ٤٩- سجل رقم ١٠٦٣، (ت ١٣١٣هـ/ ١٨٩٦م).
- ٥٠- سجل رقم ١٠١٧، (ت ١٣١١هـ/ ١٨٩٣م).
- ٥١- سجل رقم ٢٥٠، (ت ١٢١٧هـ/ ١٨٠٢م).
- ٥٢- سجل رقم ٣١٠، (ت ١٢٣٤هـ/ ١٨٢٧م).
- ٥٣- سجل رقم ٥٩٢، (ت ١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م).
- ٥٤- سجل رقم ٣٠٠، (ت ١٢٣٨هـ/ ١٨٢٢م).
- ٥٥- سجل رقم ٢٧٤، (ت ١٢٢٧هـ/ ١٨١٢م).
- ٥٦- سجل رقم ٣٦٣، (ت ١٢٥٧هـ/ ١٨٤٢م).
- ٥٧- سجل رقم ٨٩٧، (ت ١٣٠٦هـ/ ١٨٨٩م).
- ٥٨- سجل رقم ١١٠٧، (ت ١٣١٦هـ/ ١٨٩٩م).
- ٥٩- سجل رقم ٩٧٢، (ت ١٣١١هـ/ ١٨٩٤م).
- ٦٠- سجل رقم ٦٠٠، (ت ١٢٨٥هـ/ ١٨٦٩م).
- ٦١- سجل رقم ٧٨٤، السجل ٧٩٤، (ت ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٦م).
- ٦٢- سجل رقم ٨٥١، وثيقة ٢٠، (ت ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م).
- ٦٣- سجل رقم ٦٥٩، (ت ١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م).
- ٦٤- سجل رقم ٢٧٤، (ت ١٢٢٧هـ/ ١٨١٢م).
- ٦٥- سجل رقم ٥٣، (ت ١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م).

٦٦- سجل رقم ٧٨٠، (ت ١٣٠٢هـ / ١٨٨٥م).

٦٧- سجل رقم ٦٤٥، (ت ١٢٩١هـ / ١٨٧٤م).

٦٨- سجل رقم ٢٥٠، (ت ١٢١٧هـ / ١٨٠٣م).

٦٩- سجل رقم ٥٦١، (ت ١٢٨٠هـ / ١٨٦٤م).

٢- سجلات الأوامر السلطانية بدمشق:

١- سجل أوامر سلطانية رقم ٣، وثيقة ١٢٧، (ت ١٢٦٠هـ / ١٨٤٤م).

٢- سجل أوامر سلطانية رقم ٢ وثيقة ١٥١، ص ٨٥. (ت ١١٣٠٦هـ / ١٧٢٣م).

٣- سجلات تجارة دمشق:

١- سجل رقم ١١٢، (ت ١٣٠٥هـ / ١٨٨٨م).

٢- سجل ٢١ (ت ١٣٠٨هـ / ١٨٩١م).

٣- سجل رقم ١٢٩٢، (ت ١٣٠٤هـ / ١٨٨٧م).

٤- سجل رقم ١١، (ت ١٣٠٤هـ / ١٨٨٧م).

٥- سجل رقم ١٢٢، ص ١٢٦، (ت ١١٦٥هـ / ١٧٥٢م).

٦- سجل رقم ٣٢٨، (ت ١٢٤٩هـ / ١٨٣٣م).

٤ - سجلات المحاكم الشرعية بحلب:

١- سجل رقم ٢٦٩، (ت ١٢٧١هـ / ١٨٥٤م).

٢- سجل رقم ٣٦٥، (ت ١٣٠٤هـ / ١٨٨٧م).

٣- سجل رقم ٥٧٣، (ت ١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م).

٤- سجل رقم ٤٩١، (ت ١٣٢٠هـ / ١٩٠٢م).

٥- سجل رقم ٢٤٤، (ت ١٢٦٠هـ / ١٨٤٤م).

٦- سجل رقم ٣، (ت ١٣٠٦هـ / ١٨٨٨م).

٧- سجل رقم ٣٥، ص ٣٩٧، (ت ١٣٠٢هـ / ١٨٨٤م).

٨- سجل رقم ٢٢٧، (ت ١٢٢٠هـ / ١٨٠٦م).

- ٩- سجل رقم ٥٨٢، صفحة ٢٤٦، (ت ١٣٢٥هـ / ١٩٠٨م).
- ١٠- سجل رقم ٥٧٣، (ت ١٣٢١هـ / ١٩٠٣م).
- ١١- سجل رقم ٢٦٨، (ت ١٢٧٠هـ / ١٨٥٣م)
- ١٢- سجل رقم ٥٧٣، (ت ١٢٩٠هـ / ١٨٧٤م)
- ١٣- سجل رقم ٣٢٦، (ت ١٣٠٠هـ / ١٨٨٣م).
- ١٤- سجل رقم ٥٧٣، (ت ١٢٨٦هـ / ١٨٦٩م).
- ١٥- سجل رقم ٥٥٧، (ت ١٢٨٠هـ / ١٨٦٤م).
- ١٦- سجل رقم ٥٥٧، (ت ١٣١٦-١٣٢٠هـ / ١٨٩٨-١٩٠٣م).
- ١٧- سجل رقم ٣٤٠، (ت ١٣٠٢هـ / ١٨٨٤م).
- ١٨- سجل رقم ٣١٤، (ت ١٣٠٠هـ / ١٨٨٣م)
- ١٩- سجل رقم ٣٤٠، (ت ١٣٠٢هـ / ١٨٨٤م).
- ٢٠- سجل رقم ٢٥٧، (ت ١٢٦٠هـ / ١٨٤٤م).
- ٢١- سجل رقم ٣٦٥، (ت ١٣٠٤هـ / ١٨٨٧م)
- ٢٢- سجل رقم ٣٦٥، (ت ١٣٠٤هـ / ١٨٨٧م)
- ٢٣- سجل رقم ٣٧٠، (ت ١٣١١هـ / ١٨٩٣م)
- ٢٤- سجل رقم ٢٦٨، (ت ١٢٧٠هـ / ١٨٥٤م) ٢٦
- ٢٥- سجل رقم ٤٩١، (ت ١٣٢٠هـ / ١٩٠٢م)
- ٢٦- سجل رقم ٢٦٩، (ت ١٢٧٠-١٢٧١هـ / ١٨٥٤-١٨٥٥م).
- ٢٧- سجل رقم ٣١٩، (ت ١٢٦١هـ / ١٨٤٥م).
- ٢٨- سجل رقم ٣٦٥، (ت ١٣١٠هـ / ١٨٩٣م)
- ٢٩- سجل رقم ٢٦٧، (ت ١٢٧٠هـ / ١٨٥٤م)
- ٣٠- سجل رقم ٢٤٤، (ت ١٢٦٠هـ / ١٨٤٤م)
- ٣١- سجل رقم ٣٢٦، (ت ١٣٠٠هـ / ١٨٨٣م)

٣٢- سجل رقم ٢٦٨، (ت ١٢٧٠هـ / ١٨٥٤م)

٣٣- سجل رقم ٢٦٧، (ت ١٢٩٠هـ / ١٨٧٤م)

ثانياً: المصادر العربية:

١- الأسدي، خير الدين: أحياء حلب وأسواقها، تحقيق عبد الفتاح رواس قلعه جي، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق، ١٩٨٤.

٢- الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب أبو عثمان: رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هاون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٤م.

٣- الحكيم، دعد: أوراق ومذكرات فخري البارودي ١٨٨٧ - ١٩٦٦، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٩.

٤- حليم، ابراهيم بك: التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية، ديوان عموم الأوقاف، ط١، ١٩٠٥.

٥- ابن خلدون، عبد الرحمن: مقدمة ابن خلدون، دار الفكر، ط٢، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

٦- زكريا، أحمد وصفي: دمشق في كتابات أحمد وصفي زكريا، دار قتيبة، دمشق، د.ط، د.ت.

٧- ابن العديم، (عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة) (ت ٦٦٠هـ - ١٢٦١م): زبدة حلب في تاريخ حلب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.

٨- الغزي، كامل بن حسين: نهر الذهب في تاريخ حلب، المطبعة المارونية، حلب، دار القلم، حلب، ط٢، ١٩٩٢.

٩- القاسمي، محمد سعيد: قاموس الصناعات الشامية، تحقيق ظافر القاسمي، دار طلاس، دمشق، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م.

١٠- القساطلي، نعمان: الروضة الغناء في دمشق الفيحاء، دار الرائد العربي، بيروت، ط٢، ١٩٨٢.

- ١١- ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر: هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، تحقيق عثمان جمعة، اشرف بكر أبو زيد، القاهرة، دار عالم الفوائد، (د.ت).
- ١٢- كرد علي، محمد: خطط الشام، مكتبة النوري، دمشق، ط٣، ١٩٨٣.
- ١٣- المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٣٧٦هـ / ٩٨٨م): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٣، ١٩٩١م.
- ١٤- المقرئ، تقي الدين أحمد بن علي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٨٣.
- ١٥- مسعد، بولس: الدولة العثمانية في لبنان وسوريا حكم أربعة قرون ١٥١٧-١٩١٦، دار الكتب المصرية، د. م، ١٩١٦.
- ١٦- مكاريوس، شاهين: تاريخ الإسرائيليين، مصر، ٢٠٠٦م.
- ١٧- نصر الله، يوسف حنا: الكنز المرصود في قواعد التلمود، دار القلم، دمشق، دار العلوم، بيروت، ط١، ١٩٨٧.
- ١٨- ولفنسون، إسرائيل: تاريخ اليهود في بلاد العرب والجاهلية وصدر الإسلام، مطبعة الاعتماد، ١٩٢٧.
- ١٩- ول، ديورانت: قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، دار الجيل العربي، بيروت، (د. ت).

ثالثاً: المصادر المعربة:

- ١- آتينجر، صموئيل: اليهود في البلدان الإسلامية (١٨٥٠-١٩٥٠)، ترجمة جمال أحمد الرفاعي، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٥م.
- ٢- أوغلو، أحمد حكمت آر: اليهود في الدولة العثمانية حتى القرن التاسع عشر، ترجمة أحمد عبد الله نجم، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٩م.
- ٣- اوغلي، عائشة عثمان: والدي السلطان عبد الحميد، ترجمة صالح سعداوي، دار البشير، عمان، ط١، ١٩٩١م.
- ٤- ج.شو، ستانفورد: يهود الدولة العثمانية والجمهورية التركية، ترجمة الصفصافي أحمد القطوري، دار البشير، مصر، ط١، ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م.
- ٥- راسل، الكسندر وباتريك: تاريخ حلب الطبيعي، ترجمة خالد الجبيلي، دن، ط١، ١٩٩٧م.
- ٦- سورمايان، اردافازد: تاريخ حلب، ترجمة الكسندر كيشيشان، دار النهج، حلب، ط١، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.
- ٧- طوران، مصطفى: أسرار الانقلاب العثماني، ترجمة كمال خوجة، دار السلام، بيروت، ط٣، ١٩٨٠.
- ٨- عزتلو، يوسف بك آصاف: تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٩٩٥م.
- ٩- ماركوس، ابراهيم: الشرق الأوسط عشية الحداثة" حلب في القرن الثامن عشر" ترجمة هيثم حمام، مطبعة جامعة حلب، ٢٠٠٦م.
- ١٠- لاندوا، يعقوب: تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية ١٥١٧-١٩١٤، ترجمة جمال أحمد الرفاعي وأحمد حماد، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ٢٠٠٠.

رابعاً: المراجع العربية:

- ١- ايبش، أحمد: التلمود كتاب اليهود المقدس " تاريخه وتعاليمه ومقتطفات من نصوصه " ، تقديم سهيل زكار، دار قتيبة، (د.ت)
- ٢- بشير، عبد الرحمن: اليهود في المغرب العربي، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، ط١، ٢٠٠١.
- ٣- بيات، فاضل: دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني "رؤية جديدة في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية" بيروت، دار المدار الاسلامي، ط١، ٢٠٠٣
- ٤- أبو جبل، كاميليا: يهود اليمن "دراسة سياسية واقتصادية واجتماعية منذ نهاية القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين، الأوائل، ط١، ١٩٩٩..
- ٥- جلو، خضر الياس: اليهود في المشرق الاسلامي " دراسة في التوزع السكاني والحياة الاقتصادية للحقبة (١١-٩٢٣هـ / ٦٣٢-١٥١٧م) ،صفحات للدراسات والنشر، دبي، ٢٠١٧.
- ٦- حرب، محمد: العثمانيون في التاريخ والحضارة، المركز المصري للدراسات والبحوث ، القاهرة، ١٩٩٤
- ٧- حريتانى، محمود: تاريخ يهود حلب، دار شعاع، حلب، ط١، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٨م
- ٨- حريتانى، محمود: حلب أسواق المدينة، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩١.
- ٩- حسن، جعفر هادي: فرقة القرائين اليهود، مؤسسة الفجر، بيروت- لندن، ط١، ١٩٨٩.
- ١٠- حسنين، ابراهيم: سلاطين الدولة العثمانية "عوامل النهوض وأسباب السقوط"، دار التعليم الجامعي، جامعة التحدي، سرت، ليبيا، ٢٠١٤م
- ١١- حمدان، محمد عبدالله: الجماعات اليهودية في تركيا ودورها في الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية التركية، دار زمان للطباعة والنشر، دمشق، ٢٠١١

١٢- الخالدي، خالد يونس: اليهود تحت حكم المسلمين في الأندلس، دار الثقافة والإعلام، الشارقة، ط٢٣، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٢م

١٣- درادكه، حلمي خليفة علي: يهود القدس في النصف الأول من القرن التاسع عشر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ٢٠١٤..

١٤- درويش، هدى: حقيقة يهود الدونمة في تركيا "وثائق جديدة"، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٣.

١٥- درويش، هدى: العلاقات التركية -اليهودية وأثرها على البلاد العربية منذ قيام دعوة يهود الدونمة وحتى نهاية القرن العشرين، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٢.

١٦- درويش، هدى: أسرار اليهود المنتصرين في الأندلس، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٨م.

١٧- الدسوقي، محمد كمال: الدولة العثمانية والمسألة الشرقية، القاهرة، دار الثقافة للطباعة والنشر، ١٩٧٦م

١٨- رافق، عبد الكريم: بحوث في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، مكتبة نوبل، دمشق، ٢٠٠٢.

١٩- رستم، أسد: الأصول العربية لتاريخ سورية في عهد محمد علي باشا، بيروت، ١٩٣٠- ١٩٣٤م

٢٠- الزبيدي، وليد: خمس محطات يهودية "يهود العراق تاريخهم وماذا تبقى منهم" مكتبة جزيرة الورد، بغداد، ٢٠١٥م

٢١- زعفراني، حاييم: ألف سنة من حياة اليهود في المغرب، معهد الدراسات والبحوث العربية ، القاهرة، د.ت

٢٢- زهر الدين، صالح: اليهود في تركيا ٥٠٠ عام، دار الصداقة، حلب، ط١، ١٩٩٦م.

- ٢٣- سوسة، أحمد: العرب واليهود في التاريخ "حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الأثرية" العربي للإعلان والتوزيع والنشر، ط٢، دمشق، ١٩٧٥
- ٢٤- سركو، ماري: دمشق فترة السلطان عبد الحميد الثاني (١٢٩٣-١٣٢٥هـ / ١٨٧٦-١٩٠٨)، الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، ط١، ٢٠٠٨
- ٢٥- السعدي، غازي: الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود، دار الجليل، عمان، ط١، ١٩٩٤م.
- ٢٦- شاكر، محمود: التاريخ الاسلامي في العهد العثماني، المكتب الاسلامي، بيروت - دمشق، ط٤، ٢٠٠٠م
- ٢٧- الشامي، عباس علي: يهود اليمن قبل الصهيونية و بعدها، سلسلة كتاب المسيرة اليمانية، ط٢، ١٩٨٨م.
- ٢٨- شحاته ريه، عطا علي محمد: اليهود في بلاد المغرب الأقصى في عهد المرينيين و الوطاسيين، دار الكلمة، دمشق، ط١، ١٩٩٩م.
- ٢٩- الشهابي، قتيبة: دمشق تاريخ وصور، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨٦م.
- ٣٠- الصباغ، ليلي: الجاليات الأوروبية في بلاد الشام في العهد العثماني في القرنين السادس والسابع عشر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٩.
- ٣١- صياغة، نايف: الحياة الاقتصادية في مدينة دمشق في منتصف القرن التاسع عشر، دمشق، وزارة الثقافة، د.ط، ١٩٩٥م
- ٣٢- طلاس، مصطفى: فطير صهيون، دار طلاس، دمشق، ١٩٨٤م .
- ٣٣- ظاظا، حسن: الفكر الديني اليهودي "أطواره ومذاهبه"، دار القلم، دمشق، ١٩٨٧م.

- ٣٤- عامر، محمود علي: المكايل والأوزان والنقود "منذ فجر الاسلام حتى العهد العثماني" مطبعة ابن حيان، دمشق، ١٩٩٧م.
- ٣٥- عامر، محمود علي: تاريخ الماسونية ويهود الدونمة "دراسة وثائقية في الأصول والأهداف، دار الصفدي، دمشق، ٢٠٠٧.
- ٣٦- عامر، محمود علي: تاريخ الدولة العثمانية، جامعة دمشق، ٢٠٠٦-٢٠٠٧م.
- ٣٧- عبده، سمير: اليهود السوريون، دار حسن ملص، دمشق، ط٢٠٠٣، ١م.
- ٣٨- العجلاني، شمس الدين: يهود دمشق الشام، دمشق، ط٢٠٠٨، ١م.
- ٣٩- عرابي، رجا: سفر التاريخ اليهودي، الأوائل للنشر، دمشق، ط٢، ٢٠٠٦م.
- ٤٠- العلبي، أكرم: يهود الشام في العصر العثماني، الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠١١م.
- ٤١- العلبي، أكرم: خطط دمشق "دراسة تاريخية شاملة على مدى ألف عام من سنة ٤٠٠هـ حتى سنة ١٤٠٠هـ، دمشق، دار الطباع، ط١، ١٩٨٩م.
- ٤٢- عوض، عبد العزيز: الادارة العثمانية في ولاية سورية (١٨٦٤-١٩١٤م)، دار المعارف بمصر، القاهرة، د.ت.
- ٤٣- غرابيية، عبد الكريم: سوريا في القرن التاسع عشر، دار الجيل، جامعة الدول العربية، ١٩٦١.
- ٤٤- غزال، زهير: الاقتصاد السياسي لدمشق خلال القرن التاسع عشر، ترجمة ملكة أبيض، الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، ٢٠٠٨.
- ٤٥- قاسم، عبده قاسم: أهل الذمة في مصر في عهد سلاطين المماليك، القاهرة، ١٩٧٥م.
- ٤٦- قاسمية، خيرية: يهود البلاد العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ٢٠١٥.

- ٤٧- قلعة جي، عبد الفتاح رواس: حلب القديمة والحديثة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٩م.
- ٤٨- كيوان، مأمون: اليهود في الشرق الأوسط، دار الأهلية، عمان، ط١، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.
- ٤٩- المحامي، محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق احسان حقي، دار النفائس، بيروت، ط١، ١٩٨١.
- ٥٠- محجوب، بشير: جوبر تاريخها وحاضرها، دمشق، ١٩٩٩م.
- ٥١- المسيري، عبد الوهاب: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٦م.
- ٥٢- ناجي، سليمان: المفسدون في الأرض، بيروت، ط٢، ١٩٧٩م.
- ٥٣- نعيصة، يوسف: مجتمع مدينة دمشق في الفترة ما بين (١١٨٦ - ١٢٥٦هـ / ١٧٧٢ - ١٨٤٠م)، دار طلاس، دمشق، ط١، ١٩٨٦م.
- ٥٤- نعيصة، يوسف: يهود دمشق، دار المعرفة، دمشق، ط١، ١٩٨٨م.
- ٥٥- النعيمي، أحمد نوري: اليهود والدولة العثمانية، مؤسسة الرسالة، دار البشير، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.
- ٥٦- وافي، علي عبد الواحد: اليهودية واليهود بحث في ديانة اليهود وتاريخهم ونظامهم الاجتماعي والاقتصادي، دار النهضة، مصر، (د.ت.).

خامساً: المراجع المعربة:

- ١- سميليا، نسكايا: البنى الاقتصادية والاجتماعية في المشرق العربي على مشارف العصر الحديث، ترجمة يوسف عطا الله، دار الفارابي، بيروت، ط١٩٨٩، ١.
- ٢- شيلشير، ليندا: دمشق في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ترجمة عمر ودنيا الملاح، دمشق، ط١٩٩٨، ١م.
- ٣- فارح وكراج، فيليب ويوسف: المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي العربي والتركي، ترجمة بشير السباعي، سينا للنشر، ط١، القاهرة، ١٩٩٤
- ٤- كويريلي، محمد فؤاد: قيام الدولة العثمانية، ترجمة أحمد السعيد سليمان، مصر، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ١٩٦٨

.

سادساً: المصادر والمراجع الأجنبية:

- 1- Avigdor Levy : The Sephardim in the Ottoman Empire.Turkey,1992
Baronand Kahan , Economic History Of the Jews, New York, 1975
- 2- Cohen, Under crescent and Cross: The Jews in the Middle Ages.
Princeton University press, 2008.
- 4- Hassan Kayli, Jewish Representation In the Otttoman Parliaments,
U.S.A.1994.
- 5- John Bowring ,Report on the Commercial Statistics Of Syria, London,
1840, reprinted, New York, **1973**
- 6- Josef W. Meri , The Cult Of Saints Among, Muslims And Jews In
Medieval Syria. New York, 2002.
- 7- Kamal H, karpat, Millets and Nationalit, The Roots Of the Incongrulty Of
Nation and State in the post- Ottoman' in Benjamin Braude and Bernard
lewis, Christians and jews in the Ottoman Empire: The Functioning Of
aplural Society (New york: Holmes and Meier publishers, 1982.
- 8- Samuel S. Cox Diversions Of a Diplomat In Turkey, New York, Charless
L. Webster, 8co, 1887
- 9- Walter P. Zenner, Aglobal Community: The Jews from Aleppo, Syria
Detroit: Waves State University Press, 2000.

المقالات باللغة الأجنبية:

- Thomas Philipp; The Farhi Family And The Changing Position Of The
Jews In Syria1750- 1860, Middle Eastern Studies, Published Online; 6- Dec,
2006.

سابعاً: الرسائل الجامعية:

- ١- بن صحراوي، كمال: الدور الدبلوماسي لليهود الجزائري في أواخر عهد الدايات، رسالة ماجستير غير منشورة، الجزائر، ٢٠٠٧-٢٠٠٨م.
- ٢- بوطي، سعاد: طائفة اليهود ودورها في احتلال الجزائر، رسالة ماجستير غير منشورة، الجزائر، ٢٠١٣-٢٠١٤م.
- ٣- السعدي، سنان صادق: موقف جمعية الاتحاد والترقي من الحركة الصهيونية ١٨٨٩-١٩١٤، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، ٢٠٠٥م.
- ٤- طوبال، سحر: مدارس غير المسلمين في بلاد الشام، رسالة ماجستير غير منشورة، دمشق
- ٥- عبيد، محمد غسان: تاريخ دمشق ١٧٢٤-١٧٥٦م، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة دمشق، ٢٠٠٤، ص ١٩٣.
- ٦- عمران، خضر: الحياة الاجتماعية في ولاية حلب في النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي/ النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة دمشق، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
- ٧- مخلوف، صائل: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في ولاية حلب، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة دمشق.
- ٨- مناور، ضمياء عزيز: يهود الدونمة والدولة العثمانية ١٨٧٦-١٩١٨ "دراسة تاريخية" رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، ٢٠١٣
- ٩- يوسف، الهام عادل: الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في حلب ما بين ١٨٤٠-١٨٧٦، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة دمشق، ٢٠٠٤-٢٠٠٥

ثامناً: المجلات والدوريات:

- ١- ادريس، محمد جلاء: التأثير الاسلامي في الفكر الديني عند طائفة اليهود القرائين، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، ع٨، ٢٠٠٣.
- ٢- دافيد، جان كلود: مجلة الحوليات الأثرية، تعريب غادة الحسين، المجلد الثالث والاربعون، ١٩٩٩م.
- ٣- رميض، صباح مهدي: يهود الدونمة والدولة العثمانية حتى سقوطها، مجلة ديالي، العدد الحادي والعشرون، ٢٠٠٥م.
- ٤- الربابعة، ابراهيم: طائفة اليهود في القدس من بدايات الحكم العثماني إلى قبيل قيام الحركة الصهيونية (١٥١٦-١٨٩٧)، الجامعة الأردنية، العدد ٢، ٢٠٠٨.
- ٥- الزيات، حبيب: مجلة المشرق، العدد ١٩٣٨، ٣٦.
- ٦- الكاظم، الهام محمود: دور يهود الدونمة في انهيار الدولة العثمانية" جامعة الكوفة، ع٧، آيار، ٢٠١٢م.

تاسعاً: مواقع الانترنت:

- ١- العرب واليهود: مال وتجارة في أيام العثمانيين " بحث في التجارة"
<http://al-hakawati.la.utexas.edu/2012/04/30>
- ٢- فؤاد هلال: تاريخ وتنظيمات العيش المشترك في سوريا" حلب انموذجاً" محاضرة أُلقيت في حلب بتاريخ ٢٤/١٢/٢٠٠٨م.
http://www.maaber.org/issue_june09/lookout4.htm

Abstract:

Economic and social life of the Jews in the states of Damascus and Aleppo in the nineteenth century

The research dealt with the study of the economic and social life of the Jews of Damascus and Aleppo during the period of the most embarrassing periods of modern history, as a result of the changes that took place at the Arab and European levels.

Jews in Damascus and Aleppo were influenced by the changes of the nineteenth century. The political variables played a role in changing the economic and social conditions of the Jews in the other states of the Ottoman Empire. The first half of the nineteenth century saw the rise of Muhammad Ali and his occupation of the Levant, On the people of Dharma, The second half of that century witnessed a marked increase in their economic activity as a result of the increasing European intervention in favor of the Jews.

The Jews of Damascus and Aleppo played a role in stimulating the economy of the country alongside Muslims and Christians. They were skilled in the field of internal and external trade and worked to develop it through their trade relations with the European communities that settled in the neighborhoods of Damascus and Aleppo.

In terms of social relations, the Jews were influenced by the country's customs and acquired a lot of customs. Their relations with the Damascus and Aleppo. societies were characterized by stability, friendliness, tolerance and mutual economic benefits, This was confirmed by the documents of the Sharia court records in Damascus and Aleppo, and this led to narrowing the social differences among the three religious communities. The Jews of Damascus and Aleppo formed part of the structure of the population.

Syrian Arab Republic

University Of Damascus

Faculty Of Arts and Humanities

Department Of History



Economic and social life of the Jews in the states of Damascus and Aleppo in the nineteenth century

*Research Project prepared For the Master's Degree
in The History Of Modern Contemn Porary Arabs*

**Prepared by
Amany Esaa Aleprahem**

**Supervised by
Dr. Wadah Noufal**

Damascus: $\frac{2017-2018 AD}{1439-1440 AH}$